قطوف من مذكرات

وزير خارجية مصر الأسبق



سمير فراج

دار الفكر الحديث

سمير فراج

قطوف من مذكرات

د/ محمد حسن الزيات

وزير خارجية مصر الأسبق

الطبعة الأولى
سبتمبر ١٩٩٣

دار الفكر الحديث
١٥ شارع شريف بالقاهرة



د/ محمد حسن الزيات

الإهداء

إلى مسقط الرأس الكريم "دمياط" المدينة التاريخية الفاضلة التي نشرف بالانتماء إليها ونعتبر وساماً على صدر أبنائها في كل زمان ومكان، والتي قدمت إلى مصر والعالم الكواكب والنجوم والنوابغ والمواهب في كافة الساحات والمجالات والميادين، الساسة والوزراء والأدباء والشعراء والعلماء والأبطال والفضلاء والفلاسفة والنجباء.

أهدي إليك قطوفاً من رحيق الذكريات من بستان النقاء والصفاء والعطاء الأنبل النبلاء وأوفى الأوفياء.

ابنك المخلص البار

د/ محمد حسن الزيات

المؤلف

سمير فراج

كلمة الناشر

كان للدكتور محمد حسن الزيات حضوراً وكفاية لاينكران على ساحة العمل الدبلوماسى إقليمياً ودولياً .. فمنذ إستعانت به حكومة الثورة فى عهدها الأول، إستمر الزيات نشطاً على مسرح الأحداث العالمى، ممثلا لوطنه حيناً وممثلا للجماعة الدولية حيناً آخر، وقد إستفادت به الأمم المتحدة فى حل مشاكل القلاقل والإضطرابات فى الصومال - قبيل إستقلاله - كما أنه بعد ذلك بمدة طويلة - عام ١٩٧٣ - مارس مساعيه الحميدة والناجحة لحل مشاكل الحدود التى كانت قد طفت على السطح بين الكويت والعراق .. ثم إن الزيات كان الرجل الذى إئتمنه ووثق بقدراته الرئيس الراحل أنور السادات عند الإعداد السياسى والدبلوماسى لحرب التحرير فى أكتوبر ١٩٧٣ حيث نجح الزيات فى مهمته بشكل باهر وملفت للأنظار.

وفى هذا الكتاب شهادة لرجل شارك وصنع وساهم فى صياغة قرارات هامة أثرت على خريطة العالم المعاصر الذى نعيش فيه اليوم وهى شهادة دقيقة وأمينة بكل ماتحمله هاتين الكلمتين من معان .. فتلك كانت طبيعة الرجل، والتى انعكست على فكره وعمله وآرائه، التى من بينها هذه القطوف من مذكراته التى صاغها بأمانة الكاتب الصحفى سمير فراج، والذى بذل مجهوداً ملموساً ومحموداً فى ذات الوقت، فى عصر قل فيه المجتهدون من الناس .

وإن «دار الفكر الحديث» إذ تتشرف بتقديم هذا الكتاب، وثيقة تاريخية هامة للعالم العربى كله ، فإنها ترجو أن تتمخض الأيـام عن ترجمته إلى العديد من لغات العالم(*) ليكون فى متناول غير الناطقين بالعربية، أيضا، وبينهم كثيرين يعرفون الزيات ويقدرون له مواقفاً وأيادٍ..

إننا إذ نقدم هذا الكتاب، أول مانقدمه، إلى «دمياط» مسقط رأس كل من الدكتور الزيات والمؤلف سمير فراج، والتى حرص الإثنان براً بها على الإسهاب فى الحديث عنها بكل التقدير وفاء وعرفاناً ..

فإلى شعب دمياط ..

وإلى الشعب المصرى ..

وإلى الشعب العربى كله من المحيط إلى الخليج ..

نقدم هذا الكتاب الموثق، عسى أن يلقى ثناء مشكوراً .

وبالله وحده التوفيـق .

النـاشـــر

(*) أبدى البعض من «الهند» أهمية ترجمة الكتاب إلى اللغة الأوردية.

وقد كان د. الزيات رئيسا لجمعية الصداقة المصرية الهندية، كما قضى فترة من حياته الدبلوماسية سفيرا لمصر فى الهند ونيبال.

مقدمة الكتاب

* نشـــأت فى حى واحد جمعنى والدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجيـــة مصر الأســـــبق ــ الراحـــل ــ الحى هـــو قسم أول دميـــاط ــ فى المدينـــة الفاضـــــلة كما نحب أن نســــــميها « دميـــاط » •• وهذا الحى الراقى أخرج لمصـــر عباقرة يكفى أن أقول أن من بينهم عالم الذرة الشهير الدكتور « على مصـــطفى مشرفة » ، وكانت تقطنه الأسر العريقة فى دمياط •• وفيه عشت العلاقة الوثيقة التى ربطت بين الأسرتين « فراج » و « الزيات » فى هذا الزمان الجميل ، وعرفت عن الإخـــوة البالغة التى ربطت بين جدى العالم الجليل الأستاذ الشيخ محمـــد فراج والرجل الفاضل حسن الزيات « والد الدكتور الزيات » •• ثم تابعت عن قـــرب هذه الصداقة الحميمة التى ربطت بين والدى الراحل الأســـتاذ طاهر محمد فراج الصحفى القديم والمربى المفضال وصاحب المكانة الرفيعة فى دميـــاط وبين الأستاذ المفضال المستشـــار « ابراهيم حسن الزيات » الشقيق الأكبر للدكتور الزيات ، الذى وصل إلى أعلى مراتب القضـــاء الرفيعة فى محكمة النقض •• كنت طفـــلا صغيرا أتعلم معنى الصداقة والوفاء والانتماء من هذا الذى كنت آراه بين والدى وصديقه المستشار ابراهيم الزيات ، ويمكننى القول أن راحلنا المستشار ابراهيم الزيات عنـــدما ترك دمياط واســـتقر فى القاهرة بحكم عمله القضائى ، كان عنـــدما يحضر لدميـــاط فى اجازة سريعة خاطفة يذهب أول ما يذهب للقاء والدى الذى يستقبله فى شوق بالغ وبكل المشاعر الأخوية الصادقة التى لا يمكن أن نراها أو نحس بها اليوم •• وكنت استمتع بلحظـــات اقترب فيها من جلسة الكبار •• جدى ووالدى والمستشار ابراهيم الزيات ووالده ، اختلس منها أيضا معانى الخير والنبل والوفاء من هؤلاء العظـــام الذين لا يجود بهم الزمان •• عليهم جميعا رحمة الله •••

وفى عام ١٩٦٣ كان والدى يعيش مأساة الرحيل المفاجىء المهيب لزوجته البارة الوفية « أمى » وهى فى ريعان شبابها .. وبرحيلها وضح أنها سحبت معها بساط الحياة من تحت أقدامه ، فتدهورت حالته النفسية وساءت معنوياته ولم يعد على الاطلاق فى حالته الطبيعية وكان رفيقه الدائم وبلسم الشفاء عنده هو المستشار ابراهيم الزيات — الذى كان حريصاً على زيارته أكثر من ذى قبل فى منزلنا بشارع سعيد الأول ويخفف عنه ويحاول أن يخرجه من الحال التى وصل إليها برحيل زوجته ويا سبحان الله يأتى يوم الأربعاء الذى يسبق يوم الأربعاء الموافق ١٥ مايو ١٩٦٣ ليطالع والدى فى « جريدة الأهرام » أسوأ نبأ تلقاه بعد رحيل « أمى » — لقد مات المستشار ابراهيم الزيات فجأة ، ورأيت والدى وهو يبكى للمرة الثانية حزناً على رحيل صديقه الحميم الوفى ، وكانت المرة الأولى وهو يبكى رحيل أمى .

أما المفاجأة الأخرى فتأتى فى يوم الأربعاء التالى الذى ذكرته وفى نفس الميعاد الذى قرأ فيه « نعى » صديقه الراحل المستشار ابراهيم الزيات لقد مات والدى هو الآخر بأزمة قلبية مفاجئة ليلحق بصديقه وبأمى .. بكل الوفاء لهما .. فقد مات الثلاثة فى مايو ٦٢ ، ٦٣ . أما المفاجأة الكبرى فكانت أمامى ذات مرة وأنا أزور قبر والدى أن وجدت الدكتور محمد حسن الزيات ومعه بعض سيدات أسرته بجوار القبر .. وتبادلت التحية معه فقد كان يعرفنى جيداً .. وأدركنا جميعا أن الراحلين العزيزين والدى وشقيقه يرقدان أيضا فى قبرين متجاورين يفصل بينهما الزرع الأخضر .. وقرأنا الفاتحة على الجميع وقلنا يا سبحان الله .

وبعد ذلك تابعت بإعجاب مشوار الدكتور محمد حسن الزيات نحو العالمية وكنت ولا زلت وسأظل اعتبره وساماً على صدرى وصدر دمياط وقد أحبها وعاش وهو يتغنى بها بكل الوفاء والصدق

والانتماء .. هو وابن عمه نائب رئيس الوزراء الأسبق الأستاذ محمد عبد السلام الزيات وقد جمعت بينهما ذات مرة وزارة الدكتور عزيز صدقى فى يناير ١٩٧٢ عندما عين فيها د. الزيات وزيرا للاعلام وهو نفس المنصب الذى تولاه ابن عمه محمد عبد السلام الزيات عقب حركة السادات فى ١٥ مايو ١٩٧٠ التى استولى فيها على الحكم وحده ! وشاءت الأقدار أن يختلف محمد عبد السلام الزيات بعد ذلك مع السادات ويعترض على سياسته ، وكذلك يختلف د. محمد حسن الزيات وزير خارجيته معترضاً أيضا على سياسته كما نعرض فى صفحات هذا الكتاب وهذا يبين قيمة الإنسان الدمياطى الواعى الذكى المتمسك بقيم لا يلين عنها .

و د. محمد حسن الزيات كرمته الجامعة فى دمياط بصفته أحد أعلام دمياط القدامى ، ووقف يخطب فى حفل التكريم بكلية التربية التى تولت التكريم — قائلا جملة لا يمكن أن تنسى : « أن هذا التكريم لى فى بلدى دمياط .. هو أغلى تكريم حصلت عليه فى العالم كله » .. وهذا يوضح حب وانتماء وصدق هذا الانتماء لمسقط رأسه « دمياط » .. وهو الذى حصل على أرفع الدرجات العلمية والأدبية والأوسمة والنياشين فى مصر والعالم .

وفى العام قبل الماضى وفى مهرجان ومؤتمر أعلام دمياط عندما كرمتنى الجامعة وكلية التربية كأحد أبناء الجيل الجديد بعد د. الزيات كان الرجل حريصاً على أن يكون أول المهنئين لى بعكس الذين امتلأت قلوبهم بالحقد .. وشد على يدى مشجعا ومتمنيا لى المزيد وهذا هو معدن وأصالة وأخلاق الدكتور الوزير محمد حسن الزيات .

※※ مذكرات د. محمـد حسن الزيات بصوته عندى :

كانت أمنيتى أن أسجل مع د. الزيات مذكراته وذكرياته فى حياته كلها من الطفولة فى دمياط الى الوزارة فى القاهرة .. وكنت كثيراً ما ألـح له بذلك على أساس أننى لست غريباً عنه .. وهو بالنسبة لى الوالد العزيز والأستاذ الكبير وكنت أتدلل عليـه بأن أقول ذلك فيرد رحمه الله قائلا : وأنت الابن العـزيز ابن الرجل العزيز حفيد الرجل الغالى . وقد سبق أن شرحت طبيعة الصـلة بين والدى وجدى بآل الزيات وأضيف على ذلك الآن هذه الصلة الوثيقة التى كانت أيضا بين الاستاذين المفضالين عبده حسن الزيات المحامى رئيس تحرير كوكب الشرق والمهندس عباس حسن الزيات نائب وزير الصناعة الأسبق وبين والدى وأعمامى وجدى وقد ذكرنى بذلك أخيراً والدنا المهندس عباس حسن الزيات شقيق د. الزيات .. بارك الله عمره ، أثناء حضوره مهرجان الوفاء والانتماء الذى دعوت إليه فى عيد دميـاط القومى ، لتكريم اسم راحلنا د. محمد حسن الزيات بكل الوفاء والعرفان وشرفه الأستاذ المستشار محافـظ دمياط محمد عبد الرحيم نافـع .

وأعود لذكر كيف استطعت الحصول على مذكرات د. الزيات من الطفولة فى دميـاط الى الوزارة فى القاهرة ؟ وقد حرصت على ذلك وكان الرجل لطيفا معى وهو يعلم أن كبار الكتاب والصحفيين فى العالم لا شـك يودون الدخـول فى سـباق من أجل الحصول عليها وقد قلت ذلك بنفسى للدكتور الزيات .. ولكنى أكدت له وأنا أداعب أبوته أننى سأحصل عليها لأن دميـاط هى العـامل المشترك ثم أضفت أقول له : وأيضا والدى الكبير الراحل الأستاذ المستشار ابراهيم الزيات .. أعتقد لو كان على قيد الحياة لطلب منكم أن تكون المذكرات بقلمى أنا .. خاصة وأننى سوف أكون

أميناً عليهـا أكثر من غيرى .. « وكان الدكتور الزيات شديد الوفاء والحب لشقيقه المستشار ابراهيم الزيات يرحمه الله » .. فقال لى على الفـور : غـدا تأتينى فى الزمالك ونبدأ التسجيل .. ولمـح السعادة فى وجهى والفرحة فى عينى فقال : مبسـوط ! قلت : شـاكر فضل سـيادتك .

خمس دقائق كادت تفقدنى مذكرات د. الزيات :

الطريف أن هـذه المذكرات كدت أفقدها قبل أن أسجلها مع د. الزيات والسبب أنه فى الوقت الذى كنت فيه أكاد أطير من السعادة لأننى سأحصل عليها .. كنت أفكر كثيرا فى ذلك وأنا فى الطريق الى منزل د. الزيات بالزمالك — وكنت فى نفس الوقت ارتجف من الخوف — إنى سأجلس أمام وزير خارجية مصر فى أحرج لحظات تاريخها الطـويل .

وتأخرت عن موعد لقـائى بالدكتور الزيات خمس دقائق بالتمام والكمال وحينما وضعت إصبعى أضغط على جرس البـاب وجدت د. الزيات بنفسه هو الذى يفتح الباب ووجهه يوضـح شـيئاً ما متضايق بشأنه ! ودلفت الى داخل شقته الوقور وعلامات الاستفهام تتراقص أمامى لمـاذا د. الزيات متضايق بهذا الشكل ؟

هل أنا السبب — لكن كيف ؟

وكان د. الزيات قد تركنى لدقائق ثم عاد وقطع صـمتى وتفكيرى قائلا فى حزم : الساعة كام فى يدك !

قلت وأنا أنظر فى ساعتى : السابعة والنصف وخمس دقائق .

قال : وما هو الموعد الذى اتفقنا عليه للحضور فى ليلة الأمس ؟

قلت : السابعة والنصف !

قال : لكن الساعة الآن بالضبط الثامنة إلا ثلثا — تحدثنا الآن لمدة دقيقة ! وتركتك لمدة دقيقتين أو أكثر قليلا ، لقد جئت هنا متأخرا خمس دقائق •• أتعلم كم تكلف العالم الدقيقة الواحدة وتؤثر فيه ؟ هل تدرك أن الدقيقة الواحدة يمكن أن تلعب دوراً فى انتصار أمة وهزيمة أخرى !

وأحس الدكتور الزيات بأننى أرتجف خوفاً وأدبا منه •• فإذا بابتسامته الحنون تعود إليه وهو يحذرنى فى لطف بأنه إذا تكرر التأخير ، فلن يكون هناك أى تسجيل لمذكراته واستعدت توازنى ••

ثم جلسنا معاً وكانت البداية الأولى فى الحوار الذى امتد بعد ذلك إلى بيته الوقور البسيط فى نفس الوقت فى قرية « الناصيرية » بدمياط — وسط الحقول الخضراء •• حيث كان الزيات يحب الحياة •

كان له شرط واحد لنشر هذه المذكرات أن يقرأ كل كلمة ويراجعها بنفسه قبل النشر •• وأكدت له ذلك — وبالفعل سلمته بعض الأوراق بعد تفريغ أشرطة التسجيل ليراجعها بنفسه كطلبه وكان سعيداً من طريقة الحوار ومن الخلفية السياسية عندى والحمد لله على ذلك •• لكن لم أكن أدرك أننى سوف أتحمل مسئولية نشر هذه المذكرات وحدى ، وبكل الألم والحزن — بعد أن رحل عن الحياة وتركنى لضميرى •• وهذه مسئولية كبرى •

وفى الفترة الأخيرة نشرت قطوفاً من هذه المذكرات فى جريدة الأنباء الكويتية ، التى كان يحبها ويحترمها ، وأفردت لها صفحات نالت تقدير واهتمام الأوساط السياسية والدبلوماسية والأدبية والثقافية فى مصر والعالم العربى ، بل والعالم كله ••

وقد حرصت فى هذه المذكرات أن أعرض لجوانب متعــددة فى شخصية د. الزيات ــ والصلة المباشرة التى كانت موجودة بين آل الزيات وعميد الأدب العربى طه حســين ، واحترامه لتلميذه النجيب محمد حسن الزيات ، وتقدير إبنته « أمينــة » لثقافة وخلق زميلها فى كلية الآداب محمد حسن الزيات وعرضت بقدر المستطاع لتفاصيل الحياة العائلية والحوارات التى كانت تتم فى بيت طــه حســين والأسرة التى أصبحت تضم محمد حسن الزيات وتعمدت القاء الضوء على قطع الأدب والفكر والثقافة ، والسياسة واللغــة العربية الفصحى والتأريخ ،والمناخ الذى كان يعيش د. محمــد حسن الزيات مع طه حسين ــ وكيف شرفت دمياط بذلك التى جاء ذكرها كثيراً على لسان د. الزيات هو وأفراد أسرته ..

وأوردت كافة المواقف السياسية والدبلوماسية للدكتور الزيات فى أصعب فترة فى تاريخها المعاصر .. وهو يتولى منصب الوزير للخارجية المصرية والتمهيد لحرب أكتوبر ــ وهو الرجل الذى بكى يوم النكسة فى عام ١٩٦٧ ، وأوضحت أسرار استقالته بعد حــرب أكتوبر ، وأوردت كيف استطاع أن يكشف دهاء وخبث « كيسنجر » اليهودى الأمريكى ــ من أجل أن تتحطم الآمال العربية فى حل عادل شامل لأزمة الشرق الأوسط .

ولم أنس دفاع د. الزيات عن صهره عميد الأدب العــربى طــه حســين بكل الوفاء والصــدق والموضوعية ــ فى وجه الذين هاجموه !

وعرضت إلى العديد من أفكاره وجملة وســطور من مؤلفــه وكتابه الرشيق الشائق « ما بعد الأيام » وأوردت قطوفا كافية منه تضيف الى مذكراته ما يجعلها حلقات متصلة شديدة الالتصاق

وكان د. الزيات هو هذا المثقف والأديب والمفكر العربى على أعلى مستوى لا ينكر ذلك إلا الحاقد أو الجاحد أو الجاهل !

وفى الفترة الأخيرة رأيت أقزاما يتطاولون على العمالقة من كبار رجالات الثقافة والمعرفة والأدب والفكر .. ولأن هؤلاء الأقزام الذين يحبون السير بطريقة « خالف تعرف » فإننى لن أذكر سوى مقولة حاسمة حازمة فى وجه هؤلاء هى : « فإذا أتتك مذمتى من ناقص ، فهى الشهادة لى بأنى كامل » . ولعل هذا يريح د. الزيات العزيز الغالى فى قبره الطاهر .

لقد كان د. الزيات هو واحد من ألمع الأدباء والمفكرين والمثقفين فى الفترة الأخيرة من نهاية القرن العشرين .

ووزراء الخارجية المصرية بعد الثورة — قبل د. الزيات هم :

* الدكتور أحمد محمد فراج طايع والدكتور محمود فوزى ومحمود رياض والدكتور مراد غالب ثم الدكتور محمد حسن الزيات . عام ١٩٧٣ الذى تعرض فى هذا الكتاب لقطوف من رحيق ذكرياته وأرجو أن أكون قد وفقت إن شاء الله فى تحقيق المعنى الذى قصدته وأنا أدعو إلى مهرجان الوفاء والانتماء فى دمياط ولتكريم اسم راحلنا الكبير د. الزيات الإنسان والأديب .. والمفكر .. والمثقف .. والوزير .. والأصالة والطهارة .. والنقاء .. والصفاء .. يرحمه الله رحمة واسعة .

ولد الدكتور محمد حسن الزيات يوم ١٤ فبراير عام ١٩١٥ بمدينة دمياط ، وحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة دمياط الابتدائية .. ثم التحق بالمدرسة الخديوية وأنتقل منها الى مدرسة حلوان الثانوية ثم مدرسة القبة الثانوية التى حصل منها على شهادة إتمام المرحلة الثانوية .. ثم درس الآداب بعد ذلك وحصل على

الليسانس من كلية الآداب ، جامعة القاهرة .. عام ١٩٣٩ ، وواصل دراسته وحصل على الماجستير فى الآداب مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤٢ ، وفى نفس العام حصل على دبلوم معهد الدراسات الشرقية من كلية آداب القاهرة .. والتحق بعد ذلك بكلية أوريل بجامعة اكسفورد ونال منها درجة الدكتوراه عام ١٩٤٧ وكان موضوعها عن التأثيرات الايرانية على الأدب السياسى « أدب القصر » فى القرون الثلاثة الأولى فى الاسلام . شارك الدكتور محمد حسن الزيات فى العمل السياسى والاجتماعى منذ كان طالبا فى المرحلة الثانوية .. وتعرض للسجن والفصل من الدراسة مرات عديدة بسبب معاداته للاحتلال البريطانى . عمل الدكتور محمد حسن الزيات فى بداية حياته بمكتبة جامعة القاهرة ، ثم عمل سكرتيرا فنيا لأستاذه الدكتور طه حسين ، ثم التحق بعد ذلك بالسلك الجامعى وعمل بالتدريس فى جامعة الاسكندرية من عام ١٩٤٢ وحتى ديسمبر عام ١٩٥٠ حيث انتدب للعمل ملحقا ثقافيا فى سفارة مصر فى واشنطن .. ثم عاد بعد ذلك للعمل بجامعة الاسكندرية ورقى فيها عام ١٩٥٤ الى درجة استاذ مساعد ، ثم نقل بعد ذلك الى وزارة الخارجية ، وعاد مرة ثانية إلى سفارة مصر فى واشنطن وعمل فيها سكرتيرا أول ومستشارا . وفى عام ١٩٥٥ نقل الدكتور محمد حسن الزيات الى سفارتنا فى إيران .. حيث تسلم مقاليد إدارتها كمستشار وقائم بالأعمال حتى عام ١٩٥٧ حيث عين وزيرا مفوضا وممثلا لمصر فى المجلس الاستشارى للامم المتحدة فى الصومال .. وبهذه الصفة مثل المجلس — كما مثل بلاده — فى مجلس الوصاية الدولى التابع للامم المتحدة فى نيويورك . وقد واصل عمله فى العاصمة الصومالية مقديشيو حتى أعلن بنفسه — بوصفه رئيسا للمجلس الاستشارى — استقلال الصومال فى منتصف ليلة الأول من يوليو عام ١٩٦٠ .

وعند عودته الى مصر فى نفس العام عين مديرا للادارة العربية بوزارة الخارجية وممثلا لمصر لدى مجلس الجامعة العربية وذلك حتى

عام ١٩٦٢ حيث أختير مندوبا دائما مناوبا « سفيرا » لمصر لدى الأمم المتحدة ، وشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٦٤ شارك خلالها فى اجتماعات مجلس الأمن والجمعية العامة عند نظر قضايا فلسطين واليمن وعمان وغيرها ، وانتخب نائبا لرئيس لجنة التعاون الدولى التى أنشئت بمناسبة مرور عشرين عاما على انشاء الامم المتحدة .. كما انتدب لرياسة الوفد المصرى فى لجنة الثمانى عشرة دولة لنـزع السلاح فى جنيف وشارك فى جهود الدول غير المنحازة فى اللجنـة التى انتهت باتفاقية الحد من التجارب النووية . فى عام ١٩٦٤ تم تعيين الدكتور محمد حسن الزيات سفيرا لمصر فى الهند ونيبال وبقى فى هذا المنصب حتى اختير فى فبراير ٦٥ وكيلا لوزارة الخارجيـة المصرية للشئون العربية والافريقية وشئون فلسطين ، وفى يونيـة ١٩٦٧ أختير الزيات ليكون أول رئيس للهيئة العامة للاستعلامات التى أنشئت فى ذات العام لتحل محل مصلحة الاستعلامات .. كما عمـل متحدثا رسميا باسم الدولة ، واسـتمر فى هذين العملين حتى عام ١٩٦٩ حيث عين سفيرا ومندوبا دائما لمصر لدى الأمم المتحـدة ، وظل فى هذا المنصب حتى عام ٧٢ . وفى عام ١٩٧٢ أختير الدكتور محمد حسن الزيات وزيرا للدولة للاعلام ، وبعد شهور قليلة أختير وزيرا للخارجية ، وكانت الوزارتين برئاسة الدكتور عزيز صـدقى وعندما استقالت الوزارة ليؤلف الرئيس السادات وزارة الاعـداد لمعركة أكتوبر ١٩٧٣ أختير الدكتور الزيات مرة أخرى وزيرا للخارجية ، وتولى خلال هذه الآونة مهام الاعداد السياسى لحرب التحرير .. وعندما اندلعت الحرب فى السادس من أكتوبر ٧٣ كان الزيات يرأس وفد مصر لدى الجمعية العامة للامم المتحدة فى نيويورك وقد اشترك مع كل وزراء الخارجية العرب فى الدفاع عن تحرك مصر والعـرب ، وعملهم لاستثمار الحرب للتوصل الى التسوية العادلة التى تمحو آثار الإحتلال الاسرائيلى لسيناء والجولان والضفة الغربية وغزة والقدس ، وتحقق للشعب الفلسطينى حقه فى تقرير مصيره واقامة دولة مستقلة على أرضه . وفى أواخر أكتوبر ١٩٧٣ عين الدكتور محمد

حسن الزيات مستشارا لرئيس الجمهورية ، وبقى فى هذا المنصب حتى بلغ سن المعاش فى فبراير ١٩٧٥ • الى جانب المناصب السياسية الهامة التى تقلدها الدكتور محمد حسن الزيات ، فقد شغل العديد من المناصب العلمية •• ومنها أستاذ زائر للدراسات العليا عن الشرق الأوسط فى جامعة كولومبيا بنيويورك ، وأيضا أستاذ زائر بجامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس وذلك خلال الفترات التى قضاها فى أمريكا • كما عمل أستاذا زائرا فى جامعة الاسكندرية ، وفى كلية التربية بدمياط وبحكم عمله السياسى وشغله للعديد من المناصب البارزة ، شغل الدكتور الزيات عضوية العديد من المجالس واللجان الدولية ، واشترك فى العديد من المؤتمرات الهامة ، وسافر إلى مختلف دول العالم ممثلا لبلاده • نضيف الى ذلك عضويته فى المجمع العلمى المصرى ، وجمعية الاقتصاد والعلوم السياسية ، وأيضا عضويته فى أكاديمية المملكة المغربية •• وقد اختير الدكتور الزيات عضواً بالهيئة العالمية للتحكيم فى جائزة أنديرا غاندى للسلام والتنمية ونزع السلاح • والدكتور الزيات أيضا كان عضوا فى النادى الدبلوماسى المصرى ، ونادى المعادى ، ونادى الجزيرة ، والمجلس الأعلى للصحافة •

من دمياط واصل الدكتور محمد حسن الزيات نشاطاته السياسية •• فشغل منصب الأمين العام للحزب الوطنى للمحافظة ، وأنتخب فى عام ١٩٨٤ عضوا فى مجلس الشعب عن دمياط ، وأعيد أنتخابه عام ٨٧ وفى المجلس أختير رئيسا للجنة الثقافة والسياحة والاعلام عام ٨٤ ، ورئيسا للجنة الشئون العربية عام ١٩٨٧ ، وفى دمياط أيضا أنهى الدكتور محمد حسن الزيات مسيرته السياسية •• فعندما أخفق فى تمثيل دمياط فى انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٩٠ فضل الابتعاد نهائيا عن ساحة العمل السياسى •• وقدم استقالته من أمانة الحزب الوطنى •• إلا أن السلطات العليا أرجأت قبول الاستقالة •• والاستمرار فى العمل كأمين للحزب الوطنى لمحافظة

دمياط •• وأمام الحاحه فى الاستقالة والابتعاد نهائيا عن ساحة العمل السياسى لم تجد الحكومة مناصا من قبولها وكان ذلك فى مايو ١٩٩٢ وقد دأب الدكتور محمد حسن الزيات على كتابة المقالات ، ونشرها فى الصحف المصرية والعربية منذ كان طالبا وحتى وفاته •• كما ألف خمسة كتب هى : ملخص وثائق فلسطين « جزآن » ، ما بعد الأيام ، الهند ومصر •• علاقة حديثة بين دولتين قديمتين ، الاسلام والحضارة الغربية ، الصلات بين الهند ومصر والثلاثة كتب الأخيرة مؤلفة باللغة الانجليزية • لقى الدكتور محمد حسن الزيات العديد من أوجه التكريم داخل مصر وخارجها •• فقد نال وسام الاستحقاق من الطبقة الثانية ، ووسام الجمهورية من الدرجة الأولى ، وحصل على وسام وشاح النيل وهو الوسام الذى يمنح عادة لرؤساء الوزراء •• وكان الزيات أول من حصل على وسام نجمة الصومال « الجديد » تقديرا من الصوماليين لما بذله من جهد لتحقيق استقلال البلاد • وحصل الزيات على أوسمة من موريتانيا وتونس ولبنان واليمن الشمالية وتشاد والبرازيل والنمسا وبلجيكا وهولندا وايطاليا وتايلاند وايران • كما كرمته دمياط باختياره شخصية عام ١٩٨٨ وكرمته المحافظة فى احتفال كلية التربية •• وفى الفترة الأخيرة ترأس جمعية الصداقة المصرية الهندية بالقاهرة •

علاقة آل الزيات بطـه حسـين

* عـام ١٩٣٣ *

يخصص الأستاذ أحمد حافظ عوض صاحب جريدة « كوكب الشرق » صفحتها الأولى بالكامل — مسـاء ٥ مارس ١٩٣٣ لمقال يعلن فيه للشعب « حدثا خطيرا » بالغ الأثر هو مشاركة طه حسين بقلمه الفياض — فى الصحافة المصرية وفى السياسة المصرية — كما تنشر الجريدة فى نفس العدد رسالة واردة لها من رئيس الوفـد المصرى مصطفى النحاس باشا يقول فيهـا :

« أنا مغتبط باشتراك النابغة الكبير د. طه حسـين فى تحرير جريدة « كوكب الشرق » ويظهر أول مقال لطه حسين « فى كوكب الشرق » فى التاسع من مارس ١٩٣٣ بعنوان « عهـد » يقول فيه : « ان خير ما يستطيع المصرى أن يقدمه لوطنه فى هذه الأيام انما هو الاخلاص فى القول والعمـل ، والصدق فى الرأى ، والمضاء فى العزم ، والقوة على المقاومة ، والاستعداد لاحتمال المكروه ، ثم يعاهد الذين سيقرءونه على أنه سيكون من هذا كله بحيث يحبون » .

وقد أحاط بطه حسين فى عمله الصحفى الجديد عدد من تلاميذه الشباب مصممين على بذل أقصى الجهد فى معاونته .. وتظهـر فى جريدة « كوكب الشرق » توقيعات عدد من الشباب المثقف بعضهم يكتب فى الصحف لأول مرة منهم عبده حسن الزيات(*) المحـامى ، الذى يرأس تحرير « كوكب الشرق » بعد ذلك بوقت قليل ، وتراقب صحيفة كوكب الشرق تصرفات الحكم ولا تتردد فى الكشف عما تراه فى أعماله من تقصير وفساد ، تراها تنشر مقالا خطيرا بغير

(*) شقيق الدكتور محمد حسن الزيات .

امضاء تتهم فيه وزير الداخلية محمود فهمى القيسى باشا بتضليل مجلس النواب وتزوير محضر جلسة المجلس ‎..‎ !

فستدعى النيابة رئيس التحرير « عبده حسن الزيات » تسأله عن كاتب المقال فيقرر أنه هو كاتبه ، ولكن طه حسين يتقدم الى النيابة ليقرر أن عبده حسن الزيات تلميذه ، وأنه إنما يريد أن يحميه ويتحمل عنه مسئولة كتابة المقال ، ويستشهد بسكرتيره الأستاذ فريد شحاتة على أنه هو الذى أملاه ، كما يستشهد بأسلوبه الذى يقول أنه لا يحتاج الى إمضاء .

وتنتهى النيابة العامة الى تقديم طه حسين وعبده حسن الزيات ، الى القضاء ، فيحكم على كل منهما بغرامة تم دفعها .

*** ما بعد الأيام ‎..‎ د. محمد حسن الزيات**

أردت من ذكر هذه القصة أن أبين كيف كانت العلاقة والصلة بين طه حسين وآل الزيات قائمة منذ وقت طويل ، وأن جذوراً ضاربة على أرض الحياة ربطت بين الأسرتين .

فالصلة قديمة بين آل الزيات وطه حسين خاصة وهذا الحدث فى عام ١٩٣٣ بينما زواج د. محمد حسن الزيات من أمينة طه حسين تم فى عام ١٩٤٨ كما سنعرف بعد ذلك من الأحداث . خاصة وأن د. الزيات قال أن تعرفه على عميد الأدب العربى طه حسين كان فى عام ١٩٣٤ .

** ويستطيع القارىء العزيز ‎..‎ أن يتعرف وببساطة على الصلة التى ربطت بين إبنة عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين « أمينة » وبين زميلها فى كلية الآداب « محمد حسن الزيات » وقد كان أساسها الأدب والفكر والثقافة والتاريخ ‎..‎ واللغة ‎..‎

والاحترام والتقدير المتبادل •• وكانت مناسبة عيد ميلاد طه حسين السادس والخمسين فى الرابع عشر من نوفمبر ١٩٤٥ وبحضور الشيخ الجليل مصطفى عبد الرازق والذى كان مرشحا شيخاً للأزهر فى ذلك الوقت ، الفرصة لتمهد إبنة العميد لزميلها النجيب محمد حسن الزيات فى طلب يدها من الوالد طه حسين •• عن طريق مخطوط ثمين اختاره الزيات « لأمينة » لتقدمه له فى يوم عيد ميلاده •• وكانت الخطوة الأولى على طريق زواج د• محمد حسن الزيات وأمينة طه حسين وإعجاب العميد د• طه حسين بالشاب الدمياطى الوسيم المثقف المحترم •

فى يوم أول مايو ١٩٤٥ ، يعلن الألمان مصرع هتلر ، وتقول وسائل الإعلام أنه انتحر ، ومن قبل ذلك بيومين قتل الغوغاء موسولينى فى ايطليا — جيوش الحلفاء تدخل برلين • تستسلم ألمانيا • وفى يوم ٨ مايو ١٩٤٥ يعلن الحلفاء انتهاء الحرب فى أوروبا •

— وتقول (أمينة) لأبيها — بعد إغلاق الراديو — الحمد لله — لكن هذا النصر لم يتحقق إلا بمصرع آلاف الشباب ووقوع آلاف الكوارث ، ما أعظم جريمة الطغاة ، كيف نحمى الحرية والكرامة البشرية فى نفس الوقت الذى نحمى فيه الأجيال القادمة من أمثال هذه المجازر ؟

ويرد طه حسين : هذا يا ابنتى هو السؤال كما يقال : كيف يحيا الناس حياة فاضلة ، كيف يحققون دنيا الحرية والعدل ، وكيف يعيشون بها وكيف السبيل الى صيانتها دون أن تضطر الشعوب المسالمة الى أن تقابل بالعنف عنف المعتدين •

ويتوقف طه حسين برهة ثم يقول : ستعود الآن المواصلات

مع أوربا ويتمكن أخوك مؤنس من السفر لباريس للدراســة لدرجة الاجريجاسيون •

وتســأل أمينة : ولماذا لا يدرس للدكتوراه ؟

ويرد طــه حسين : أريده أن يحصل على الاجريجاسيون أولا رغم أنها أصعب • أننى لم أرد لك أنت أيضا أن تختارى الطــريق الســهل ، لم تكن الدراسات اليونانية واللاتينية — التى أخترتها لك — أسهل الدراسات ! **وعلى فكرة أين بلغت فى بحثك للماجستير ؟** هلى انتهيت من قراءة ما كتبه الشــاعر الألمانى جوته عن موضوعك ، عن قصة افيجينيه ؟ ••

— وترد أمينــة : نعم ولكن الموضوع كما تعلم صــــعب بشكل يرضيك ! وعلى فكرة مطلوب منى محاضرة عــامة حــول هذا الموضوع وقد قبلت متورطة ولكننى أموت خجلا وخوفا من مواجهة الجمهور ••

— ويقول طــه حسين : هذا لأنك تحترمين سامعيك ، هــل تظنين أنى لا أحس الرهبة حتى الآن عندما أواجه جمهوراً احترمه ؟ •

— أمينة : أنت ؟ طه حســين ؟ ••

ويرد : بكل تأكيد ، وعلى فكرة ألا تريدين استكمال دراستك فى الخارج بعد أن يفتتح الطريق الأوربا ؟

وترد أمينــة : بل أبقى هنا فى بلدنا الى جوارك ، وأين فى الخارج أستاذ مثــلك ؟

• • • • • • • • • • • • • •

• • • • • • • • • • • • • •

تقول أمينة لوالدها : أنا أقـرأ الأبى العـلاء .. أنا أقـرأ في اللزوميات ، في نسخة مخطوطة من اللزوميات .

ـــ طه حسين : نسخة مخطوطة من اللزوميات ؟ ليس لدينا نسخة مخطوطة ! واللزوميات ، أنت قطعاً لا تستطيعين أن تفهميها وحدك ـــ لا أنت ولا كثير غيرك من الشـباب اليوم ، يجب أن نترجمها لكم ، الى العربية !

وتتسـاءل أمينة : الى العربية، ، وفي أى لغة هى إذن ؟

ويرد طه حسين : هى فى لغة أبى العـلاء ، سأترجمها الى العربية التى يفهمها أمثالك ، وسأسمى الترجمة « صوت أبى العلاء » .

وتنهض أميـنة وهى تقـول : نترك هذا الآن ، هذا أوان « الطورطة » ! وتنصرف وتعود بكعكة عليها شـموع وتقول : عليك يا أبى أن تطفىء هذه الشـموع .

[كان اليوم هو يوم عيد ميلاد طه حسـين السادس والخمسين في الرابع عشر من نوفمبر ١٩٤٥ وكان يزوره فيه الشيخ مصطفى عبد الرازق المرشح شيخا للازهر الشريف ، فيستبقيه للعشـاء ويجلس الثلاثة الى مائدة زينتها (أميـنة) فى مناسـبة عيـد ميـلاد أبيهـا] .

ويقول الشـيخ مصطفى : أبوك يا ابنتى لا يجيد إلا إيقاد الشـموع .

وبعد تجاذب الأطراف الحديث بين العميد وابنته أمينة وشيخ الأزهر « القادم » .

تقول أمينـــة : الآن نطفىء الشموع ، وعندى بعد ذلك رسائل للاستاذ العميد الأولى والثانية من ماما وأخى مؤنس •• والثالثة منى أنا — وقبلت والدها قائلة لك قلبى كله وهديتى هذا المخطوط ••

فيرد طه حسين •• ما هذا المخطوط ؟

أمينـــة : مخطوط مؤلف من أصدقائك •

الشيخ مصطفى : يتناوله وينظر فيه ويقول : هذه لزوميات أبى العلاء ، هذا مخطوط مغربى ، هذا مخطوط ثمين (يسلمه لطه حسين) أحسنت الاختيار يا ابنتى •

— ثم يقول طه حسين : أولا من أين لك المـــال ؟ ثم من دلك على هذا المخطوط ؟

وترد أمينة : نعم أنت تسأل وأنا أجيب • عن السؤال الأول فإنك تذكر أسهم شركة الجوت المصرية التى اشتريتها لى عنـــد حصولى على درجة الليسانس — أليس كتاب أبى العلاء أحسن من الجوت ؟ والمخطوط جميل ولكنه ليس قديما جدا ولا ثمينا جدا ! نسخ فى مدينة فاس سنة ألف ومائة للهجرة حسب ما هو مكتوب فيه ، **وعن السؤال الثانى فقد ساعدنى فى البحث** عن هذه الهـــدية أحد تلاميذك النجبـــاء :

إنه محمد حسن الزيات ، لقد أقســـم لى أن هذا المخطوط ، هو كتاب اللزوميات •

— ويقول طه حسين : ولكن — محمد فى انجلترا — فى اكسفورد •

وترد أمينـــة : ساعدنى قبل سفره ! وعلى فكرة هديته لك علبة سجائر حفر عليها اسمك باللغة العربية •

ويقول طه حسين : وأنت أخفيت المخطوط كل هذه المدة ..
تعالى هنا لأقبلك يا ابنتى ، أخفيته كل هذه المدة .. !

ماذا أخفيت أيضـــا ؟ وعلى فكرة فى مجلة الكاتب المصـــرى
سيكون عليك أنت أن تقدمى للقراء أهم مباحث الدوريات الغربية .

وتسأل أمينة : تعنى الفرنسية ؟

— ويرد طــه حســين : لا — أعنى الغربية .

* * *

الباب الأول



دمياط ..
مسقط رأس د. الزيّات

دمياط فى سطور :

* تقع محافظة دمياط على فرع النيل الشرقى وبينها وبين البحر الأبيض المتوسط حوالى ١٢ كم ويمكن أن تعتبرها شبه جزيرة إذ يحفها النيل غربا والبحر شمالا وبحيرة المنزلة شرقا •

ودمياط مدينة عريقة فى القدم ، وكان اسمها فى العصر الفرعونى دمى آت [أى مدينة الأرز] وذكرت فى التوراة باسم (كفتور) وفى العصر اليونانى Tamiats وفى العصر القبطى Tamiat ويقال أن معناها بالمصرية القديمة الأرض الشمالية التى تنبت الكتان — أما المقريزى فيقول أنها كانت تسمى (دماط) •

دمياط فى العصر العربى :

* لا تظهر صورة دمياط التاريخية واضحة إلا من أوائل العصر الإسلامى حينما فتحها المقدام ابن الأسود من قبل جيوش عمرو ابن العاص فى القرن السابع الميلادى •

حاول الرومان غزوها مراراً لاستردادها ثلاثة قرون متوالية ، ولذلك بدىء فى تحصينها ببناء سورها وحصونها يوم ٥ فبراير سنة ٨٥٤ وانشئت بها العمائر البحرية فى العصر الأيوبى •

استعان صلاح الدين بأساطيلها فى حرب الصليبيين وفى عهد الملك الكامل نزل الصليبيون بقيادة (جان دى برين) ببرها الغربى وعملوا على الاستيلاء عليها ، وكانت دمياط تقاوم حوالى ١٦ شهرا ذاقت فيها الجوع والمرض حتى سلمت •

فقام الصليبيون بالنهب والسلب والقتل ، وما كاد المسلمون يستردونها حتى وقعت مرة أخرى فى يد الفرنجة بقيادة لويس

التاسع الذى هزمه « توران شاه » وأسره ، وهكذا استولى عليها الصليبيون مرتين فى العصر المملوكى •

وقد قام ملك مصر الظاهر بيبرس سنة ١٢٥١ بتخريبها عمداً ولم يبق فيها سوى مسجد أبى المعاطى وذلك ليأمن غزو الفرنج كما سد بوغاز دمياط ليمنعهم من دخول المدينة فما كان من البعض إلا أن نزلوا بأرض على ساحلها وبنوا مساكن موجودة حتى الآن وتسمى المنشية ، وقصدها العلماء ومنهم الشيخ فاتح الأسمر الذى ينسب إليه جامع الفتح حيث دفن أبو المعاطى الذى كان الدمياطيون يحتفلون بمولده فى منتصف شعبان من كل عام ، وقد بنى بها المدرسة المتبولية تقربا إلى ولى الله الشيخ ابراهيم المتبولى ومسجده كائن حتى اليوم فى الطرف الشمالى من دمياط •

فى عهد الحملة الفرنسية :

* كانت دمياط ثانى مدن القطر بعد القاهرة فى كثافة السكان وعنى بها الفرنسيون وعينوا بها أحد الجنرالات حاكما • وقاوم الدمايطة الحامية الفرنسية وفتكوا بها وكان الفرنسيون يقيمون فى حى الأروام ولا يؤمنون على أنفسهم إذا دخلوا حى الوطنيين ، وبعد أن أخضع الغزاة الثورات أنشأوا قلعة عزبة البرج وقلعتين عند مدخل البوغاز شرقا وغربا •

فى العصر الحديث :

* فى أوائل القرن الماضى كانت دمياط ميناء مصر الأول وأنشىء منار دمياط الذى يقع عند مدخل البوغاز وهو فريد من نوعه إذ يدور دورة كاملة كل دقيقة فى جميع الاتجاهات •

وفى أواخر القرن الماضى وقفت دمياط موقفا مشرفا بقيادة البطل عبد العال حلمى أحد زملاء « عرابى » وقد أبعد الى دمياط

ولم يسلم للانجليز الذين احتلوا مصر إلا بعد أن هدموا ثكناتها وأسروا قائدها ونفوه •

•• هذا وقد كان لدمياط دورها الكبير فى ايواء المهاجرين بعد الاعتداء الثلاثى الغاشم على بورسعيد فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وفى أعقاب مأساة ١٩٦٧ • وتعتبر دمياط من ثغور مصر القديمة وتحتفل كل عام يوم ٨ مايــو بعيدها القومى ففى مثل هذا اليوم منذ أكثر من ٧٠٠ عام دقت طبول النصر فى كل بلد عربى واتجهت أنظار العالم الى دمياط فقد صنع أجدادنا المعجزة وارتدت جحافل الغزاة عن الشرق العربى بعد أن هزموا فى معارك المنصورة وفارسكور التى تتبع دمياط — وضربت دمياط مثلا للبطولة والفداء فما كاد العدو يطأ أرض دميــاط حتى أحرق أجدادنا المتاجــر والمنقولات وكل ما يمكن أن ينتفع به العدو ، ثم انسحبوا الى المستشفيات والأحواش التى كانت حول دمياط ومنها بدأوا يشنون حرب المقاومة التى أوقفت الغزاة وحرمت عليهم الراحة وعجل بهزيمتهم ، وأسلمتهم الى البحر فى اليوم الثامن من مايو سنة ١٢٥٠ م •

* وبدمياط مصيف رأس البر الذى يعتبر جنة المصايف بحق ، ليس بسبب ما يتميز به من كثرة الحدائق وأماكن التشجير التى تكسبه رونقا وجمالا فحسب بل أن الطبيعة قد أغدقت على رأس البر السحر والجمال ومقومات السياحة الناجحة • ويمتاز بموقعه الفريد عند التقاء نهر النيل (فرع دمياط) بالبحر الأبيض المتوسط على شكل مثلث ضلعه الشرقى نهر النيل وضلعه الغربى البحر الأبيض المتوسط ، وهو فضلا عن ذلك يتمتع بجو جاف وهواء نقى على الدوام وهدوء مرغوب •

* * *

حديث د. الزيات عن مدينتـه دميـــاط

قبيـــل الرحيـــل

رغم تطوافه فى العديد من دول العالم ، وزياراته الأحـلى الأماكن التاريخية والأثرية والسياحيــة .. إلا أن أحلى أوقــات د. محمد حسن الزيات كانت هى تلك التى يقضيها فى مسقط رأسه بأقصى شمال دلتا مصر .. مدينته الصغيرة دمياط التى يدين لهــا بالفضل العظيم وتدين هى له بالفضل الأعظم ..

وقد ظل الدكتور الزيات على صلة حميمة بهذه المدينة الصغيرة وبريقها حيث أقام لنفسه منتجعا عبارة عن فيللا صغيرة فى قطعة أرض زراعية حيث توجد جذور عائلية هناك فى قرية شرباص التى سميت بعد ذلك بالناصرية حيث استطاع الأهالى بمعاونة د. الزيات استصدار قرار جمهورى بهذه التسمية الجديدة لقريتهم .

قلت له : هل هذا التحول من شرباص الى الناصرية يعكس انتماء للناصرية كفكر واتجاه سياسى ؟

ـــ وقال الدكتور الزيات : لا شـــك أن هذه التسمية تؤكد حب أهالى بلدتى للرئيس الراحل جمال عبد الناصر كما تمثل انتماء له .

هذا وتعتبر الفيلا التى أقمتها فى هذه القرية هى كوخى الدبلوماسى والسياسى والبرلمانى ذلك الكوخ الهادىء الذى كنت ألوذ به دائما هربا من عناء العمل ومشاغل المناصب السياسية العديدة .. فلقــد عملت رئيسا للجنة الشئون العربية ولجنة الثقافة والفكر والاعلام بمجلس الشعب المصرى حيث كنت أمثل شعب دمياط بالمجلس .. وفى نفس الوقت الذى كنت أشغل فيه منصب الأمين العام للحزب الوطنى بالدائرة أيضا لسنوات طويلة .

ثم يقول د. محمد حسن الزيات : هذا بالاضافة الى أننى بطبعى أميل الى الهدوء والى الانتماء الى الأرض سواء كان ذلك فى حدود انتمائى لمصر أو للعالم العربى .

ولقد بقيت طوال عمرى أفضل أن أكون أحد دبلوماسى العالم العربى وممثلا له فى المحافل الدولية على أكون ممثلا لمصر فقط أو ممثلا لبلدى دون ارتباطها بانتمائها العربى والاسلامى أيضا .

وقد كنت وأنا أعمل بالأمم المتحدة أرى العرب كشعب متحد وكأمة واحدة أكبر وأجمل منا فى صورة بلاد متعددة وأقطار متفرقة وأحزاب متنازعة .. هذا رغم أننى لا أنتمى الى أى مذهب سياسى مصرى أو عربى معين الأنى كنت وما زلت أعتقد أننا فى مرحلة الجهاد لقيام الأمة العربية المستقلة ذات السيادة ..

وهذا يحتاج الى أن يكون لنا واجهة خارجية على الأقل متحدة وواحدة .. ولا شك إنه مما يسىء الى العالم العربى كثيرا أن يعلم خصومه وحتى أصدقاؤه أنه متفرق موزع فى هيئة أقاليم بينها نزاعات قبلية ونزاعات حزبية .

ثم يعود د. الزيات الى ذكريات الطفولة ويقول :

لم تكن لى طفولة فى الناصرية أو شرباص القديمة .. ومسقط رأسى والمكان الذى اعتز به دائما هو مدينة دمياط .

ومدينة دمياط مدينة قديمة عريقة موجودة حتى فى مقامات (الحريرى) وما قبل ذلك واعتزازى بها اعتزاز الرجل باسرته وعائلته وأهله .. إنها مدينة قدمت لمصر وللعالم العربى الكثير من التضحيات .. مدينة دمياط تنازلت عن مكانها على ساحل البحر الأبيض المتوسط لكى تقى مصر والعالم العربى هجوم الصليبيين ودمرت تدميراً بمعرفة حاكم مصر .. وتراجعت عن مكانها الى داخل البلاد ..

وقدمت دميــاط تضحية أخرى عندما أقيمت مدينة بورسعيد فتركت ميناءها وتراجعت لكى تتقدم الى مصر والعالم كله قنــاة السويس •• كجهة اتصال بين الشرق والغرب ••

وبعد بناء السد العالى فقدت دمياط الكثير من مصايدها والكثير من مكانتها كميناء وكمصدر للاسماك البحرية نظرا لحجز الطمى خلف بحيرة السد العالى وهو الذى كان بمثابة مزرعة جيدة وصالحة لتكاثر أنواع البورى وغيره من الأسماك المحببة •• ولكن دمياط رغم فقرها فى الأرض الزراعية تعيش على كد أبنائها وعملهم الدءوب فى الصناعة اليدوية مثل صناعة الموبيليا والحلويات والأنسجة •• وكذلك العمل بالتجارة حيث ذاع صيتها فى كل بلاد حوض البحر الأبيض المتوســط ••

ودمياط كما نعلم أقامت المدارس الحرة التى اضطلع بها رواد من أبنائها جعلوا من سياسة التعليم فى بلدهم سياسة متميزة عما هو شائع فى كل البلاد الأخرى •• فالتعليم فى دمياط كان وما يزال يوائم بين حاجات المدينة وبين قدرات الخريجين •

وجريدة « أخبار دمياط » من أوليات الصحف الاقليمية التى ظلت تعبر عن الواقع الدمياطى بصورة جادة ومتميزة ••

والواقع أن بدمياط أشياء كثيرة جدا •• مما أريد أن أراه فى مصر كلها مثل الاعتماد على النفس والعمــل البناء والاعتــزاز بالاقليمية •• وأنا لا أرى أن الوظيفة الاقليمية تتضارب مع الوظيفة العــامة فالاعتزاز بدمياطيتى لا يمنع أن أكون معتزا جدا بمصريتى ولا يمنع هذا أن أكون معتزا بأننى من العالم العربى وأننى من العالم الاســلامى •

وحبى لبلدى دمياط قديم وباق رغم انى لم أعمل كثيرا بهـا وربما كان بعدى عنها لظروف عملى قد أظهر محاسنها فى شعورى وأخفى عنى أية مساوىء ولا غرو فهى المكان الذى ولدت فيه والمكان الذى سوف أدفن فيه(*) •

وبمناسبة « الناصرية » قريتى فقد يعطى هذا الايحاء بالانتماء إلى مذهب معين أو اتجاه معين •• لكن أنا لم أنتم قبـل المرحلة الراهنة الى أى حزب سـياسى بعد حزب الوفـد القديم ثم حزب السـعديين عندما انشـق أحمـد ماهر والنقراشى على النحاس باشا •• وهذا الانتماء كان عبارة عن الانتماء العائلى فقط •• بمعنى اننى كنت منتميا الى عائلتى وعائلتى بدورها تنتمى الى الحزبية •• هذه حقيقة قديمة •

ولا أذكر أننى دخلت أى انتخابات أو تقدمت الأى منصب انتخابى فيما عدا مرة واحدة عندما انتخبت عضوا فى المؤتمر القومى فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ونجحت بتفوق وحصلت عـلى المركز الأول •

كان ذلك بسبب المحافظ الذى كان يترأس الاقليم فى ذلك الوقت فقد كان ماكرا جدا وكان مرشحا هو الآخر فأراد أن يعطى صورة أن الانتخابات حرة فجعل نفسه يأتى فى الترتيب بعدى ، فى المركز الثانى •• أو قد تكون الانتخابات صحيحة •• على كل حال أنا فى الواقع لم أكن منتميا الى أى حزب أو مذهب سياسى مصرى أو عربى قبل المرحلة الراهنة ••

كيف لا يكون لك انتماء حزبى أو سياسى وأنا أعرف انك قارىء جيد ومطلع على كافة المذاهب الفكرية والسياسية ؟ •

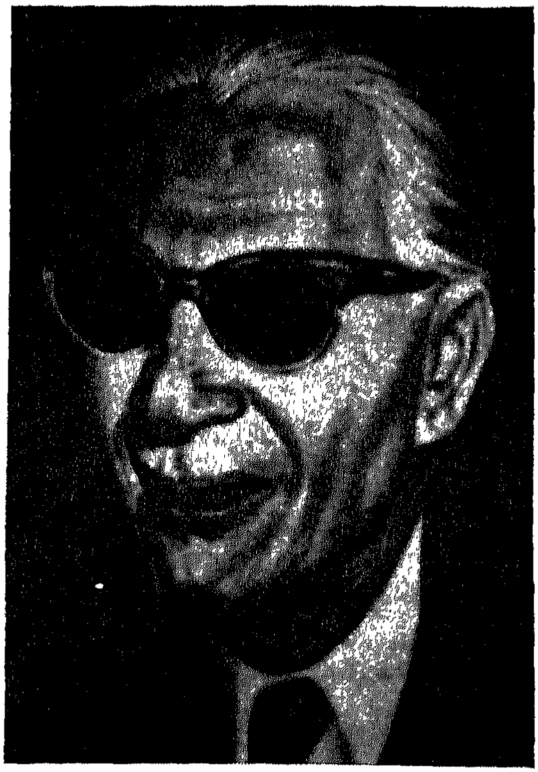
(*) لم تتحقق له رحمه الله ـــ هذه الرغبة ودفن فى القاهرة .

ـ فى المرحلة الأولى من حياتى •• فى طفولتى وصباى كنت عاشقا للقراءة وقد لازمنى ذلك طوال حياتى وسيظل الى النهاية ••

ولكن الكتابة والأدب فى الماضى أشياء كانت تستهوينى ولكن لم تكن تشكل عند أسرتى هذا المعنى الذى يؤكد أنها يمكن أن تصبح مهنة يتقاضى صاحبها مالا عنها •• ولابد أن تكون الكتـــابة والأدب اضافة الى العمل نفسه •• وسيأتى وقت أشرح فيه ذكرياتى مـــع الشيخ على القاضى فى دمياط وحكايتنا معه ومع الكتب التى كنا نأخذها منه بالايجار لمدة أسبوع ••

* * *

الباب الثانى



الزيّات وطه حسين

فى عام ١٩٣٤ تعرفت على الدكتور طـــه حسين عميد الأدب العربى وكان عميدا لكلية الآداب جامعة فؤاد فى ذلك الوقت فقد لقيت رغبتى فى دخول الآداب معارضة اسرتى حيث كان الشـــائع أيامها انها أقل من كليات الطب أو الهندسة أو الزراعة ..

وكانت رغبة والدى ـــ رحمه الله ـــ أن التحق بكلية الزراعة لأنه ينتمى كثيرا الى الريف ، ولكننى فضلت أن التحق بكلية الآداب وبتأييد وتشجيع من الاستاذ الدكتور العميد طه حسين استطعت التغلب على ترددى والتحقت بكلية الآداب رغم رغبة والدى المعاكسة لذلك .. ومن هنا ارتبطت بهذا الرجل وأحببته جدا لأننى رأيت فيـــه النموذج للمثابرة والكفاح والاصرار والشجاعة وظلت علاقتنا تتوطد حتى تزوجت ابنته فيما بعد .. وبعدما كنت قد شهدت دوره فى اثراء اللغة العربية والتى كان يشجعنى ـــ رحمه الله ـــ على الاستمرار فى التزود بآداب هذه اللغة الجميلة وبما فيها من كنوز .

زواج د. محمد حسن الزيات وأمينة طه حسين (*)

فى خريف سنة ١٩٤٧ ، تتهدد الكوليرا مصر ، الخطر يتزايد ، أمينة تريد أن تتطوع للعمل مع سيدات الهلال الأحمر فى مكافحة الوباء ، طه حسين يتذكر الوباء القديم الذى أودى بحيـــاة أخيه محمود ، وكان محمود قد تطوع كذلك لمقاومة الوباء ، ولكنه لا يحاول اقناع ابنته بعدم التطوع .

أمينة تعمل مع سيدات الهلال الأحمر فى قسم الدرب الأحمر بالقاهرة . وفى آخر أكتوبر ١٩٤٧ كان معدل الوفيات المعلنة أربعمائة

(*) ما بعد الأيام .. د. محمد حسن الزيات .

شخص يوميا غير المتوفيين الذين كان أهلهم يخفونهم خوفا من اجراءات الحكومة • الوباء يستشرى فى الريف • تسافر بعض سيدات الهلال الأحمر الى الصعيد وتسافر أمينة معهن • البعثة تدخل الطمأنينة على نفوس نساء الصعيد فيقبلن التعاون مع سيداتها وفى آخر نوفمبر يهبط عدد ضحايا الكوليرا من أربعمائة شخص الى عشرين شخصا ، وتعود أمينة مع بعثة الهلال الأحمر الى القاهرة بعد أداء المهمة التى سافرت لادائهـا •

* * *

وفى بيت الاسرة بالزمالك تقرأ أمينة لوالدها صحف الصباح : لقد نشرت أسماء الوفد الذى ألفته الحكومة المصرية ليشـترك فى مؤتمر اليونسكو الذى سوف يعقد فى بيروت • واسم طه حسين لم يرد بين أسماء أعضاء هذا الوفد •

وتقول أمينة لوالدها : أنت كما ترى لا تصلح الآن لتمثل مصر فى مؤتمر لليونسكو ، وان كانت دول العالم قد سبق أن انتخبتك رئيسا للجنة الأدبية فى عصبة الامم منذ سنين •

ويرد طه حسـين ، وهو يبتسم ابتسامة خفيفة : اذا كانت مصر هى الملك ، فاننى لا أمثل مصر طبعا — المهم هو عشاء الليلة ، قد دعوت الدكتور الزيات للعشاء •

على مائدة العشاء فى منزل طه حسين — أفراد الاسرة ومعهم محمد حسن الزيات • يقول الدكتور الزيات فى آخر العشاء : « والدى واخواى ابراهيم وعبده يحضرون من دمياط غدا ويرجون زيارتكم فى نفس اليوم ان أمكن » •••

وفى اليوم التالى ، بعد ساعة يلتقى فيها الوالدان لقاء طويلا وسعيدا يهنىء طه حسين ابنته وصهره بخطبتهما ، وتهنئهما أمها ،

ويدور حديث حول موعد الزواج ، والعروسان يريدان زواجا بسيطا وعاجلا •

وفى أثناء الحديث تصل برقية من الحكومة اللبنانية تقدم الدعوة لطه حسين بصفته الشخصية ليشترك فى مؤتمر اليونسكو ضيفا على لبنان ، وتمر لحظات لا يعلق فيها طه حسين على الدعوة • ان بلاده عزيزة عليه دائما وأهله كرام لديه فى كل الأوقات ، ولكنه يرى الآن أن بلاده هى كل البلاد العربية وأن أهله هم العرب أجمعون ، وتلح عليه أمينة وخطيبها فى أن يرد بالقبول •

* * *

ويصل طه حسين الى لبنان فى نوفمبر عام ١٩٤٧ ضيفا على حكومة لبنان •

وفى الصالة التى شيدتها لبنان خصيصا لانعقاد « مؤتمر اليونسكو » ، يجلس طه حسين على المنصة العالية ، وحيدا بغير مذكرات أو أوراق أو سكرتير ، مطلا على الجمهور الذى ملأ القاعة على اتساعها وفاض عنها الى الطريق •

طه حسين ينتهى من خطابه عن « أثر الحضارة العربية فى الحضارة الغربية » • القاعة تضج بالتصفيق الحاد ، ومدير عام هيئة اليونسكو مسيو « توريز بوديه » يتقدم الى المنصة لينزل مع طه حسين الى القاعة ويقبل على المحاضر ، للتحية والتهنئة ، كثيرون ، منهم « جوليان هكسلى » العالم البريطانى ، وأعضاء الحكومة اللبنانية ، وأعضاء الوفد المصرى والوفود العربية • الجميع يهنئون ويتحدثون فيما بينهم باعجاب كبير •• وزوجته تنتظر لتخرج معه وتقول له : لقد تألمت وفى صمت عندما عرفت انك لن تكون من بين ممثلى الثقافة المصرية فى مؤتمر اليونسكو ، والآن أدرك أنك قد

تجاوزت ذلك الى تمثيل الثقافة العربية كلها ، والمشاركة المشرفة فى الحياة الثقافية فى العالم كله .

ويقول طه حسين لزوجته : لبنان جميلة ، كنا نحب أن نبقى مدة أطول ، ولكن لابد من العودة للاعداد لزواج أمينة .

* * *

فى منزل طه حسين بالزمالك ١٢ يونيو ١٩٤٨ يحتفل بزواج أمينـــة .

الشيخ عبد المجيد سليم يعقد العقد والشاهدان هما مصطفى النحاس باشا وأحمد لطفى السيد باشا ويشهده كذلك المستشـــار ابراهيم الزيات وعبده حسن الزيات المحامى ، ويخرج العروســـان من الحفل بسرعة الى المستشفى القبطى فى القاهرة ليزورا والد العريس الذى كان قد وصل مع زوجته الى القاهرة لحضور حفل الزفاف ولكنه أحس فى محطة القاهرة بتعب مفاجىء فنقـــل الى المستشفى القبطى ، وذهبت زوجته معه ، وأجريت له جراحـــة عاجلة هناك ، وقد ألح على ولده وعلى الدكتور طه حسين عنـــدما زاره فى المستشفى كى يتم عقد القران فى موعده ، وهو يبدو الآن فى حالة معنوية طيبة ، يقبلهما وتباركهما وتقبلهما الأم ، وهما يريدان أن يرجئا السفر لقضاء شهر العسل فى الخارج حسبما كان متفقـــا عليه حتى يغادر الوالد المستشفى ، ولكنه يطلب منهما فى الحاح عدم تغيير برنامجهما ، ويرجو لهما سفرا طيبا وعودة سريعة ليسعده استقبالهما فى منزل الاسرة فى دمياط .

فى ميناء الاسكندرية وفوق ظهر السفينة « اسبريا » ، يصل رسول الى السفينة يبلغ العروسين بما حدث : انتكس الوالد فجأة ونادى فى الليل زوجته وطلب منها كوب ماء وشرب منها جرعة وابتسم

ونام وتخيلت زوجته أنه قد نام ، ولكن قضاء الله كان قد وقع • استعاد الله وديعته • أمينة تخلع ملابس العــرس وتلبس ملابس الحداد ، ينزل العروسان من الباخرة ، ليسافرا الى بيت الاسرة فى دميــاط •

* * *

ويقبل يناير من عام ١٩٤٩ ويقرأ فريد سكرتير طه حســين عليه الصحف ثم الخطابات • ان أهم الأخبار هو أن رالف بانش وسيط الامم المتحدة قد نجح فى وقف اطلاق النار فى فلسطين •

وأهم الخطابات خطابان : الأول اخطار بأن الحكومة المصرية قد منعت نشر كتاب « المعذبون فى الأرض » وقررت مصادرته ، والثانى بأن « الكوليج دى فرانس » ، التى كانت قد دعت طــه حسين للمحاضرة فيها خلال عام ١٩٤٩ ، قد قررت سحب دعوتها له •

ويقول طه حسين فى سخرية هادئة : ومع ذلك فان الكوليج دى فرانس انما يميزها تاريخها الطويل فى مقاومة اضطهاد الحكومات للعلماء •• العلماء الفرنسيين ! •

* * *

وفى الشهر التالى ، فبراير ١٩٤٩ يصبح ابراهيم عبد الهادى باشا رئيسا للوزارة ، بعد سلسلة حوادث خطيرة بدأت باغتيــال رجل البوليس سليم زكى ومقتل النقراشى باشا ثم تولى ابراهيم عبد الهادى رياسة حزب السعديين •

* * *

وفى مستشفى الدكتور على ابراهيم « الابن » فى جاردن سيتى ، فى ابريل ١٩٤٩ أصبح طه حسين جدا • رزقت أمينة بولدها « حسن الزيات » فى التاسع والعشرين من الشهر فى الساعة السادسة مساء •

وتقضى أمينة بعد خروجها من المستشفى أربعين يوما — حسب التقاليد التى يصر طه حسين على احترامها — فى بيت أبيها بالزمالك ، وطه حسين فى هذه المدة مشغول بحمل حفيده وتهدئته — عندما يبكى — بقراءة أبيات من الشعر الجاهلى ، يقول ان هذا الجيل الجديد لابد أن يسلح نفسه بالثقافة العميقة من أول الأمر !

وفى صيف ١٩٤٩ ينتهى طه حسين من املاء مقال للاهرام عن ثلاثة عظماء هم الجاحظ وشكسبير وجوته ، عربى وانجليزى وألمانى — فهو لا ينفك يتحدث عن فضل العرب كلما تحدث عن أمم الحضارة !

ويقول لزوجته بعد أن ينتهى من الاملاء : لم يعد لدينا ما يبقينا فى مصر . أمينة عادت الى زوجها وبيتها ومعهما ابنهما ، مؤنس متغيب فى الخارج للدراسة . وكتبى تصادر فى مصر . وليس لى عمل منتظم وأنا لا أطيق هذا الجو الحار .

وترد السيدة سوزان : الجو الحار نعم ، أما كتبك فانها لا يمكن أن تصادر الى الأبد ، وسنجد مؤنس فى استقبالنا فى باريس ، وسنجد أمينة وزوجها فى استقبالنا فى مصر عندما نعود .

ويقول طه فى شىء من المرارة : نعم والآن سيكونان هما وحدهما اللذين يستقبلاننا .

وترد سوزان : بل سيكون معهما تلاميذك الأوفياء وهؤلاء سوف يكونون معك دائما .. الى الأبد .

وفى سبتمبر عام ١٩٤٩ نرى طه حسين فى مكتبه وقد عاد من رحلة الصيف ، يتحدث مع الجراح الدكتور محمد كامل حسين الذى حضر للتهنئة .

الدكتور كامل حسين يقول له أن وزارة ابراهيم عبد الهـادى باشا قد استقالت بعد خمسة أشهر من تأليفها ، وحسين باشا سرى سوف يجرى الانتخابات وينتظر طبعا أن تسفر عن فوز الوفد .

وأجريت الانتخابات ، وفاز الوفد ، ودعى النحاس باشا لتأليف الوزارة ويحضر النحاس باشا الى منزل طه حسين دون موعد فيجده مع عدد من الشباب من بينهم الاستاذ محمد سعيد العريان والاستاذ محمد فتحى .. فيسلم النحاس باشا عليهم ويخرج مع طه حسين الى الحديقة ، فيفاجئه بأن يطلب منه أن يتولى منصب وزير المعارف فى وزارته التى يجرى تأليفها .

وطه حسين يشكره ، ولكنه يرجو معاودة التفكير لأسباب : الأول أنه ليس عضوا فى الوفد وأعضاء الوفد الذين شاركوا رئيسهم جهاده أحق بالاشتراك معه فى الحكم ، والثانى أن السراى غاضبة عليه منذ زمن بعيد ولا ينتظر أن توافق على تعيينه والثالث أنه ملتزم أمام نفسه وأمام الشباب ببرنامج للتعليم سبق أن شرحه عام ١٩٣٧ فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » الذى كان يعده فى الأصل ليقدمه تقريرا الى النحاس باشا نفسه ، وهو لا يعرف رأى وزارة الوفد عندما تتولى الحكم فى تطبيق هذا البرنامج الذى يؤكد ضرورة اعلان مجانية التعليم الابتدائى والثانوى ، وهنـاك سبب رابع لا يحتاج الى تبيين .

النحاس باشا يفند هذه الأسباب الأربعة .. ويبدأ من الرابع ، السبب الرابع كلام فارغ ، ان سمح الدكتور بهذا التعبير ، فقد قام طه حسين بواجباته فى ادارة كلية الآداب وفى مراقبة الثقافة وأدى عمله مستشارا لوزارة المعارف ومديرا لجامعة الاسكندرية بكفاية ودقة لا تعرف عن المبصرين ، والسبب الثالث هو سبب يزكيه وليس العكس فان الوزارة تتطلع الى اصلاح التعليم وتيسيره للشعب ،

والسبب الثانى الرد عليه بسيط : ان السراى مخيرة بين النحاس باشا ومعه طه حسين وبين رفض تعيين طه حسين وزيرا للمعـــارف ورفض تعيين النحاس رئيسا لمجلس الوزراء • أما السبب الأول فان النحاس يقول أن الذى يهمنى هو مصلحة الأمة وليس مصلحة الحزب ولا مصلحة الافراد ، وأعضاء الوفد سوف يسرهم جميعا قبولك مشاركتنا فى تحمل أعباء الوزارة •

وطه حسين يقول : فى اعتقادى أن التعليم العام يجب أن يكون مجانيا كى لا يحرم واحد من أبناء الوطن ، كى تتاح لجميع المواطنين فرصة متكافئة •

ويرد النحاس باشا ، عارف ، وأنت لابد متذكر أننا التقينا مرة فى قطار من قطارات الصعيد وتحدثنا فى هذا الموضوع •

ويقول طه حسين : واذا أصبحت أنا وزيرا للمعارف فان رفعتكم ستحبون قطعا اعلان مجانية التعليم فى أول خطاب للعرش تلقونه أمام البرلـــان •

ويسأل النحاس باشا : هذا شرط ؟

ويرد طه حسين : لا ، معاذ الله ، ليس شرطا ولكنه توقع ، اننى أتوقع أن دولتكم ستعلنون مجانية التعليم فى أول خطـــاب للعرش •

ويقول النحاس باشا وهو يتأهب للانصراف : يعنى شرط — على كل حال شرط مقبول •• اتفقنا ، مبروك •

* * *

الوزيـــــر

* فى قاعة مجلس النواب صباح يوم ١٦ يناير ١٩٥٠ ، رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا يلقى خطاب العرش ويصل الى الفقرة الخاصة بالتعليم ، وقد أعدها طه حسين ، فيعلن باسم الملك أن حكومته ترى « أن خير الوسائل لرفع مستوى الشعب وتمكينه من الحياة الخصبة المنتجة التى تنفعه وتنفع الناس ، وتحفظ على المواطن مكانته بين الامم المتحضرة الراقية ، انما هو تعليم أبنائه ، وتثقيف نفوسهم ، وتزكية عقولهم ، وتهذيب أخلاقهم ، وتزويدهم بكل الوسائل التى تتيح لهم الجهاد المنتج فى سبيل الرقى والتقدم ، ولذلك فهى لن تبخل بأى جهد لنشر التعليم وتيسيره ، والتوسـع فى مجانية التعليم حتى تصل به الى المجانية الشاملة ، تحقيقا لتكافؤ الفرص لجميع المواطنين دون تفريق ، وقد قررت فعلا مجانية التعليم الابتدائى والثانوى والفنى منذ اليوم » •

وفى مقهى بحى السيدة زينب بالقاهرة يستمع رواد المقهى فى سكون الى خطاب العرش فيعلو ضجيجهم وهتافهم عند سماع هذه الفقـرة •

يقول عامل لزميله : لا أنسى أبدا يوم كنت أقف مع زملائى فى المدرسة الابتدائية فى طابور الصباح ، ونزل الناظر الى حوش المدرسة ، وبعد التعظيم والتفتيش ، قرأ ضابط المدرسة كشـفا فيه أسماء عشرين تلميذا ، أنا واحد منهم ، وأعلن الناظر أن آباءنا لم يدفعوا المصروفات ، وصرخ بالبواب ففتح البوابة على مصراعيها ، وصرخ فينا نحن العشرين فخرجنا الى الطريق وتفرقنا غارقين فى الخجل الى بيوتنا ، وكنت بعد ذلك أتجنب المرور أمام المدرسـة ، ولم أفتح من يومها كتابا ، ونسيت كل ما كنت تعلمته وأصبحت من الاميـين •

ويرد زميله بعد صمت قصير : الحمد الله ، الآن أولادنا لن تفتح لهم البوابات للخروج الى الشوارع •• ولن ينضـموا الى جيش الاميين !

وفى مبنى وزارة المعارف يزدحم الفناء بوفود تتوالى ، تحضر لتهنئة الوزير ، والوزير قد انتدب موظفا جهير الصوت ، ليشكرهم عنه يرجوهم الانصراف ، ويصل وفد الاتحاد العام للتعليم الحر ، الذى كان قد أقام حفلا لتكريم طه حسين وهو خارج الوزارة فى صيف العام الماضى ، فيأذن الوزير بدخول بعض مندوبيهم ، بعد الحاحهم فى طلب مقابلته ويقول لهم :

أنا شخصيا تعلمت فى معهد حر كريم هو الازهر الشريف ، وتخرجت فى معهد حر آخر وهو الجامعة المصرية القديمة ، وقمت بالتدريس متطوعا فى مدارس حرة وهى مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية والمدارس الاعدادية التى كان المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش ينشئها ، ثم اننى قمت بالتعليم فى الجامعة المصرية حين كانت حرة لا تخضع الحكومة ولا تتصل بها ، وأنا أنظر الى المدارس الحرة فى مصر ، فأرى الذين يعملون فيها مصريين ، والذين يتعلمون فيها مصريين ، ويجب ألا يكون هناك فرق بينهم وبين زملائهم فى التعليم الاميرى فى الحق وفى الواجب أيضا ، هذه هى نظرتى فأرجو أن يطمئنكم ذلك وأن تنصرفوا لأقوم أنا أيضا بما على من الواجبات » (*) .

وينصرف المندوبون وتعلو عند خروجهم الهتافات للوزير .

الوزير يقول لمدير مكتبه : أريد مذكرة عن حالة مدارس التعليم الحر فى كل البلاد ، لا أريد أن تكون لدينا طبقات مختلفـة من المدارس ، بعضها يصلح وبعضها لا يصلح .

(*) من بين هؤلاء كان والد المؤلف الراحل الاستاذ طاهر محمد فراج .

واريد مذكرة عن انشاء نقابة للمعلمين تضمهم جميعا وترعى شئونهم جميعا وتحمل عنهم الأعباء لينصرفوا الى اتقان مهنتهم فإن أساس التعليم الصالح هو الاستاذ الصالح •

ومدير المكتب يـرد : طلبتم وكلاء الوزارة لتبحثـوا معهم الاستعدادات التى يجب اتخاذها بعد اعلان مجانية التعليم • ويأذن الوزير لهم فى الدخول •

* * *

تنتقل الوزارة الى بولكلى فى رمل الاسكندرية لانتقال الملك الى الاسكندرية للاصطياف •

وطه حسـين يترك دار الوزارة فى الاسـكندرية ويتجه الى مستشفى كوتسيكا حيث رزقت ابنته أمينة بمولودها الثانى : بنت سمتها « سوسن »(*) •

يدخل غرفة ابنته بالمستشفى فيفاجىء طبيبها الدكتور حسـين طبوزاده وهو يغنى « اه سوزانا » وهى أغنية أمريكية أخطرها على باله الاسم الذى سميت به المولودة • يرحب الطبيب بالوزير والوزير يرجو أن يكون فن الطبيب خيرا من صوته ! ويسـتأذن الدكتور طبوزاده فى الانصراف ويخرج معه الدكتور الزيات ليودعه ••

ويجلس طه حسين الى جانب ابنته ويقبلها ويسألها : أين هى ؟ أين « سوسن » وتتقدم أمينة المولودة « سوسن » اليه فيحملها بين ذراعيه فى حنان بالغ •

وتقول أمينة معتذرة عن ابنتها : انها لا تجيد الشعر الجاهلى حتى الآن !

(*) المولود الثانى للدكتور محمد حسن الزيات من زوجته أمينة ابنة الدكتور طه حسـين •

* فى منزله بالزمالك عام ١٩٥١ يدخل طه حسين « باشا » الصالون وهو يحمل صندوقا متوسط الحجم • وزوجته تستمع الى اسطوانة موسيقية تدور على « الفونوغراف » الذى إشترته عام ١٩٣٤ •

يقول طه : الدنيا تطورت ــ هذا الفونوغراف استهلك •

وترد سوزان : لا ، انه يؤدى المطلوب منه ، ما هذا ؟

ويقول طــه : هذا « ماجنتفون » أو ما يســميه الانجليز « ريكوردر » •• خليفة الفونغراف الذى توفى الى رحمة الله •

وتقول سوزان : أنت تعرف اننى لا أفهم كثيرا فى هذه الآلات فيشرح طه حسين لها بالتفصيل ماذا يجب أن تفعل ، وهى تعمــل ما يطلبه ، والريكوردر يشتغل ، وتسمع ألحانا من أوبرا حــلاق اشبيليه » •

وتقول سوزان : حلاق اشبيليه ! هذا تسجيل للفرقة الايطالية التى كانت هنا فى الشتاء الماضى ! تذكر ــ عندما ذهبنا •• وتسكت وهى تتخيل دار الاوبرا وبنوار الوزير وهو يسمع بانتباه وتستعيد المنظر على مسرح الاوبرا وطه حسين يتابع الموسيقى ووقع خطوات الراقصين •

وتقول سوزان : هل تذكر الخطاب الذى وصلنا فى اليــوم التــالى •

ويرد طه حسين : نعم الشاب المسكين الذى قال انه كان يعانى من مصاعب وشدائد فى حياته •

وتقول سوزان : لقد كتب لك انه عندما رآك فى الاوبرا ، اقسم انك لم تكن تتابع الموسيقى فقط بل كنت تتابع الرقص التوقيعى

أيضا ، وأنه بعد أن رأى ذلك ، وأدرك كيف واجهت انت بنجاح كل صعب وتحملت بنبل كل حزن ، اتضح له أن مشاكله هو وأحزانه لا وزن لها — وأحس ، وهو يراك ، انه يتخفف تماما مما كان يثقله من المشاكل ، وانه ينتصر هو أيضا على أحزانه •

ويقول طه : نعم اذكر الخطاب ولا أعرف من صاحبه حتى الآن ، اذكر أنه قال انه كان زميلا لاولادنا فى المدرسة — الانتصار على المشاكل ممكن — أما الحزن فانه لا يعلن للناس ، والناس لا تعرف ان كانت أحزاننا قد هزمت أم لم تهزم •• كيف لهم أن يعرفوا ؟

ويقطع الحديث خادم يقول أن أحد إخوة الدكتور يتحدث من مدينة المنيا بالتليفون • ويتناول طه حسين التليفون فيسأل : « كيف كان ذلك ؟ — متى » ؟ ثم يقول « فى أول قطار » •

وتسأل سوزان : أول قطار ؟ هل تسافر ؟ خير ؟

ويقول طه : امى ، كانت فى أحسن ما تكون من الصحة والنشاط ، ثم نامت وفى نومها أسلمت الروح •

وترد سوزان فى حنان قائلة : خفف عنك — وأترك دموعك تنزل — لا تبك بغير دموع • متى نسافر ؟ تنام قليلا ؟

طه حسين : « يحدث نفسه » : اذا كان الصباح ووصل القطار الى المنيا ، ووصلت أنا الى البيت وصعدت السلم ، وأردت أن آخذك بين ذراعى ، فلن أجدك ، لن أراك بعد الآن •

سوزان : ماذا تقول ؟

طه حسين : سيكون البيت خاليا منها هذه المرة ، كما خلا من قبل من والدى • هى المرأة الأولى فى حياتى وأثرها باق عظيم •

* * *

البرلمان المصرى يقرر الغاء المعاهدة البريطانية المصرية المعقودة عام ١٩٣٦ :

رئيس الوزراء مصطفى النحاس يقول فى البرلمان يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ : « باسم مصر أمضيت المعاهدة وباسم مصر ألغيها » •

الانجليز يرفضون هذا الالغاء ، وتتصاعد الأحداث ، ويهاجم جيش الاحتلال البريطانى مركز البوليس فى الاسماعيلية ، فتدافع عنه القوة الموجودة فيه دفاع الأبطال •

وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ يقع حريق القاهرة وفى اليوم التالى تسقط وزارة مصطفى النحاس •

وفى منزل طه حسين يحضر عدد كبير من الأساتذة والصحفيين للزيارة بعد اعلان سقوط وزارة النحاس باشا منهم الاستاذ ابراهيم مصطفى والاستاذ مصطفى عبد الرازق والدكتور محمد كامل حسين ، ويحضر عـــدد من الزائرين من بينهم بعض أفـــراد أسرة رفاعة الطهطاوى ومعهم هدية الدكتور طه حسين وهى صورة لجدهم وعليها اهداء هـــو :

« •• الى طه حسين الذى أحيا فى النصف الثانى من القرن العشرين مدرسة الالسن التى أنشأها جدنا رفاعة الطهطاوى فى عهد محمد على باشا عام ١٨٣٦ » •

ويقول طه حسين : أنا متأثر حقيقة لتقديمكم هذه الهدية ــ ان صراع مصر الثقافى طويل ، نعم محمد على باشا أنشأ المدرسة ، كانوا يدرسون فيها الانجليزى والطليانى والتركى والفارسى ، ولكن خلفاء محمد على أغلقوها •

وبعد انصراف أكثر الزوار يقول الدكتور محمد كامل حســـين للوزير السابق : مبروك ، تعود اذن للانتاج ، لا أقول تأخذ شـــيئا من الراحـــة !

ويقول طه حسين : نعم سأجد وقتا أكثر للمجمع ولجانه ، وكذلك لاملاء الجزء الثانى من كتاب الفتنة الكبرى •• خطتى أن يصدر الكتاب فى أربعة أجزاء لم يصدر منها حتى الآن سوى الجزء الأول عن سيدنا عثمان ، الآن أبدأ الجزء الثانى وقد اخترت عنوانه وسيكون « على وبنوه » •

لابد من الدراسة العميقة لكل هذه الأحداث الخطيرة التى أدت الى مصرع الخليفة عثمان ، والتى انتهت بانقسام العالم الاسلامى ، وقد كان من بين هذه الاسباب سخط المصريين لما نزل بهم من المظالم •

ويقول ابراهيم مصطفى : يظهر أن المظالم مكتوبة على المصريين منذ زمان بعيد •• وان سخطهم لا يتأخر أيضا ، لو سمعت تعليقات الناس هذه الأيام على تصرفات السراى ••

* * *

وفى دار المجمع اللغوى طه حسين يقول الأمين سر المجمع « الدكتور ابراهيم بيومى مدكور » : فى هذا المبنى ، ومع أعضاء اللجان ، أتذوق لذة العمل المخلص ،الذى يتحاشى الأضواء ، فى خدمة اللغة التى هى أساس القومية العربية ، لا أجد هنا الفائدة فحسب بل أجد الراحة أيضا • صديقنا الاستاذ محمود عزمى أطال الله بقاءه يستعمل تعبير « بلاد العربية » لأن الحقيقة أن الرابطة بين هذه الملايين هى أساسا اللغة الفصيحة — التى يصونها هذا المجمع الذى يتصدى لهجمات المطالبين باستعمال اللهجات العامية ، وهذه مطالبة شديدة الخطر لا على لغتنا فقط بل على تراثنا الفكرى وعلى قوميتنا العربية •

ويقول الدكتور مدكور : ان زميلنا عبد العزيز باشا فهمى يرى — كما تعلم — أن نكتب العربية بالحروف اللاتينية •

ويرد طه حسين : عبد العزيز باشا فهمى ، عقله من أكبر العقول فى مصر ، ولغته العربية فصيحة بليغة ، وهو كما تعلم صديق من أعز الاصدقاء ، ولكنى أرفض رأيه هذا وأحاربه حربا لا تتوقف حتى نقضى تماما على هذه الفكرة . اللغة التركية يمكن أن يكتبها أهلها باللاتينية ، أما اللغة العربية فلا .. اللغة التركية ليست لها حروف خاصة بها أصـــلا .

* * *

* ما يـــو عام ١٩٥٢ ، طـــه حسين فى مكتبه بالمنزل يملى على سكرتيره ، الجزء الثانى من كتاب « الفتنة الكبرى » . يقول :

« .. وكان شديد الحرص على أن يحقق المساواة بين الناس فى قوله وعمله وفى وجهه ، وفى قسمته لما كان يقسم فيهم من المال ، بل كان يحرص على هذه المساواة حين يعطى الناس اذا سألوه ... جاءته امرأتان ذات يوم تسألانه ، وتبينان فقرهما ، فصرف لهما حقهما ، وأمر من اشترى لهما ثيابا وطعاما واعطاهما مالا ، ولكن احداهما سألته أن يفضلها على صاحبتها لأنها امرأة من العـــرب ، وصاحبتها من الموالى ، فأخذ شيئا من تراب فنظر فيه ثم قال ، ما أعلم أن اللـــه فضل أحـــدا من الناس على أحد الا بالطـــاعة والتقوى » ..

ويتوقف الاملاء للرد على التليفون .

ويسمع طه حسين حديث محدثه ثم يضع السماعة .

ويقول طه حسين : وزارة جديدة ! ان الوزارة السابقة لم تكمل شهرا واحدا ! مسكينة مصر ـــ كيف يمكن العمل فى هذا الجو !

ويقول السكرتير : لن ننتهى اذن من هذا الكتاب قبل السفر .

ويرد طه : لا بأس ، نكمله فى ايطاليا •• قبل أو بعد مؤتمر اليونسكو فى البندقية فى سبتمبر القادم ان شاء الله ، لا تنس أن نأخذ معنا كتاب « بحار الأنوار » وكتاب « فرق الشيعة » •

ويقول السكرتير : جاهزين ، وهل نأخذ أيضا الكتاب الذى كنا نقرأ فيه أمس ؟ •

ويقول طه حسين : « الاصول المهمة فى معرفة الأئمة » لابن الصباغ ، نعم ، أرجو أن يكون لدينا الوقت فى الصيف لمراجعة هذا كله ثم لاتمام الكتـــاب •

ويقول السكرتير : وهناك كذلك البحث الذى يجب القاؤه فى مؤتمر البندقية •

ويرد طه حسين : ربنا يهون •• اظن أن عندنا بعض الخطابات ؟

ويقول السكرتير : هذا خطاب بشأن وصول السيدة هيلين كيلر الى مصر وطلبها مقابلتكم •

ويقول طه حسين : هذه هى السيدة الامريكية التى لا تبصر ولا تسمع ولا تتكلم والتى تغلبت بعزيمتها الحديدية على كل هذه المعوقات ، لا ، أنا الذى اذهب الىزيارتها فى الفندق ، أظنه فندق « سمير اميس » ، واظن أن زوجتى وولدى يحبان أن يذهبا معى ، ولكن كيف يكون الحديث معها ؟

ويقول السكرتير : الخطاب يقول أن معها سكرتيرة اســمها « مس طومسون » تعرف كيف تتحدث اليها ، وتنقل ردودها •

ويقول طه حسين كأنه يخاطب نفسه ، انها لا ترى ولا تسمع •• ولا تتكلم •• انها لا تتكلم !

* * *

الثـــــورة

* في فندق في قرية « كولى ايزاركو » في شمال ايطاليا على حدود النمسا يجلس طه حسين مع سكرتيره وهو مستمر في املاء كتاب « على وبنوه » يتوقف ويسأل : « أظن ذات موعد وصـــول البريد ؟ انظر هل هناك خطابات وجرائد من مصر — مفروض أن الاستاذ عبد العزيز أحمد يرسلها بنظام » .

ويعود السكرتير ليقول : لا يوجد بريد من مصر ، يوجد خطاب من اليونسكو بشأن مؤتمر الفنانين والأدباء في سبتمبر ، في ظرف يحوى أوراقا كثيرة — هل أبدأ قراءتها ؟

ويقول طه حسين : لا — ليس الآن ، كنت أرجو أن تصل خطابات من مصر .

ويدخل مدير الفندق مسرعا يقول : — تليفون من روما — من السفارة المصرية لمعالى الدكتور . ويحضر التليفون ويضعه أمامه ليتحدث فيه يقول :

« نعم أنا طه حسين ، أهلا سيادة السفير ، ثورة ؟ في مصر ، سمعتم اذاعة القاهرة بأنفسكم .. والملك ؟ والانجليز ؟ شـــكرا سيادة السفير سأنتظر بجوار التليفون » . ويضع السماعة وينادى منفعـــلا :

سوزان ! سوزان قامت الثورة في مصر . ثورة ضد الملك .

وتسأل سوزان : الثورة ؟ كيف علمت ؟ بالتليفون ؟ تليفون من الســـفارة ؟

ويرد طه : نعم .. أظن نعود الى مصر .

وتقول سوزان : نسمع الاذاعة أولا ، هذا خبر ستذيعه قطعا كل اذاعات العـالم •

ويقول طه : طبعا كما انى طلبت أن يوالونى بالاخبار من رومـا •

وتقول سـوزان : نسمع الاذاعة أولا ، نعود الى مصر ؟ ومؤتمر البندقية الذى لم يبق على موعد انعقاده سوى أسابيع قليلة ، وأنت ، أنت مقرر لجنة الأدب فى المؤتمر !

ويقول طه حسين : نعم ، وقد وصل هذا الصباح خطاب آخر من اليونسكو وداخله وثائق جديدة لم أقرأها بعد • اليونسكو يكتب بانتظام لابلاغى كل التطورات •• ان المشرف على المؤتمر يرسل لى كل الوثائق ، ويلخص لى كل الأوراق ، ولا ينسى حتى أن يصف لى اللوحات والتماثيل التىسيراها أعضاء المؤتمر فى البندقية وصـفا دقيقا وجميلا •

وتقول سوزان : هذا جميل ومؤثر ، ويدل على مدى اهتمامهم بك وتقديرهم لك • خطابك فى اليونسكو فى سبتمبر سيكون أول خطاب يلقى باسم مصر بعد الثورة ، خطاب مصر الجديدة ، مصر التى لم تتجاوز الشهر الثانى من عمرها ، اظن من الضرورى حضـور المؤتمر ، ثم نسافر فورا الى مصر •

* * *

فى مدينة البندقية فى القاعة التى ينعقد فيها مؤتمر اليونسكو ، فى الاسبوع الاخير من سبتمبر ٥٢ ، طه حسين يلقى خطابه :

« فى هذه الحقبة المضطربة فى حياة الانسان ، لا من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية فقط ، بل من الناحية النفسية

أيضا ، فى هذه الحقبة التى يتساءل فيها الانسان عن مصيره ، يجدر بالكاتب أن يلقى ضوءاً على موقفه من نفسه ومن قرائه ومن مجتمعه ..

نحن فى عصر تتقدم فيه الصناعات ، وتتعـــدد فيه وسائل التسلية واللهو ، ويتضاءل فيه لذلك دور الكاتب فى تكوين الثقافات ، وهناك من الكتاب من يتبسط ليجتذب القراء ، فيفرط فيما يفرضه الضمير من ضرورة الالتزام بقواعد الفن وحدها[1] ..

* * *

وفى الصباح التالى يجلس طه حسين مع زوجته فى غرفتهما بالفندق يتناولان طعام الافطار .

تقول سوزان : خذ قطعة من التوست والا فانى لن أقرأ لك ما نشر عنك فى الجرائد الايطالية فى هذا الصباح .

ويقول طه : هل تعرفين أنى أهتم ؟

وتقول سوزان : يجب أن تهتم ، عندما أردت أن تعود الى مصر بعد الثورة مباشرة تتذكر أننى عارضت وقلت لك أن خطابك فى اليونسكو سيكون أول خطاب دولى لمصر الجديدة ، التى ستكون قد بلغت الشهر الثانى من عمرها يوم إلقائك الخطاب .

ويقول طه : اقرئى اذن .

وتقول سوزان : خذ التوســـت .

ويأخذ طه حسين قطعة الخبز .

---

(١) نشر الخطاب كاملا بالفرنسية فى كتاب « الفنان فى المجتمع المعاصر » مطبوعات اليونسكو ، باريس ١٩٥٤ وظهرت له ترجمة عربية للاستاذ فؤاد دوارة فى مجلة عالم الفكر ، الكويت خريف ١٩٨٠ .

وتقول سوزان : المقال للسنيور فرارى وقد جاء فيه :

« يعقد الآن مؤتمر اليونسكو دورته فى مدينة البندقية ، ومقرر اللجنة الأدبية هو الكاتب المصرى طه حسين ، ملهم الثورة الاجتماعية والاقتصادية القائمة فى مصر » •

ويقول طه حسين : أستغفر الله •

وتقول سوزان وهى تتابع القراءة « وطه حسين عضو فى الاكاديمية الايطالية بروما وعضو مراسل لاكاديمية الآداب الرفيعة فى باريس ، والمهمة •• » •

ويقول طه حسين ضاحكا : مصيبتهم سودة •• نسوا مجمع اللغة العربية فى مصر ، لطفى باشا لن يغفر لهم هذا ••

وتستمر سوزان فى القراءة فتقول : « والمهمة الخطيرة التى عهد بها اليه فى المؤتمر الدولى المنعقد الآن فى البندقية توطد دعائم صيته الذائع فى أرجاء العالم » •

الجمهــورية

* في فندق صغير في الطريق من روما الى فلورنسة في صباح التاسع عشر من يونيو عام ١٩٥٣ .

يجلس طه حسين وزوجته يتناولان الافطار مبكرا ، وامتعتهما تنزل الى سيارة صغيرة يسافران فيها من روما التى غادراها مساء أمس الى مدينة فلورنسة ، وكان طه حسين قد طلب أن تقدم له صحيفة الصباح مع هذا الافطار المبكر .

والسيدة سوزان تلقى نظرة على الصحيفة فتقول : « لقــد أعلنت الجمهورية فى مصر . أعلنت الجمهورية أمس ، الثامن عشر من يونيو ١٩٥٣ » .

ويقول طه حسين : « أعلنت الجمهورية ! » .

وترد سوزان : هذا هو الخبر : القاهرة ـــ فى الثامن عشر من يونيـــو ..

وطه حسين لم يعد يسمعها ، انه يفكر فيما بينه وبين نفسه « ما أعظم الفرق بين حياتنا التى نحياها منذ اليوم وحياتنا التى كنا نحياها من قبل والتى كان آباؤنا وأجدادنا يحيونها منذ الآلاف المؤلفة من السنين . المصريون القـــدماء كانوا يعبـــدون ملوكهم ويتخذونهم آلهة مقدسين ، يرفعون اليهم الصلوات والقرابين ، المصريون القدماء كانوا يخضعون للولاة والملوك الأجانب الذين كانوا يأتونهم من أقطار الأرض المختلفة ، كانوا يعبدون قياصرة رومـــا .

المصريون القدماء كانوا يشترون ملوكهم بالمال ، يجلبونهم من بلاد الشركس والقوقاز رقيقا أطفالا يخطفهم النخاسون .

المصريون تنقطع الصلة بينهم وبين العالم الخارجى بغزو الترك العثمانيين تستيقظ أوربا وهم نيام . يستيقظون فى القرن الماضى يقظة مقيدة بسلطان الترك العثمانيين الذى يأتيهم من الخارج ، وبهذه الولاية المتوارثة التى استقرت فيهم ، ثم بهذا الملك المتوارث الذى فرضته عليهم حماية الانجليز ، وها هم يتخلصون من هذا كله ، وسيرفعون الى رياسة الدولة المصرية رجلا لا يمتاز عن سائر المصريين بمولد ، ولا بثروة ، ولا بقوة أجنبية تسنده .. » .

وتسأل سوزان : « أين أنت ؟ اننى أقرأ وأتحدث إليك وأنت غائب .. غائب عنى وعن كل ما حولك » .

فيرد : أفكر فى مصر .. ما احتملت وقاست من الخطوب ضروبا وألوانا ، دون أن تفقد شخصيتها ودون أن تنسى كرامتها ، ودون أن تفتر لحظة واحدة عن الجهاد فى سبيل تلك الشخصية وهذه الكرامة ، ودون أن تقصر لحظة عن المشاركة فى ترقية الحضـــارة الانسانية ، فاستيقنت أثناء هذا التفكير أن مصر هى المثل الرائع للوطن الأصيل الذى لم يخلق ليفنى فى غيره ، والذى لم يخلق ليذعن لغيره ، وانما خلق ليفرض نفسه على الدهور ولتعيش أمته خالدة كما أنه هو خالد ، كريمة كما أنه هو كريم ، عزيزة كما أنه هو عزيز ، قاهرة للأحداث والخطوب كما أنه قاهر للاحداث والخطوب ، قادرة على أن تنفذ من المشكلات مهما تكن ، وتقهر المصاعب مهما تعظم ! » .

وتسأل سوزان : فكرت أنت فى هذا كله ، وأنا أقرأ لك خبرا فى صحيفة . على عامود ، فى عدة سطور ؟ أبحرت بعيدا عنى وأنا أحاول أن أقرأ لك الأخبار ؟ أنت ترى اننى لا أستحق أن تستمع الى ..

ويأخذ طه حسين يديها فى يديه ويقول : لا ، كنت استمع اليك ، كان صوتك العذب يساعدنى — كعهده دائما — على التفكير !

وتقول سوزان : المهم ، اتركك الآن ، سأعود لنسمع معا نشرة الاخبار التالية ، ثم يجب أن نغادر هذا الفندق سريعا لنذهب الى فلورنسة ، ومبارك عليك جمهورية مصر !

* * *

وفى فلورنسه ينعقد اجتماع مؤتمر الحضارة والسلام :

وبين المدعوين قناصل الدول ، ومنهم قنصل « جمهورية » مصر العام مصطفى السعدنى ، وبين الأعضاء طه حسين يمثل مصر فى المؤتمر والى يمينه زوجته .

ويقول رئيس المؤتمر وهو على المنصة : « والآن يسرنى أن أدعو الكاتب المصرى الدكتور طه حسين للكلام » .

ويقول طه حسين لزوجته : لقد كنت فهمت أننى أشارك فى المؤتمر مستمعا . لم أعد شيئا لهذا المؤتمر . طوال هذا الاسبوع الذى قضيناه هنا لم أقرأ شيئا غير القرآن .

وتقول سوزان : انهم يصفقون لك .. الكلام الذى كنت تقوله لى فى طريق حلوان ، وكلمة شكر ، هذا يكفى ثم تعود للاستماع .

ويسير مؤنس مع والده الى المنصة ، فيجلس عليهاويبدأحديثه بالفرنسية يقول :

« أحب — أيها السيدات والسادة — أن أتحدث اليكم حديثا قصيرا عن الصلة بين السلام وبين ديننا الاسلام .. ان اسم الاسلام أشتق من السلم وأن المسلم فى القرآن هو الذى يسلم الناس من لسانه ويده ، وأن ابراهيم أبا الأديان السماوية قد جاء ربه بقلب سليم ، وقد أسلم وجهه حنيفا فالمسلمون أهل السلام » .

بين أعضاء المؤتمر استاذ فرنسى تجلس الى جانبه سيدة من شيلى تقول السيدة : هذا حديث بديع ، بغير أوراق ولا مذكرات •• ويقول لها جارها الفرنسى : وكيف تريدين أن يستعمل الاوراق والمذكرات •• وتقول السيدة : « لقد انتقل الآن الى الحديث عن « الصلاة » يظهر أن معنى الكلمة الاصلى فى اللغة العربية « هو الدعاء » انه يقول أن هناك نصا تاريخيا لدعاء كان النبى يدعو به •

ويتابع طه حسين الحديث قائلا :

« كان الرسول ﷺ يدعو بهذا الدعاء اذا تهجد فى الليل ، وهذه ترجمتى الدعاء ، وهى لا تصور الا قليلا بلاغة وجمال الأصل العربى ، الدعاء هو :

« اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والموت حق ، والساعة حق » •

وتقول السيدة لجارها ، اريد أن أكتب هذا لأسجله •

ويستمر طه حسين فى محاضرته قائلا : « ويستمر الدعاء أيها السادة والسيدات فيتضمن فقرة كانت دائما أمام ناظرى » •

وتقول السيدة لجارها : أمام ناظريه ؟ !

ويقول طه حسين مستمرا فى حديثه : تضىء لى الطريق فى حياتى كلها ••

وتقول السيدة : تضىء له الطريق ؟ !

ويقول طه حسين مستمرا : تضىء لى الطريق فى حياتى كلها وهى :

اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت •

فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أعلنت وما أسررت ، انت الهى لا اله الا أنت » •

وتدوى القاعة بالتصفيق ويتقدم مؤنس لينزل معه والده من فوق المنصـــة •

وتجرى مندوبة دولة شيلى نحو طه حسين تقول له :

« سيدى الدكتور •• سيدى الدكتور •• أرجو أن تعطينى نسخة من هذا الدعاء ، دعاء رسول الاسلام ، لأننى أريد أن أعيش به ، أن أعيش بهذا الدعاء ، أدعو به كل ليلة ، وأريد أن تحمل أنت الى دينكم الاسلام ، الذى حببتنى فيه منذ اليوم ، أن تحمـــل اليه حبى ودموعى » •

ويرد الدكتور طه : حبك كفاية يا سيدتى •• لا داعى للدموع •• سأطلب الى مؤنس أن يعطيك نسخة من الدعاء • وشكرا جزيلا •

ما زال التصفيق يدوى والمهنئون الآخرون يتزاحمون •

ويقول قنصل مصر العـــام لطه حسين : رفعـــت رأس مصر يا سيدى ورأس العرب ورأس المسلمين ، سأكتب لمصر فـــورا وسيسعد مصر الجديدة ان تعرف ما جرى اليوم •

ويقبل سينيور لابيرا ، رئيس المؤتمر ، على طه حسين ويقول للقنصل المصرى : معذرة يا سيدى القنصل ، طه حسين عندكم فى مصر طوال أيام السنة ، اترك لى هذه اللحظة • لأقول لطه حسين إنك جعلت هذا اليوم خالداً فى تاريخ مدينتى فلورنسه ، لقد بشرت فيها بالعدالة أساسا للسلام وللتعاون ، بشرت بها لشعوب البحر

الأبيض ، لجميع شعوب العالم ، اليوم يدرك الجميع انك ، وشعب مصر ، وشعوب العرب جميعا تنشدون العدالة أساسا للسـلام ، وتستحقون الوصول الى العدالة للوصول الى السلام .

وعندما يحين موعد الانصراف تقول السيدة سوزان لزوجها وهما يخرجان : هذا أنت تتفوق على نفسك .

ويقول مؤنس : وأنت .. أنت كنت تقول لنا انك لم تكن تدرى ماذا تقول !

ويقول طه حسين : حقيقة لم أكن أدرى — لم أعد نفسي للكلام طوال الاسبوع كما قلت لكم ، كنت أقرأ القرآن ، ومع ذلك فانني فى الواقع راض عن نفسي وراض عن حديثى اليوم ، وما تعودت أن أرضى عن نفسى أبدا ، وما رضيت من قبل عن حديث ألقيتــه فى أى وقت من الأوقات ، ولكن كيف كانت اللغة — كيف كانت لغتى الفرنســية ؟

ويقول مؤنس مداعبا : شنيعة ..

وتقول سوزان : ألا تكف عن هذه الأسئلة فى هذه اللحظــة المفعمة بالعزة والفخر ؟ ألن ترضى عن نفسك أبدا ؟ كانت لغتك طبعا كالعادة رائعة .

ويقول طه حسين : لقد قلت لك اننى راض عن نفسى اليوم ، وهذا الدعاء .. لقد تلوته لنفسى قبل أن أنام أمس .. ولكن تلاوتى لترجمته اليوم علنا كان لها تأثير غريب فى نفسى . لقد حرك فيها شوقاً قويا الى زيارة أرض الحجاز ، ومدينة الرسول .

وتقول السيدة سوزان : أما أنا فقد كنت أفكر فى والدك .. كنت أريد أن يسمعك أبوك .. وكنت أريد أن تسمعك والدتك .. كما كنت أريد أن تكون بنتك حاضرة .

طه حسين : أمينة فى أمريكا مع زوجها ، طال غيابها عنا ، بنتهم الثانية ولدت هناك ولم نرها حتى الآن .. ترى ما هو شكل هذه المولودة الامريكية ، لقد سموها « منى »(*) ،ومحمد أخبرنى أنهم فى المستشفى طلبوا اليه اسما ثانيا على عادة الامريكان فسماها باسم والدته : بديعة وكنت أنا أفضل اسم « آمنة » والدة الرسول ﷺ على اسم « منى » .

سوزان : سنراها ونراهم أخيرا ، كتبت الى أمينة أنهم سيحضرون لزيارتنا فى الجبل فى ايطاليا ، فى الصيف القادم فى طريقهم لقضاء الاجازة بمصر .

* * *

فى صيف العام التالى ، يلتقى طه حسين وزوجه بابنتهما أمينة وزوجها وأولادهما الثلاثة فى قرية من قرى شمال ايطاليا اسمها « كولى ايزاركو » وطه حسين يجلس فى حديقة الفندق فى الصباح عندما تقبل عليه حفيدته .

« سوسن » بنت ابنته المولودة فى الاسكندرية ، وعمرها الآن ثلاث سنوات تلقى بنفسها بين ذراعيه . وتقول له : « أنا اللعبة .. اللعبة جاءت لك » .

ويعانقها طه حسين ويقول لها : تعالى اذن يا نور حياتى .. ويجلسها على حجره ..

وتحضر أمينة ابنته — ومعها طفلتها الثانية « منى » وعمرها سنتان .

فيقول طه حسين : تعالى يا منى .

(*) آخر العنقود فى ذرية د. محمد حسن الزيات وأمينة طه حسين .

وترد منى قائلة : لا ..

ويسأل طه حسين : ليه لا ..

وتقول منى : بابا بيقولى انك علمته يقول لا ..

ويقول طه حسين : لم أعلمه يقول لا ، عمال على بطال ، يقول لا لما يلزم يقول لا .. تعالى ..

وتقول منى : وتحكى لى حكاية ؟

ويرد طه حسين : تعالى .. احك لك حكاية أمير المؤمنين عمر ..

فتقول منى : أنا لا أحب الأمراء ..

ويقول طه حسين : سيدنا عمر لم يكن أميرا من الامراء الذين لا تحبينهم ، لقد كان أميرا للمؤمنين . يعنى رئيسا للمسلمين ، كان رجلا بسيطا يلبس ملابس بسيطة ويخرج بالليل ويمشى ليطمئن على أحوال الناس وذات ليلة ..

وتقطع حديث طه حسين لحفيدته سيدة ايطالية تقبل ملوحة بمجلة فى يدها ، وتقول فى إنفعال : اكسلانس . هل تسمح لى أن أتحدث اليك دون سابق معرفة .. هذه المجلة صدرت اليوم وفيها صورتك .. مع تسع وتسعين صورة أخرى ، انهم المائة رجل الذين تقول المجلة فى مقال بامضاء « دونالد روبنسون » أنهم أعظم رجال الدنيا المعاصرين . عرفتك من الصورة ، وقلت اذن معنا — فى هـذا الفندق — فى هذه القرية الايطالية واحد من أعظم مائة رجل من الأحياء الذين يؤثرون فى العالم — معذرة لتطفلى — ولكنى قد اشتريت المجلة اليوم — واطلعت عليها الآن — ورأيتك تجلس فى الحديقة .. استأذن ..

ويقول طه حسين : شكرا يا سيدتى .. ثم يلتفت لأمينة ابنته ويسألها : أين حسن وأبوه(*) ؟

وترد أمينة : حسن مع أبيه ، يسيران فى الجبل منذ الصباح .. وعلى فكرة الاولاد فضحونا .. مساء أمس تجولوا فى الجبل وقطفوا ثمار التفاح من فوق الاشجار .. لم يتصوروا أن تكون الجبال ملكا لأحد ، حتى جاء الفلاح غاضبا فطاروا أمامه الى الفندق ..

وتدخل السيدة سوزان فى خطوات نشطة تطلب الى زوجها أن ينهض للسير للنزهة .

ويقول طه حسين : لم أكمل القصة لمنى .

وتقول سوزان : هذا وقت النزهة ، نكمل القصة لما نرجع .. ثم اننى أريد أن اشترى مجلة معينة يقولون ان فيها شيئا يهمنى .

ويقول طه حسين : كلام فارغ .. دونالد روبنسون .. الكاتب الامريكى الذى زار مصر أيام حريق القاهرة ، اخرج كتابا عن مائة رجل من رجال العالم ويظهر انه ذكرنى .

وتتساءل سوزان : وكيف علمت ذلك ، من أخبرك ؟ فريد لم يكن معك هذا الصباح ، أنه ذهب الى البنك والبوستة .. وأمينة لم تنزل من الغرفة الا الآن ، ومحمد فى الجبل مع ابنه حسن .. وسوسن ومنى لا تستطيعان القراءة بعد .. من أخبرك ؟

ويرد طه حسين مبتسما ابتسامة ماكرة : وهل تعتقدين انك المرأة الجميلة الوحيدة فى هذا الفندق التى تقرأ الصحف والمجلات ؟

(*) يستفسر عن د. محمد حسن الزيات زوج ابنته أمينة وحسن ابنهما .

ويصل فريد السكرتير حاملا الصحف المصرية والخطابات »
يقول : مجلة روز اليوسف نشرت بشكل بارز تصريحك الذى تقول فيه أن أساس التعليم الصالح هو اختيار الطالب الدراسة التى يرغب فيها — يوجد كذلك خطاب من لجنة وضع الدستور الجديد الذى اخترتم عضوا فيها وخطاب من •••

وتقاطعه السيدة سوزان بقولها : سنقرأ هذا كله بعد النزهة ، والجرائد والرسائل تستطيع أن تنتظر عودتنا •

ويتساءل طه حسين : منى — أين منى •• كنت أحكى لها •• وأين حسن ، وأبوه وسوسن ؟ الا ألقى نظرة على الصحف وأنا فى انتظارهم ؟

وترد سوزان : كلهم سيلحقون بنا ، ومن جهة الصحف والرسائل فاننا سنكون فى مصر بعد وقت قريب جدا •• وسنجد هناك يوميا كل الصحف وكل الرسائل وكل التليفونات وكل الكتب وكل الزيارات وكل الاستقبالات •• الآن نمشى تحت هذه السماء الجميلة •• وفى ظل هذه الأشجار الشامخة التى لن تحضر معنا الى مصر •

* * *

وتعطى الجرائد والرسائل للسكرتير وتقول : احتفظ بها حتى نعــود •

* فى مصر ، فى منزل طه حسين بالزمالك فى غرفة المكتب وقد عادت أسرة طه حسين الى مصر وعاد طه حسين الى برنامجه اليومى يقول السكرتير : وصلنا خطاب باليد بامضاء « سير كلود ماكنزى » يطلب موعدا للزيارة •

ويسأل طه حسين : ومن هو السير كلود ماكنزى ؟

ويقول السكرتير : هذه نبذة مرفقة بخطابه عن تاريخ حياته : انه خبير عالمى فى شئون المكفوفين ، وقد فقد هو نفسه بصره فى الحرب العالمية الأولى ، حرب سنة ١٩١٤ ، وهو الآن يزور عدة بلاد فى أرجاء العالم ، ويتوقف بمصر يومين فقط ، ويسأل ان كان الوقت يتسع لزيارته .

ويقول طه حسين : يومين .. اذن يحضر غدا الساعة الحادية عشرة ، ان كان هذا الموعد يوافقه .

وفى اليوم التالى يخرج سير كلود ماكنزى من منزل العميد بعد انتهاء زيارته له وسيارته تنتظره وصحفيون ينتظرونه .

يقول سير كلود للصحفيين : اعتقد أن مصر يجب أن تفخـر بالدكتور طه حسين .. فهو عبقرية فذة قل ان يجود الزمان بمثلها .. اننى أغبطكم لأنكم تعيشون على الأرض التى أنجبت طه حسين .. كما أغبط نفسى لأننى تعرفت اليه ، وجلست معه هذا الوقت الطويل .

ويقول له صحفى : هل تخبرنا عن طبيعة عملك وعما تريـد تحقيقه والوصول اليه ؟ .

ويرد سير كلود : كل أملى فى الدنيا هو أن يتمتع المكفوفون فى العالم بحقوقهم كآدميين ، فيجب أن يكون حب المجتمع لهم وعطفه عليهم هو النور الذى يهديهم سواء السبيل . من يدرى ؟ قد يكون بين هؤلاء المكفوفين هلين كيلر أخرى أو طه حسين آخـر .

ويسأل صحفى آخر : هل تحدثت مع الدكتور طه حسين ، عن عمله خارج ميدان التعليم والثقافة ، فهو كما تعلم عضو فى لجنـة وضع الدستور الجديد .

ويرد سير كلود : عرفت بالصدفة انه معنى بوضع المواد الخاصة

بحقوق الانسان فى مشروع الدستور الجديد ، دستور الثورة ، وانه يتعاون على صياغتها مع أحد أساتذة كلية الحقوق .

وهذا موضوع لا يهم العلماء ولا يهم المصريين فقط لكنه يهم العالم كله ، الناس جميعا فى كل مكان يريدون أن تصـــان حقوق الانسان . وأنا سعيد باهتمام طه حسين الشديد بهذا الموضوع .

* فى القاهرة بعد عودته من المملكة العربية السعودية وفى منزل طه حسين بالزمالك يجلس الاستاذ كامل الشناوى مع العميد فى مكتبه . وهو يسأل : هل زرتم الأماكن المقدسة مرتين ؟

الدكتور طه حسين يقول : لا .. مرة واحدة .. وكانت فى هذه المرة الواحدة مع الناس ومع نفسى فى وقت واحد . .

ويقول كامل الشناوى : هذا كلام يحتاج الى ايضاح .

ويرد طه حسين : اليك الايضاح : لقد جرت العادة عندما يصل المرء الى الكعبة أو المسجد الحرام أن تتسلمه طائفة من أناس يسمون فى مكة بالمطوفين أى الذين يقومون باجراءات الطـواف بالكعبـة ويسمون فى المدينة بالمزورين أى الذين يقومون باجراءات الزيارة لقبر الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويقول كامل الشناوى « مقاطعا » : علمت انكم سافرتم للمدينة المنورة فى طائرة صغيرة خطرة مع أنكم لا تركبون الطائرات أبدا وسبق أن رفضتم دعوات هامة جدا لامريكا ولروسيا والهند .. لأن تلبيتها كانت تستلزم ركوب الطيارة ؟ ولم تلبوا حتى دعوات ابنتكم وصهركم لزيارتهما وهما فى أى منصب فى السلك الدبلوماسى فى أى بلد لهذا السبب .

ويقول له طه حسين : لم يكن من الممكن أن أتخلف عن هذه الزيارة ، ولم تكن هناك طريقة أخرى غير الطيارة ، كنت أحس انه

لابد لى من زيارتها لولا خوف الغرور لقلت أنها كانت دعوة من خارج نفسى •• دعوة آمرة ••

ويستفهم كامل الشناوى : دعوة آمرة ؟ •

ويقول طه حسين : دعوة آمرة لابد أن تلبى •

ويقـــول كامل الشناوى بعد سكوت : نعـــود الى المطوفين والمزورين •

ويقول طه حسين : حاولت جهدى أن أتخلص من المطوفين والمزورين ولكن محاولاتى ذهبت هباء ، ووجدتنى بين أيديهم أردد بلا وعى ما يقولونه ، ووجدتنى فى الوقت نفسه وحدى وان كنت فى صحبتهم ، كنت شخصية واعية بلا كلام ، وشخصـــية متكلمة بلا وعى • كانت الشخصية المتكلمة تردد كلام المطوفين والمزورين ، وكانت الشخصية الواعية بلا كلام تناجى ربها فى صدق وصمت وخشـــوع •

ويسأل كامل الشناوى : وبماذا ناجيت ربك فى صمت وصدق وخشـــوع ؟ •

ويقول طه حسين : بدعاء سبق أن ألقيته فى فلورنسا ، فأثار الدموع فى عيون السامعين من غير المسلمين ــ وأثار الشوق فى قلبى أنا ــ لزيارة مدينة الرسول •

أوله « اللهم لك الحمد »

وآخره : « أنت الهى لا اله الا أنت •

أنت نور السموات والأرض •• » •

* * *

بعد خروج الاستاذ كامل الشناوى دخلت السيدة سوزان تسأل زوجهـا : طال الحديث ، اثقل عليك ؟

ورد طه حسين : لا ، لم احس بطول الحديث ، كنت أتحدث عن رحلة الحجاز — أجد فى نفسى راحة كبيرة عندما أتحدث عنها فلا أحس بأن الوقت قد طال — تذكرين ما كتبته اليك وأنا هناك لقد كتبت اليك .. « أن الاسلام هو دين الصفاء » .

وتقول السيدة سوزان : نعم .. أنت سعيد برحلتـك الى السعودية وأنا سعيدة بسعادتك ، ولكن الآن أريد أن أحدثك فى موضوعات أرضية : أولا موضوع البيت الذى نبنيه فى طريق الهرم ومشاكل المبانى المتعبة — الحلم ببناء المنزل كان حلما كله سعادة — تحقيق الحلم أو خطوات تحقيق الحلم كلها متاعب ، وأخشى انك لابد أن تشاركنى فى البحث عن الحلول .. ثانيا أريد أن تملى على رد خطاب الدعوة لحضور مؤتمر البندقية .. وهناك أيضا دعوة لمؤتمر فى بيروت عن « مهمة الجامعة فى العالم العربى » .

ويقول طه حسين — نعم هذه دعوة قديمة ومهمة الجامعة فى العالم العربى موضوع حيوى ، وقد سبق أن قبلت الدعوة لأهمية هذا الموضوع .

* * *

يخرج الدكتور طه من قاعة الاجتماع فى بيروت ، ويلتف حوله عدد من الشباب اللبنانيين يسألونه عن اللغة العامية والأدب العامى ..

وطه حسين يكسو وجهه الجد عند سماع السؤال ، وكان قبل ذلك يبتسم مرحبا بالشباب ، ويقول لهم جادا : « فلنحذر من أن نشـجع الكتابة باللهجات العامية ، فيمعن كل قطر فى لهجته ، وتمعن هـذه

اللهجات فى التباعد والتنافر ويأتى يوم يحتاج فيه المصرى الى أن يترجم لهجته الى كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين ويحتاج أهل سوريا ولبنان والعراق الى مثل ما يحتاج اليه المصريون ، كما يترجم الفرنسيون عن الايطاليين والاسبانيين .

ويسأل شاب لبنانى : وأى بأس فى أن نكون مثل فرنسا أو ايطاليا أو اسبانيا ؟

ويرد طه حسين : أيهما خير ؟ أن يكون العالم العربى كله لغة واحدة هى الفصحى يفهمها أهل مراكش كما يفهمها أهل العراق ، أم أن تكون له لغات بعدد الأقطار التى يتألف منها ؟ أما أنا فأوثر وحدة الفكر ، واثق الثقة كلها بأن لها النصر آخر الأمر ، وأرى أن وحدة اللغة خليقة بأن يجاهد فى سبيلها المجاهدون .. » .

* * *

وعلى الباخرة اسبيريا يقول طه حسين لزوجته — وقد ركبا الباخرة من بيروت : لقد أوشكنا على الوصول .. هذه هى الاسكندرية .

وترد سوزان : ما أشد شوقك اليها .

ويقول طه : وأنت ، ألا ترين منذ الآن وجوه المصريين تبتسم لك .

وترد سوزان : نعم أرض مصر كلها تبتسم .. وهذه المرة ستجد كثيرا من المستقبلين ، تذكر عندما عدنا عام ١٩٤٩ .

ويقول طه : فى عام ١٩٤٩ كان الملك موجودا ، وكان الملك غاضبا على ، ولم يكن من الحكمة استقبال رجل قد غضب عليه الملك .

وتقول سوزان : والآن لحسن الحظ لا غضب ولا ملك ، — ولكن لسوء الحظ لا أمينة ولا زوجها أيضا ، ولا الاولاد — حسن الزيات الآن فى السادسة من عمره ، وسوسن فى الخامسة ومنى فى الرابعة ، وكلهم فى طهران .

ويقول طه : محمد(*) يقوم بعمل ممتاز هناك فيما اسمع ، انه قائم بأعمال السفارة كما تعرفين ، وقد كتب يلح علينا فى أن نزورهم .

وتسأل سوزان : ألا نستطيع ؟

ويقول طه حسين : « لا سبيل للوصول اليهم الا بالطيارة ! ولولا ذلك لاسرعت بالسفر ، لأنى أريد أن أزورهم ، ولأنى أريد أن أزور ايران أيضا — الحضارة الاسلامية والعربية ملأى بأسماء من ايران ، وكل اسم من اسماء هذه المدن يثير فى النفس الذكريات ، تذكرين الأبيات التى كنت أغنيها لحسن ؟

ألا يا أيهــا الســاقى أدر كاســا وناولهــا

كه عشق أسان نمود أول ، ولى أفتاد مشكلها

وتسأل سوزان : هذا شعر شاعر فارسى ؟

ويقول طه : نعم ، شعر حافظ الشيرازى ، وشعراؤنا العرب زاروا ايران أيضا وتغنوا بجمالها ، المتنبى ركب حصانه هناك وسار فى واد اسمه « شعب بوان » فتن بالأرض الخضراء حوله ترتفع جبالا ، والماء يسيل منها الى الوادى ، فدفعه ذلك الى مخاطبــة حصــانه .

وتتساءل سوزان : الى مخاطبة حصانه ؟

ويقول طه : نعم ، والمهم أن حصانه قد رد عليه .

(*) يقصد زوج ابنته محمد حسن الزيات .

وتسأل سوزان : رد عليه بالعربى ؟ ولكن ألم يكن الحصان فارسيا ؟

ويقول طه حسين : تذكرين عندما أخذنا أمينة وهى صغيرة الى فرنسا الأول مرة ؟

وتتذكر سوزان : نعم وسألتنى عن الخيل التى رأيناها فى فرنسا هل جنسيتها فرنسية ! لكن قل لى ماذا قال الحصان فى ايران ؟

ويقول طه : المتنبى هو الذى نقل ألينا ما قاله ، قال :

يقول بشعب بوان حصانى
أعن هذا يسار الى الطعان
أبوكم آدم خلق المعاصى
وعلمكم مفارقة الجنان

لكن قولى لى يا سوزان هل آدم هو الذى خلق المعاصى ؟ أم حواء ؟

وتقول سوزان : لا أرد على هذا الكلام .. اذا لم نذهب قريبا الى ايران فأرجو أن يحضروا هم الى مصر ، عملت ترتيب اقامتهم فى بيتنا الجديد .

ويقول طه حسين : بيتنا الجديد !

وترد سوزان : حديقة المنزل ستكون متسعة .. يلعب فيها الأطفال الثلاثة ، لكن المهم أن تنتهى الأعمال المرهقة التى يسمونها « التشطيب » وأن ينتهى ليلى ومؤنس من اعداد سكنهما .

ويعود طه حسين للتأمل ويقول : بيت لنا ، وحديقة — وأمينة وزوجها ، وأطفال لهما يلعبون فى الحديقة ، ومؤنس وزوجته فى مسكنهما الهادىء معنا فى « رامتان » ! اللهم لك الحمد .. أنت نور السموات والأرض .

* * *

« رامتـــــان ! »

* في المنزل بالزمالك : طه حسين وزوجته يتناولان القهوة ، وقد خلا المنزل من أثاثه الذى تم نقله الى المنزل الجديد فى طريق الهرم •

تسأل سوزان : هل سيكون لمنزلنا الجديد اسم ؟

ويرد طه حسين : نعم ان أردت •

وتقول سوزان : أريد ، ماذا نسميه ؟

ويقول طه حسين : — بعد تفكير — رامتان !

وتسأل سوزان — رامتان ؟ كلمة عربية ؟

ويقول طه حسين : نعم •• الرامة موضع بالبادية يستريح لديه المسافر ، وتثنى الكلمة فتصبح رامتان ، مادام البيت الجديد سيتكون من سكنين ، سكننا وسكن مؤنس وليلاه •

سوزان : الاسم جميل ، والمثنى جميل •• رامتان ، سيكون فى البيت سكنان ، أرجو ألا نفترق عن مؤنس كما افترقنا عن أمينة •• لكن رامتان •• هل سيفهم الناس وخاصة الأصدقاء العرب معنى هذه الكلمة ؟ •

ويقول طه حسين : فى المثل العربى القديم « تسألنى برامتين سلجما » •

يعنى تطلب منه أن يحضر لها السلجم ، والسلجم هو « اللفت » وهما فى رامتين ومن أين يأتى لها باللفت فى البادية !

وتقول سوزان : من يريد « اللفت » فى رامتان ؟ رامتان لن يوجد فيها لفت • سيوجد فيها بساط أخضر تمشى عليه فى هدوء كما تحب — وسنزرع فيها أشجار الفتنة التى تحب عطر زهورها ، وقد استبقيت

فى الأرض أشجارها القديمة الطويلة ، لتدعو اليها الطيور وليغنى فى سمائها الكروان .

* * *

الاسم « رامتان » مكتوب على باب الفيللا الخارجى .

فى الحديقة طه حسين مع ولده مؤنس يسيران عائدين الى المنزل بعد جولة فيهـا ..

يدخل الوالد وولده الى غرفة الطعام وفيها السيدة سوزان وليلى . ويدخل الطباخ « محمد » الذى كان يعمل فى سكن الدكتور طه فى الزمالك والذى انتقل مع الاسرة الى المسكن الجديد ، فيجيبه مؤنس ويدخل « السفرجى » الذى انتقل أيضا مع الاسرة من الزمالك ، يقدم القهوة ، ثم تنسحب ليلى الراحة ويتناول الثلاثة القهوة ، ويتحدثون عن خطاب وصل من أمينة من طهران تصف فيه زيارتين قامت بهما مع زوجها وأولادهما الثلاثة الى ساحل بحـر قـزوين وتقـول ان ابنهمـا « حسـن » يذهب الى المدرسـة الامريكية و « سوسن » وأختها الى مدرسة الليسيه وهم جميعـا موفقون فى دراستهم والحمد لله .

بعد القهوة ، يصعد طه حسين الى غرفته للراحة والى جانب السرير جهاز راديو ، يفتحه ليستمع الى القرآن الكريم وفى الساعة الثالثة تصل مدام غنيم لتقرأ عليه كتابا من الكتب الفرنسية الحديثة الوصول الى القاهرة ، وفى المساء ينزل الى مكتبه ويحضر سكرتيره فريد ليقرأ له ما يريد ؛ وقد يحضر الاستاذ ابراهيم الابيارى أو الاستاذ محمد الدسوقى من رجال المجمع لقراءة بعض النصوص العربية القديمة وقد يحضر بعض الاصدقاءمثل الدكتور سليمان حزين ، والدكتور كامل حسين والشيخ أبو رية ، والاستاذ عبده حسن

الزيات(*) والمهندس عبد المجيد حسين شقيق الدكتور الأصغر والدكتور محمد عوض محمد والدكتورة سهير القلماوى ، والدكتــور يحيى الخشاب ، والاستاذ ثروت أباظة والاستاذ كمال الملاخ والاســتاذ يوسف السباعى الذى يحدثه فى شئون نادى القصة واتحاد الكتاب والمجلس الأعلى للفنون والآداب ويحضر أحيانا الاستاذ لطفى السيد الذى لم ينقطع عن زيارته مع بعد المسافة بين منزليهما الآن ، بين مصر الجديدة والهرم • كل من يدخل المنزل الأول مرة يهنىء العميد بأول دار يملكها •

وبعد العشاء يجلس مع زوجته فى الصالون يسمعان بعــض الموسيقى ثم تقرأ له زوجه فى كتاب •

المقطوعة الموسيقية هذا المساء هى موسيقى موزارت المسماة « القيثارة السحرية » • أما الكتاب فأحد مؤلفات الكاتب الايطالى انجاريتى فلقد « طلبت احدى الصحف الايطالية من الدكتور طه حسين مقالا عن الكاتب « انجاريتى » لنشره فى العدد الخاص الذى تصدره عنه ، وطه حسين يقرأ الكتاب تمهيدا لكتابة كلمته وارسالها للمجلة ، زوجته تذكره بالفصل الجميل الذى كتبه عام ١٩٤٩ فى الكتاب الذى أصدرته منظمة اليونسكو عن الشاعر الالمانى « جيته » فبين فيه أثر الحضارة الاسلامية فى مؤلفات الشاعر الألمانى •

* * *

فى نفس الصـــالون يسمع طه حسين اعلان الرئيس جمـــال عبد الناصر تأميم شركة قناة الســـويس من الاسكندرية بعد سحب العرض الامريكى لمشروع السد العالى فى أسوان •

(*) شقيق د. محمد حسن الزيات .

ويقع العدوان الثلاثى على مصر وتشترك إنجلترا وفرنسا مع اسرائيل فى العدوان •

طه حسين شديد الغضب على العدوان ، يتحدث بالتليفون مع الاستاذ عبد القادر حاتم مدير ادارة الاستعلامات الذى يريد اصدار كتاب بأقلام عدد من الكتاب البارزين فى مصر ضد هذا العدوان ، سيكتب طه حسين أول فصل من فصوله •

ويترك التليفون ويتحدث مع زوجته عن موقف فرنسا • أن فرنسا لا يمكن أن تؤمن بالحرية لنفسها وأبنائها وتنكر هذه الحرية على غيرها من الامم والشعوب ، ويسأل عن شعار الثورة الفرنسية — الحرية — هل هو للفرنسيين فقط ؟ والإخاء هل هو للأوربيين فقط ؟ وكذلك المساواة ؟

* * *

فى حديقة رامتان يقول مؤنس لوالده : كل شىء فى الجامعة جميل ، الدراسة والتدريس ، الطلبة ، وكثير من الزملاء المشتغلين بالدرس والتدريس ، ولكن ••

طه حسين : ولكن ؟

مؤنس : هناك من الجامعيين الآن عدد لا يشتغل لا بالدرس ولا بالتدريس •

طه : ممن يسمون أنفسهم بالجامعيين •

مؤنس : — لقد أهديت أحد كتبك الى الذين لا يعملون ويؤذى نفوسهم أن يعمل الناس •

طه حسين : وأنت ترى أن هذا — يا مؤنس — لم يمنعنى من مواصلة العمل •

مؤنس : قرأت مرة أن ويلسون عندما انتخب رئيسا للولايات المتحدة حذره بعض أصدقائه من مؤامرات ودسائس السياسيين فى واشنطن ، وأن ويلسون رد بقوله وماذا تكون هذه المؤامرات والدسائس فى عاصمة الحكم ؟ لابد أنها ستعتبر من أعمال الهواة اذا قيست بمؤامرات ودسائس الجامعيين !

طه حسين : لا شك أن الرئيس ويلسون كان يبالغ ، لأنه اذا أصيبت جامعة بمثل هذا الداء فلن يكون لها بقاء بين الجامعات • أريدك أن تعرف يا ولدى أن الخير هو الأصل ، وانما يفزعنا الشر ويروعنا لأنه شاذ • وان العمل والاجتهاد هما الأصل وغير ذلك استثناء يؤسف له ، ولكنه استثناء •

مؤنس : أنت تشجعنى ، وأنا فى الحقيقة محتاج الى تشجيعك • الغيرة والدسائس قبيحة ولكنها أقبح ما تكون عندما تمتلىء بها صدور المقربين الينا ممن يلبسون لباس الأصدقاء ، ولكن لندع هذا لأن لدى خبرا أريد أن أسرك به •• لقد ذهبت ليلى الى الطبيب هذا الصباح ••

طه حسين : واذن سيكون لنا حفيد جديد ؟

مؤنس : ما أسرع ما فهمت عنى •• ولكنك طه حسين •

طه حسين : وماذا يكون خبر أسر اه يرتبط بزيارة ليلى للطبيب غير ذلك ؟ لقد أدخلت على قلبى الفرح يا مؤنس ، اننى أراها الآن ، أرى طفلتك يا مؤنس تملأ « رامتان » حياة • والاشجار هذه سيصبح لها معنى عندما يتسلقها أو تتسلقها ابنك أو ابنتك •

مؤنس : أنت حيران بين المذكر والمؤنث ، من يدرى ربما يلزم استعمال المثنى ! تصبح على خير يا أبى •• لابد أن أذهب الى ليلى • ويتأهب مؤنس للانصراف ويقول له والده : قبل عنى ليلى •• قبلها مرتين أو ثلاثا اذا شئت !

وفى رامتان بعد ثمانية أشهر ••

* * *

يقول طه حسين لزوجته وهو يتأهب الذهاب للنوم — ألم يقل لنا الطبيب أن نترقب الحادث السعيد هذه الليلة ؟

وترد السيدة سوزان : ومتى كان الطبيب يستطيع أن يحـــدد اليوم والساعة ، على أنه مطمئن جدا — الحالة عادية تماما •

ويقول طه حسين : اذكر بالألم والرعب تعبك ••

وترد سوزان : لم أعد أذكر مولد أمينة ومولد مؤنس الا بالرضا والحب والحنان ••

ويقول طه حسين : واذن ننتظر خبرا من المستشفى هـــذه الليـــلة •

وترد السيدة سوزان : ليس هذه الليلة قطعا — هذا ما أكـــده الطبيب — اذهب لتنام •• سأستيقظ مبكرة فى الصباح •

طه حسين : ألم يكن من الخير أن نكون معها ؟

سوزان : والدتها السيدة أمينة معها ومؤنس معها — والمهم الآن أن تستريح أنت •

طه : ان مؤنس غير مستريح فى الجامعة — جميل أن يرث الولد عن أبيه مودة الصديق ، ولكن من القبيح أن يرث الاولاد بغضاء من أرادوا بآبائهم الشر • بعض زملاء مؤنس يزعمون أن حصوله على الاجريجاسيون قبل الدكتوراه أمر لا يعتد به فى حساب أقدميته ، لأن مصر لا تعرف شهادة الاجريجاسيون ••

سوزان : مؤنس لا يفكر الآن لا فى الاجريجاسيون ولا فى

الدكتوراه ، أنه يفكر فى زوجته وفى مولودهما وهو لذلك قلق ولكنه أيضا سعيد .. تصبح على خير .

وتعود ليلى من المستشفى بعد عشرة أيام ، تحمل ابنتها سعيدة بها وتقول بصوت عال ، وهى ما زالت فى الحديقة ، اقدم لكم الآنسة أمينة مؤنس طه حسين وينهض طه حسين ويسرع مع زوجته متجهين الى مسكن مؤنس لاستقبال الآنسة أمينة مؤنس طه حسين وعمرها أســبوع .

* * *

فى يونيو سنة ١٩٥٧ تدعو حكومة تونس طه حسين لزيارتها للاشراف على لجنة امتحانات آخر العام لشعبة اللغة العربية والآداب فى دار المعلمين العليا . طه حسين أول مصرى وأول عربى يقوم بهذا العمل فى تونس بعد استقلالها عام ١٩٥٦ .. الرئيس الحبيب بورقيبة يحتفل به احتفالا كبيرا . أنه يذكر كيف أحسن طه حسين استقباله عندما فر لاجئا الى مصر وكيف قدم طه حسين اليه والى حــركة الاستقلال التونسية كل معونة ممكنة وكيف دعاه للتحدث فى الاذاعة المصرية ، ويتذكر بورقيبة كيف أن بعض رجال الاذاعة لم يعنوا به وهو لاجىء لا مكانة له ، وكيف أن طه حسين هو الذى آزره ومكنه من استعمال اذاعة مصر . لقد كان طه حسين مؤمنا بضرورة الكفاح وجدواه ، واثقا كل الثقة أن الاستعمار الفرنسى سينحسر عن تونس أمام مقاومة أهلها الصادقين الصامدين .

وفى يونيو ١٩٥٨ يدعو المغرب طه حسين لزيارته فيستقبله الملك محمد الخامس أعظم استقبال ، ويمنحه أكبر الأوسمة ، فهو شديد التقدير لعلم طه حسين وأدبه وهو لم ينس نهوض طه حسين بالدفاع عنه ضد الفرنسيين عندما نفوه عن عرشه وعن بلاده ، ويحضر الأمير الحسن (الملك الحسن الثانى الآن) المحاضرة التى يلقيها طه حسين

فى كلية العلوم بالرباط عن مكانة اللغة العربية والأدب العربى بين اللغات والآداب العالمية ، وفيها يبين الدكتور طه حسين كيف انتشرت العربية بقوتها الخاصة وبقوة الاسلام وقوة القرآن الكريم فاستطاعت أن تكون لغة عالمية بأوسع معانى هذه الكلمة ، ويبين أنها لم تكن لغة حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة ولغة ادارة ولغة الدين ، وكانت ، فى الوقت نفسه لغة التفكير والانتاج الأدبى والعصرى ، ويقول أنها فى أقل من قرنين أساغت كل الثقافات التى كانت معروفة فى العصور القديمة ، وتمثلتها .

ثم يقول : « وبعد ذلك جاءت المعجزة الكبرى وهى أن هـــذه اللغة التى انتشرت بهذه الطريقة المدهشة أنشأت أمة جديدة قوامها اللغة العربية والدين الاسلامى عند الكثرة ، والمسيحية والاسرائيلية عند القلة ، وكل هذه الأمم امتزجت والتأمت وأصبحت أمة واحدة هى الأمة الاسلامية العربية وجعلت عناصرها المختلفة تتعاون على انشاء هذه الحضارة الاسلامية العليا التى لا أعرف أن حضارة أخرى سبقتها فى عالميتها وفى انتشارها » .

* * *

وحيثما قابل طه حسين شباب المغرب ومثقفيه كان يســـمع منهم طويلا ويتحدث اليهم ، كانوا يستصعبون النحو العربى فيقول لهم ان من اللازم ومن الممكن تيسيره ، ويشكلون الكتابة العربية التى لابد أن يفهمها الانسان أولا ليقرأها صحيحة بعد ذلك فيقول طه حسين لقد أعلنت مرارا وأعلن الآن أنه لابد من اصلاح الكتابة العربية مع رفضى التام للكتابة بالحروف اللاتينية ويجب على هذا الجيل من العرب أن يبحث عن أحسن الوسائل لاتمام هذا الاصلاح المطلوب والضرورى .

ويزور طه حسين مدن الرباط ومكناس والدار البيضاء وفاس (حيث يستقبله الزعيم علال الفاسى) وتطوان ، ويصعد بالسيارة فى جبال الاطلس الى مراكش ويتوقف عند قرية فى الجبل أمام محل صغير ، وقد استرعى نظر زوجته رداء مغربى أبيض جميل توقفت لشرائه .

وأمام المحل الصغير فى القرية المغربية يتجمع بعض أهل القرية يتحدثون فيما بينهم عن الزائر الذين عرفوا أنه طه حسين ويتقدم رجل عجوز من سكرتير طه حسين ويقول له أن الاستاذ لا يعرفنى طبعا ، أنا رجل من عجائز هذه القرية ، ولكنى أرسلت من هنا برقية الى طه حسين فى القاهرة منذ سنين .

ويلتفت طه حسين للعجوز ويسأله : أرجو أن تذكرنى .. ماذا كان موضوع البرقية ؟

العجوز : كنت أنت قد خطبت فى الجامعة الامريكية فى القاهرة فقلت أنكم فى مصر تتحدثون عن المشرق العربى كثيرا ولكنكم يجب أن تذكروا أيضا المغرب العربى وأن تهتموا كثيرا ببلاد المغرب العربى وعندما قرأت تلخيص حديثك فى بعض الصحف التى وصلت الينا هنا أرسلت لك برقية أشكرك باسم المغرب العربى .

طه حسين : نعم نعم اذكر حديثى فى الجامعة الامريكية وأذكر برقيتك وأذكر انك لم تذكر فيها عنوانك فلم نرد عليك ، وأذكر أن السيد السنوسى قد أرسل الى من ليبيا برقية تشابه برقيتك . لماذا لم تذكر عنوانك ؟

العجوز : لأنى اعتبرت أن البرقية مرسلة اليك منا جميعا ، من المغرب العربى وليس منى أنا فقط .

وداخل المحل تقول السيدة سوزان : ما أجمل هذا الرداء ،

سوف يكون جميلا عندما ترتديه أمينة بنت مؤنس ، سأعطيه لها عندما تحضر مع والديها لقضاء يومين معنا فى ايطاليا ، فى تريستا ، قبل عودتنا الى مصر •

صاحب المحل حاول أن يقدم الرداء هدية ثم لا يتقاضى فى آخر الأمر الا أصل ثمنه دون أخذ أى ربح من طه حسين •

وفى السيارة فى طريق العودة الى مدينة الرباط تعرض سوزان على زوجها الرداء الذى اشترته لحفيدتهما ، بنت مؤنس ، ويقـول طه حسين : لقد طالت غيبتهم عنا ، ولقد تفرق الجميع ، ان أمينة بنتنا مع زوجها وأولادهما فى مقر عمل زوجها فى الصومال(*) ، فى مقديشيو ، ومؤنس وزوجته وابنته فى مقر عمله باليونسـكو فى باريس •

وتسأل سوزان : ألم يحن موعد استقلال الصومال بعد ؟ •• أنا مشتاقة جدا الى اعلان استقلال الصومال ، فان مهمة محمد هناك كما أخبرنى موقوتة بانتهاء الوصاية الايطالية على الصومال واعلان استقلاله •

ويرد طه حسين فيقول أن الموعد المحدد لاعلان الاسـتقلال حسب قرار الجمعية العامة للامم المتحدة هو الثانى من ديسـمبر ١٩٦٠ ولكن محمد أخبرنى أنهم يجتهدون فى تقديم الموعد الى صيف ١٩٦٠ ، وأنا واثق أنه سينجح • لقد أرسلت مصر الى الصـومال شبابا من أحسن شبابها ، تذكرين كما الدين صلاح مندوبنا الذى استشهد هناك والذى حل محله محمد • سنقابل أمينة وأسرتها الصيف

(*) الفترة التى عمل بها د. محمد حسن الزيات فى الصومال حتى استقلاله .

القادم إن شاء الله ، أما فى هذا الصيف فسوف نرى ليلى ومؤنس وابنتهما فى « تريستا » بعد قليل .

* * *

وفى تريستا نرى أمينة بنت مؤنس مع امها فى الرداء الأبيض الذى اشترته لها جدتها من بلاد المغرب .. ونرى مؤنس يتحدث مع والده عن أعمال اليونسكو .. يقول له ، ان أحد زملائه قد لفت نظره الى مقال لوالده يتحدث فيه عن الامم المتحدة ، وقرأ له منه فقرات جاء فيها « لم أؤمن قط بهيئة الامم المتحدة .. لأن هيئـة أخرى شبيهة لها قامت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، لم تكف معتديا ، ولم تقمع باغيا ولم تقر أمنا ، ولم تشع عدلا ، ولم تزد على أن أنفقت مالا كثيرا ، وملأت الأرض كلاما وأوهاما ، وأغرت الضعفاء أن يطمئنوا الى ضعفهم ، والأقوياء بأن يتزيدوا من قوتهم » والمقال الآن بين يدى مؤنس وهو يقرأه على والده بكامله ، يقول لأبيه : أنت تنهى المقال بقولك « ان الخير كل الخير أن نزود عن حوضنا بسلاحنا ، وألا نظلم أحدا ، وألا نرضى أن يظلمنا أحد » . ويسأل طه حسين ولده أليس هذا صحيحا ؟ ما اعتراضك على هذا المقـال اذن ؟

فيقول مؤنس : على كل حال نحن الآن فى ١٩٥٩ وولدك يعمل فى اليونسـكو ، وهى منظمة من منظمات الامم المتحدة ، وصـهرك مشغول باعداد الصومال للاستقلال ، باسم الامم المتحدة .

ويرد طه حسين : أنا لم أقل شيئا ضد اليونسكو ، بالعكس هذه منظمة هامة تعمل فى ميدان عظيم الخطر . وأنت تعرف أننى شاركت فى أعمالها واننى شاركت من قبل ذلك فى أعمال لجنة التعاون الفكرى التى كانت متصلة بالمنظمة الدولية السابقة أى عصبة الامم — ان الثقافة ميدان من الميادين التى نرجو أن يتحقق فيها تعاون البشر

للخير والحضارة والتى يتيسر فيها هذا التعاون • وفيما يخص اعداد الامم المتحدة للصومال للاستقلال فهذا فضل واضح وخير عظيم وأنا سعيد جدا بعمل محمد هناك وقد سبق لى أن كتبت أطالب بالغاء نظام الاستعمار من أساسه ، ولكن الفضل الحقيقى فى استقلال الصومال ، عندما يستقل ، لن يكون للامم المتحدة ولكن « الفضل » سيرجع الى هزيمة المستعمر الايطالى فى الحرب العالمية الاخيرة والى أن المنتصرين ، وهم الامريكان والانجليز والروس والفرنسيون ، لم يستطيعوا أن يتفقوا على من يرث الصومال ، فانتهوا الى أن يرفعوا أيديهم جميعا عنها • هذه هى الحقيقة المؤلمة التى لا تغض من مجهودات مصر ولا من مجهودات زوج أختك فقد كان من الممكن جدا أن يستقر الاستعمار الايطالى فى الصومال لولا هذه المجهودات المشكورة •

ويقول مؤنس : أنت متشائم ، وعهدى بك التفاؤل •

ويرد طه حسين قائلا : أنا فى الحقيقة متفائل ، ولكنى أريد أن يقوم التفاؤل وخاصة تفاؤل الشعوب على أساس من التعقل والاحتياط • المهم كيف عملك الآن فى اليونسكو ؟

ويقول مؤنس : تعرف اننا نشرف على ترجمة التراث الانسانى الى اللغات الحية باسم مجموعة « الروائع » الانسانية ، وفيما يخص التراث العربى فان اللجنة الدولية لترجمة الروائع ، التى سبق أن تقرر أن يكون مركزها بيروت ، ستصدر قريبا كتاب « الاخلاق والسير » لابن حزم • وسيترجم كذلك كتاب الغزالى « أيها الولد » وكتابه « المنقذ من الضلال » كما ستترجم « المقدمة » لابن خلدون وفصل المقال لابن رشد وغيرها •

ويسأل طه حسين عن العملية العكسية — عن ترجمة الروائع الاجنبية الى العربية •

ويجيب مؤنس : تتم الآن ترجمة « مقال الطريقة » لديكارت و « مسامرات الأموات » للوسيان ، و « العقد الاجتماعى » لجان جاك روسو ، و « السياسات » لارسطو .. صديق لطفى باشا .

ويقول طه حسين : نعم وصديقى أيضا ، انك تذكر كتاب « نظام الاثنين » لارسطو الذى ترجمته منذ ثلاثين عاما .

ويلاحظ مؤنس أن هذا الكتاب أيضا قد ترجمه راهب لبنانى للعربية ويقول : وأخشى أنه لم يشر الى ترجمتك التى سبقته بها بثلاثين عاما ..

ويقول طه حسين : ان هذا لا يليق ، وان يكن غير مهم ، فلعله لم يعرف اننى ترجمت الكتاب . المهم أن تصدر هذه الترجمات ، وأن تكون بين أيدى قرائنا العرب ، ان الترجمة العلمية الدقيقة وسيلة لتعارف الشعوب وتفاعل الأفكار الانسانية وتلاقى الحضارات .. ولم توجد نهضة انسانية الا وقد اقترنت بها حركة كبرى من حركات الترجمة سواء كان ذلك فى بغداد على عهد الرشيد والمأمون عندما أخذ العرب عن غيرهم ، أو فى أوربا على عهد النهضة « الرينسانس » عندما أخذت أوربا عن العرب . انك تبدو راضيا عن عملك موفقا فيه يا مؤنس فلله الحمد ، وان كانت القاهرة تبدو موحشة من غيرك أنت وأختك ، ومن غير أسرتيكما .. ورامتان التى كنا نحلم بها سنوات عديدة ، موحشة بغيركم الآن . ثم يقول بعد فترة سكوت : « فى بعض الأيام ، احس ونحن وحدنا فى رامتان ، بشىء من الوحشة التى يحس بها المرء أحيانا قبيل الغروب » .

* * *

وتمر أيام فنرى طه حسين مع ولده وزوجته فى مكتبه فى « رامتان » ، ومؤنس يقرأ على والده صحف الصباح :

يقول مؤنس : هذا خبر من روما ، « قرر رئيس الجمهورية الايطالية ايفاد السنيور مديتشى الى مدينة مقديشيو مندوبا عنه للاشتراك فى احتفالات استقلال الصومال ، وتتضمن مراسم الاحتفال تسليم مندوب رئيس الجمهورية الايطالية السنيور مديتشى وثائق الاستقلال لرئيس مجلس الامم المتحدة الاستشارى للصومال الدكتور محمد حسن الزيات ممثل مصر فى المجلس ، الذى يسلمها للرئيس المنتخب لجمهورية الصومال السيد آدن عبد الله عثمان فى أول ساعة من اليوم الأول من شهر يوليو عام ١٩٦٠ » .

ويقول طه حسين : لقد كتب محمد(*) الى يخبرنى بذلك ، لقد وفق هو وزميلاه فى المجلس الاستشارى للامم المتحدة الى الاتفاق مع ايطاليا ، ومع مجلس الوصاية الدولى للتعجيل بالاستقلال فهو سيعلن قبل الموعد الذى حددته الامم المتحدة بستة أشهر .

ويقول مؤنس : المهم الآن هو أن أمينة ستعود هى زوجها وأولادها الى القاهرة قريبا ، واذن فلن تحسوا بفراغ عندما نترككم أنا وزوجتى وابنتى للعودة الى عملى فى اليونسكو بباريس .

ويقول طه حسين : ان استقلال الصومال ، ان تم ، ستكون له نتائج بعيدة الأثر فى كل افريقيا . ان لبلادنا أن تفخر بعملها فى الصومال لتحقيق استقلاله ، وحضور أمينة ومحمد وأولادهما سيسعدنا بطبيعة الحال ولكنه لن يملأ الفراغ الذى سوف يحدثه سفركم .

* * *

(*) كان طه حسين دائما يعتز أن ينادى زوج ابنته أمينة « بمحمد » ويفخر به دائما .

وينقضى الصيف ويتبعه الخريف ويقبل شتاء عام ١٩٦١ .

فنرى الدكتور محمد كامل حسين فى فيللا رامتان وهو يخرج منها الى الحديقة مع طه حسين بعد أن قام بفحصه فحصا دقيقا وطه حسين يسير متعبا وكامل حسين يبدو مهموما ، ولكنه متمالك لنفسه ويجلس الصديقان على مقعدين متجاورين فى الحديقة .

ويدخل الخادم بصينية عليها ستة أكواب ماء ، فانه يعرف أن الدكتور كامل حسين يحس بالعطش دائما وأنه يطلب الماء باستمرار ويضحك كامل حسين ويفسر ضحكه لضيفه فيضحك معه ، ولكنه يسأل بعد قليل : ماذا وجدت يا كامل ؟ وان كان هذا السؤال لا يعنى أننى سأثق فيما تقول .. أنت ناظر مدرسة المنافقين وقد قال تعالى « اذا جاءك المنافقون .. » .

وهنا تدخل أمينة وأمها ، وأمينة تتلو ختام الآية :

« والله يعلم أن المنافقين لكاذبون »

ويقول كامل حسين : يا ستى أنت راجعة من الصومال ، شديدة الرضا عن نفسك ، زوجك أعلن بنفسه استقلال الصومال من شرفة الجمعية التشريعية الصومالية فى منتصف الليل كما أخبرتنا الصحف ، وأنت عدت لنا بسلامة الله وما زلت فاكرة الآية الكريمة التى يستعملها والدك فى اتهامه لى بمنافقة والدتك .

وتتساءل أمينة : اتهام ؟ وأنت تنكر التهمة يا دكتور ؟

ويضحك كامل حسين ويقول : لا .. لا .. هذا الاتهام فى نفسه شرف ، ثم أن هذه تهمة عمرها الآن أكثر من عشر سنين ونحن نبقيها تهمة معلقة ، لا نثبتها ولا ننفيها .. تعالى نبحث عن زوجك لنشرح له أصل الموضوع ولاحاول أن أقول لك الرد عن سؤالك !

ويدخل كامل حسين وأمينة الى المنزل وينضم اليهما زوجها .

ويقول كامل حسين فى جد • لابد من نقل الدكتور الى المستشفى حالا ، العمود الفقرى يحتاج الى عملية ضرورية قطعا والا واجهنا خطر الشلل ، ومن حسن الحظ عندنا الآن أستاذ من أكبر أساتذة هذه العملية فى العالم ، جراح أعصاب سويدى اسمه أوليفا كورونا يجرى عملياته الآن فى مستشفى الطيران ، المستشفى الفرنسى سابقا ، وطبعا سنجرى هناك كل الفحوص وسيكون معنا كل من يلزم من الأطباء •• مسئوليتكم كبيرة والسرعة لازمة •

وتسأل أمينة : متى ؟

ويرد الدكتور كامل : حالا !

وتقبل عليهم السيدة سوزان وتسأل : ما الحالة يا دكتور ؟ وتترك أمينة والدتها وتخرج من المنزل لتجلس مع والدها فى الحديقة •

ويقول طه حسين : كامل اذن يرى أن الحالة خطيرة — هل يرى ضرورة للانتقال الى المستشفى ؟

وترد أمينة قائلة : يظهر أن هناك أستاذا سويديا كبيرا اسمه « اوليفا كورونا » موجود الآن فى مستشفى الطيران بالعباسية لمدة أيام والدكتور كامل يقترح أن تذهب لاستشارته •

ويرد طه : لا يا ابنتى أبوك لا يرضى بنصف الحقائق (وينادى كامل) !

ويقبل الدكتور كامل ومعه السيدة سوزان ومحمد حسن الزيات •

* * *

وفى اليوم التالى ، فى مستشفى الطيران بالعباسية نرى أمينة وأمها وليلى العلايلى ومحمد الزيات • خارج غرفة العمليات •

وتقول السيدة سوزان : مر أكثر من نصف ساعة على دخوله قاعـة العمليات •

ويرد محمد قائلا : هذا منتظر ، الدكتور أوليفا كورونا قال أنها ستستغرق أكثر من ساعتين •

وتقول السيدة سوزان : لم يرضوا أن أدخل معه •• منعونى من الدخول معه •

وتقول أمينة : لم يدخل مع أوليفا كورونا الا الدكتور البنهاوى والطاقم الذى حضر مع الدكتور أوليفا كورونا من السويد •

وتقول السيدة سوزان : لم يكن حضورى سيضايقهم •• كنت فقط أريد أن أكون معه •

وفى القاعة الخارجية للمستشفى يتجمع عدد كبير من الاطبـاء والاصدقاء والاساتذة والطلبة وهم ينتظرون فى سكون ، يحاولون اخفاء قلقهم على المريض العزيز •

ويخرج الدكتور البنهاوى مساعد « أوليفا كورونا » فى العملية ويطمئن كل الموجودين •

يقول الدكتور البنهاوى : الدكتور العميد نقل لغرفة الانعاش •• وكل شىء سار كما كنا نرجو أن يسير والحمد لله •

وفى الداخل : أمينة ومؤنس مع أمهما وهى متوترة الاعصاب وابنتها تقول لهـا :

يا أمى ان أهل شمال أوروبا ، ومنهم السويديون ، لا يعرفون التلطف فى ذكر الحقائق • كل ما قاله هو أننا يجب أن نعرف أن بين الاحتمالات •••

وتقاطعها أمها تقول : لقد قال انه من المحتمل ألا يستطيع السير أبـــدا •

ويقول مؤنس : لمـــاذا لا تتذكرين أيضا انه قال أن العمليـــة نجحت ، وأن المرض قد أوقف تقدمه •• وان من المرجو أن يستعيد أبى قدرته على السير قبل مرور زمن طويل •

وترد السيدة سوزان : لأن ما قاله مخيف •• مخيف ••

وتقول أمينة · الشافى هو الله وما أظن الا أنه سيشمل برحمته رجلا يحبه وهو طه حسين •

* * *

فى صالون فى فيللا رامتان عام ١٩٦٢ ، الاستاذ عبد الرحمن بدوى(*) مدرس الفلسفة فى كلية الآداب بجامعة القاهرة يقدم لطه حسين كتابا عنوانه « الى طه حسين فى عيد ميلاده الســـبعين » معتذرا عن تأخر اعداده وطبعه ويقرأ عليه بصوت عال مقدمة الكتاب :

« الى العلم الشامخ فى الأدب المعاصر ،

الى الساحر بفصاحة لسانه ، ونصاعة بيانه ، وعذوبة موسيقى أسلوبه وايقاع كلماته ونبراته ،

الى الدكتور طه حســـين ،

يهدى نفر من أصدقائه ومريديه ، العارفين بعظيم فضله وبالغ أثره فى الأدب والفكر بعامة ، والبعث الروحى العربى بخاصة ، يهدون هذه الدراسات التى تدور حول موضوعات كان له فيها جميعا مكان الصدارة ، ومنزلة الملهم الأكبر ، والفاتح لكثير من أغلاقها ،

(*) من فلاسفة وعلماء دمياط المرموقين .

والمثير لعديد من مشكلاتها والدارس الواعي المبين من نواحيها الدقيقة والجليلة » .

ويقول طه حسين : اننى متطلع الى قراءة هذه البحوث كلها ، وهى بريئة فيما أرجو من هذه المبالغات التى ألاحظها فى المقدمة .

وتمر الاسابيع ويقبل اليوم الحادى والعشرون من ابريل عام ١٩٦٣ ونرى الدكتور طه حسين وزوجته فى السيارة متجهين الى دار مجمع اللغة العربية .

ويقول طه حسين : عرفته وأنا فى سن الثامنة عشرة ، هى اذن صداقة دامت أكثر من نصف قرن .

وترد سوزان : وعرفته أنا معك منذ حضورنا الى مصر ، مدة تجاوزت الأربعين عاما ، وتبدو لى الآن أكثر من ذلك ، ان عمر الصداقة لا يقاس بمرور السنين .

ويقول الدكتور طه حسين : هو الذى حدثنى لأول مرة عن أوربا ، هو الذى ذكر لى أسماء لم أكن قد سمعت بها من قبـل ، أسماء فولتير ، وجان جاك روسو ، وديدرو ، ومونتسكيو .

وتقول سوزان : ومع ذلك كان مصريا صميما .. تذكر لهجته ؟

ويرد الدكتور طه : نعم كان يجب أن يحتفظ بلهجة اقليم الشرقية ..

ويتبارى فى ذلك مع صديقنا الاستاذ مصـطفى عبد الرازق ومعى ، ونحن نتحدث بلهجتنا الصعيدية .

فتقول سوزان : وصل خطاب من أمينة من نيويورك ، يظهر أن زوجها(*) قد تقرر تعيينه سفيرا فى الهند وسيمرون علينا فى طريقهم الى نيودلهى .

(*) عندما عين د. محمد حسن الزيات سفيرا فى الهند ونيبال .

ويرد طه قائلا : من نيويورك الى الهند ؟ سيبقون اذن بعيدين عنا بعدا عظيما .. سيمرون ، تقولين انهم سيمرون فقط ؟ متى يسافرون الى الهند وترى متى يعودون ؟ !

* * *

فى مارس ١٩٦٥ يزور الدكتور طه حسين ابنته فى منزلها بالمعادى وقد عاد زوجها من الهند حيث نقل الآن وكيلا لوزارة الخارجية فيجد عند صهره عددا من سفراء الدول يدور الحديث معهم حول حاجة الدول المسماة بدول العالم الثالث الى التعاون والتكامل فيما بينها أولا ، لتتعامل بعد ذلك وتتعاون مع الدول الكبرى .

ويقول الدكتور طه حسين : لابد أولا أن تحقق كل هذه البلاد لنفسها الحرية الكاملة وأن تحقق لشعوبها العدل الاجتماعى .

ويرد سفير الباكستان قائلا : الحرية والعدالة ! ان كل المذاهب السياسية تدعى انها تستهدف ذلك !

ويقول طه حسين : ان كثيرين منا يفكرون فى العدل الاجتماعى ومظاهر المطالبة به والسعى اليه . ينظرون الى الديمقراطية المعتدلة ، وينظرون الى الاشتراكية الدولية والى الاشتراكية الوطنية وقد ينظرون الى الشيوعية فى كثير من التردد والاستحياء ، ولكنهم لا ينظرون أو لا يكادون ينظرون الى فكرة المطالبة بالعدل الاجتماعى كما وجدها المسلمون قبل أن ينتصف القرن الأول للهجرة ، ومع ذلك فقد كان للمطالبة بتحقيق العدل الاجتماعى فى التاريخ الاسلامى أبطال من حقهم أن يدرسوا . وأظن أن شاعركم محمد اقبال قد ألف كتابا اسمه « مجلس الشيطان » تحدث فيه بشىء من ذلك فقد حدثنى مضيفنا اليوم الدكتور الزيات عن هذا الكتاب .

ويقول سفير الباكستان : نعم ، الكتاب معروف والشيطان فى

هذا الكتاب لا يخاف من كل هذه المذاهب بل أنه يسر لما يئشأ عنها من اختلاف ونزاع ، ولكنه يخشى الاسلام ويخاف مبادئه ، وبهذه المناسبة كم تحب الباكستان لو استطعتم زيارتها •

ويقول طه حسين : عندما كان صهرى سفيرا فى الهند ، نقل الى دعوة من رئيس الجمهورية الهندية لزيارة بلاده ، وكم كنت احب أن أزورها وأزور بلادكم أيضا ، فأنتم شركاء فى تاريخنا الاسلامى ، وأنتم شركاء فى مستقبلنا أيضا ، ولكن الوصول اليكم يستلزم ركوب الطائرة ، وأنا لا أركب الطائرة • لم أركبها الا مرتين ، مرة لزيارة مدينة الرسول ﷺ ومرة لزيارة المغرب ، وكانت الرحلة الى المغرب من باريس أى عبر البحر الأبيض فحسب •

* * *

* ويقبل صيف عام ١٩٦٧ ، ويغادر طه حسين وزوجته الاسكندرية فترافقهما ابنتهما وحدها الى الميناء لأن زوجها مشغول فى وزارة الخارجية بعمل هام • أجواء مصر السياسية ملبدة بالغيوم ، علاقات بعض الدول العربية ببعضها الآخر قد صارت الى درجة مزعجة من السوء ، وحرب الدعايات لا تسمم الاجواء العربية فحسب بل تسمم النفوس العربية كذلك • ان الدعاية التى كان طه حسين يتحدث منذ عشرين عاما فى لبنان عن خطرها الكبير ، قد ضاعفت من أهميتها أجهزة الاذاعة القوية الحديثة ، وخاصة الاذاعة المسموعة والمرئية ، وأنها لتصيب أصحابها بأضرار ليست أقل مما تصيب بها الخصوم اذا أصبحت أداة تضليل بدلا من أن تكون أداة للتنوير •

* * *

ويعود طه حسين الى مصر ، بعد كارثة يونيو ١٩٦٧ ، فينصرف الى القراءة فى كتب اللغة والأدب ، ويولى لجنة المعجم الكبير فى المجمع اهتمامه الشديد « وان كانت الشكوك قد بدأت تساوره فى

كفاية الجهد المبذول فى تأليف هذا المعجم ، وفى مدى الزمن اللازم للانتهاء من اعداده بكامل أجزائه ، وهو يواصل اهتمامه فى اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية بتجميع وتصوير كل ما يمكن جمعه وتصويره من المخطوطات المتفرقة فى أنحاء العالم ، وهو لا يتخلف عن حضور جلسات لجان المجلس الأعلى للثقافة التى يرأسها والتى أصبحت الآن تعقد غالبا فى مسكنه .

* * *

وفى عام ١٩٦٨ يستجيب لطلب احدى طالبات الجامعة اسمها الآنسة « وحيدة الدمرداش » ، طلبت ان تتحدث اليه باسم مجلة القاهرة ، التى كان اتحاد طلبة جامعة القاهرة يصدرها فى ذلك الوقت ، فيلقاها ويرد فى رفق وود على أسئلتها ، عن دور القصة التاريخية فى مصر ، وعن مدارس الأدب فيها ، وعن رأيه فى الشعر الحديث ، وعن أدباء منهم الاستاذ يحيى حقى ، فيقول أن كتابه قنديل ام هاشم رائع جدا ، والاستاذ احسان عبد القدوس فيقول أن كتابه فى بيتنا رجل قد أعجبه ، ثم تختتم وحيدة الدمرداش حديثها بأن سألت طه حسين عن متاعب حياته فقال : « لقد عانيت كثيرا ، كان أخوتى يلعبون فلا أستطيع مجاراتهم ، وفى الازهر عانيت ، وفى الجامعة أيضا قال لى سكرتيرها مرة « ربنا ابتلاك بالعمى فما لزوم أن تتعلم فى الجامعة » ، أحداث كثيرة آلمتنى وحزت فى نفسى ، خلافى مع صدقى باشا وطردى من الجامعة وقطع المعاش ، تقديمى للمحاكمة مرات ومرات ... وسألته الآنسة وحيدة عن الذين يهاجمونه فقال فى بساطة : « لا أرد ولا أسأل عما يكتب ضدى شخصيا . ان كثيرا من النقد اللاذع قد وجه الى .. بل لقد صدرت كتب كاملة ضدى .. ولكنى لم أهتم بأى كتاب منها » .

* * *

ويطلب سفير أسبانيا فى القاهرة مقابلته ، انه يحمل اليه لا درجة واحدة من درجات الدكتوراه الفخرية ، بل درجتين ، واحدة من جامعة مدريد والثانية من جامعة غرناطة .

ويستقبل طه حسين هو وأسرته السفير الكريم فى داره « رامتان » ويقوم السفير فيها بالمراسم المطلوبة لتقديم الدرجتين الجامعيتين الكبيرتين واحدة بعد أخرى .

لقد زار طه حسين أسبانيا مرتين وأحبها كثيرا ولاحظ أن أصحاب الدراسات العربية فى مصر قد أهملوا الأدب العربى الاسبانى ، فدعا الى دراسته ، بل انه قد أخذ نفسه بقراءة كل ما يستطيع من كتب الأدب الاندلسى فى المطبوعات والمخطوطات التى كانت دار الكتب المصرية تيسر له الاطلاع عليها ، وهو يتمنى أن تبدى كل من أسبانيا والدول العربية مزيدا من الاهتمام بدراسة الحضارة الاندلسية ، وهى الحضارة التى بقيت آثارها زمنا طويلا بعد أن انتهت الحروب والمعارك ، وانمحت آثار النصر والهزيمة .

* * *

وفى خريف سنة ١٩٦٩ تضطر أمينة الى السفر مع زوجها وأسرتها الى نيويورك مقر الامم المتحدة ، التى عين زوجها مندوبا دائما لمصر لديها ، وطه حسين شديد الأسف لهذا السفر ، فان ولده مؤنس متغيب مع زوجته وابنته فى عمله فى المنظمة الدولية للتعليم والعلم والثقافة فى باريس ، وهذه ابنته تترك مصر هى وزوجها الى مقر عمله الجديد فى الامم المتحدة فى نيويورك .

ويقول طه حسين لابنته « تعلمين أننى سأبلغ الثمانين فى آخر هذا العام وأنت بعيدة عنى » ثم يدرك أنها قد تألمت فيقول لها

« لا عليك لقد افترقنا من قبل والتقينا بعد الفراق فى أحسن الأحوال . ألم أكتب عنك منذ سنوات هذه السطور :

« ألمت فحيت ، ثم قامت فودعت ، فلما همت أن تنصرف ألقت فى يدى شيئا صغيرا ، وتولت وهى تقول : اجعل هذا وفاء لك من شر من تحسن اليه . ونظرت فاذا هو مصحف رقيق .

لك العهد يا ابنتى ألا يفارقنى مصحفك هذا الرقيق حيا وميتا ، ولك العهد ألا أتخذه وقاء من أحد ، ولا رقاء من شىء ، وانما أحمله لأن حمله محبب الى » .

ويخرج طه حسين من أحد جيوبه مصحف « أمينة » الصغير ، يريه لها ثم يبـــارك لها فى سفرها ، ويقول لها : أنه ينتظر لها اقامة سعيدة ، وعودة سريعة ، ويعرف أن زوجها سيخدم مصر والعرب ، وسيبذل فى ذلك أقصى ما يستطيع من الجهد ، وهو شىء عظيم »(*) .

وفى أول عام ١٩٧٢ يسعده أن يعلم أن أبنته وأسرتها فى طريقهم الى القاهرة ، فقد عين زوجها وزيرا للدولة للاعلام فى وزارة الدكتور عزيز صدقى(**) وطه حسين ينتظر لقاء ابنته وأولادها وقد فارقوا مرحلة الصبا ، فان « حسن » قد تزوج « بهية الترجمان » وحصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة كولومبيا ، وهو يعمل للحصول على درجة الماجستير من جامعة « كارينجى ميلــون » ،

(*) يقصد صهره د. محمد حسن الزيات وكان شديد التباهى به واثقا فى همته وقدراته .

(**) تعيين د . محمد حسن الزيات وزيرا للاعلام ثم وزيرا للخارجية المصرية .

وسوسن قد حصلت على الليسانس من كلية سمث وهى تدرس لدرجة الماجستير من جامعة برنستون و « منى » طالبة مخطوبة لضابط فى سلاح الاشارة هو أبو المعاطى عون وستواصل دراستها ، عند عودتها فى الجامعة الامريكية فى القاهرة .

* * *

وتعدل الوزارة ويسند الى صهره منصب وزير الخارجية ، وطه حسين يقول له « لن تكون لنا وزارة خارجية جديرة بهذا الاسم ما بقى جزء من أرضنا يعانى الاحتلال ».

وتستقيل وزارة الدكتور عزيز صدقى ويؤلف رئيس الجمهورية وزارة جديدة برياسته ، يعين فيها الدكتور الزيات وزيرا لخارجيته ، وذلك للاعداد السياسى للمعركة العسكرية التى ستخوضها مصر فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ .

* * *

الباب الثالث



الزيّات ... دبلوماسياً

عن مراحل العمل فى الجامعـــة .. قال د. الزيات :

فى عام ١٩٣٩ تخرجت فى كلية الآداب بجامعة القاهرة وفى نفس عام التخرج عملت معيدا بها ثم انتقلت مدرساً بجامعة الاسكندرية فى بداية انشائها .. وذلك فى الاربعينات وبالتحديد عام ١٩٤٢ ثم استمر عملى بالجامعة على المنوال المتبع مع أى استاذ بها .

العمـــل الدبلوماسى

فكيف كان انتقالك بعد ذلك الى العمل الدبلوماسى ؟

ــ كانت الخطوة الأولى هى الانتقال من الجامعة لكى أعمـــل ملحقا ثقافيا أول بسفارة مصر فى واشنطن .. والحوادث يقدرها الله لأنه ونحن فى واشنطن بدأت مصر مفاوضات مع الاميركان عن جلاء الانجليز عن منطقة قناة السويس كان ذلك فى أوائل الخمسينات .. تقريبا فى نهاية سنة ١٩٥٣ .

فبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ احتاج السفير الدكتور أحمـــد حسين أن يجرى بعض الاجتماعات لهذا الغرض مع جون فوســـتر دالاس وزير الخارجية الاميركية فى ذلك الوقت وكان الرجل يحتاج الى من يساعده فوقع اختياره على شخصى .. وكنت أحد مساعديه بالسفارة فى ذلك الوقت .. وبالفعل قمت بمعاونته حتى فوجىء بانتهاء مدة انتدابى من الجامعة للعمل بالخارجية وكان من المحتم عودتى لتسلم عملى مرة أخرى بالجامعة فى مصر .. ولكن المباحثات كانت ما زالت مستمرة .

عبد النـــاصر •• يـــرد

فاتصل السفير د• أحمد حسن من الولايات المتحدة بالجامعة فى مصر لكى يمد انتدابى ولكنه فشل فى ذلك فاتصل بالخارجيـــة فقالوا له أن الأمر بيد مجلس قيادة الثورة فاتصل بالمجلس فرد عليه جمال عبد الناصر الذى لم يكن معروفا له وقتئذ ولم أكن أعرفه أنا أيضا •• المهم أن السفير د• أحمد حسين قال له : أنا محتاج لبقاء د• محمد حسن الزيات لمدة شهرين معى هنا فى أميركا وأرجو أن توافق الجامعة على ذلك حتى تنتهى المباحثات الدائرة الآن • فوافق له عبد الناصر على طلبه وكلمنى •• وطلب منى البقاء لمدة شهرين فى واشنطن وانه سينهى الأمر مع الجامعـــة وكانت هذه هى المرة الأولى التى استمع فيها لصوت عبد الناصر مباشرة •• وبالطبع كان لابد من التنفيذ نظرا لأنه كان أحد رجال مجلس قيادة الثورة المسئول عن البلد •

ولكن بقائى فى أمريكا لم يتوقف عند حدود الشهرين ولكنه استمر بعد ذلك لمدة ٢٢ سنة بالتمام والكمال •• لقد كان اتصال عبد الناصر بى هو البداية لرحلة طويلة فى العمل الدبلوماسى حتى أصبحت وزيرا الخارجية •

وقد علمت بعد ذلك أن جمال عبد الناصر كان هو الرجـــل الحقيقى الذى يمسك بزمام الثورة والسلطة ولذلك كانت تعليماته واضحة للسفير د• أحمد حسين بأن يكون الاتصال به هو شخصيا وكانت هذه التعليمات معروفة لمجلس قيادة الثورة فى مصر •

ومن هنا كان يتم اتصالى من الولايات المتحدة بعد ذلك بجمال عبد الناصر •• لقد كان نائبا لرئيس مجلس الوزراء ولكنه كان هو المسئول الأول عن كل شىء •

حكم القدر

كيف تطورت العلاقة بينك وبين جمال عبد الناصر بعد ذلك ؟

ــ دعني أقول لك أولا انني بعد ما التقيت بجمال عبد الناصر وتأملته عرفت أننا كنا زملاء دراسة بمدرسة حلوان الثانوية ولم أكن أعرفه أو يعرفني على الاطلاق أو كانت بيننا أدنى صلة في المدرسة .

وبعد ما بقيت لمدة شهرين عام ١٩٥٤ في الولايات المتحدة وحققنا بعض النجاح في مباحثاتنا مع الجانب الامريكي من أجل جلاء الانجليز عن مصر .. استمر وجودي بامريكا حتى عام ١٩٧٥ .. وهذا لم يكن في تقديري أو حسباني .. ولكنها كانت رغبة جمال عبد الناصر . فانخرطت في العمل الدبلوماسي والسياسي رغم أنني منذ صغري كنت أحب أن أكون كاتبا وأراد لي والدي أن أكون مهندسا زراعيا ولكن الأقدار وحدها هي التي تتحكم في مصائر البشر ، لأنه قد حدث بعد ذلك ما كان سببا في تغيير مجرى حياتي كلها مثل ما سأشرح بالتفصيل فيما بعد .

ولكنني في تلك الفترة عملت مستشارا في السفارة المصرية بواشنطن ثم نقلت الى باريس فوجدت هناك تصارعا في القوى في ذلك الوقت بين الملحق العسكري وبين السفير فتركت باريس حيث لم أقبل أن أتواجد في مكان تصارع والأن التمثيل الخارجي لا يجوز أن يكون فيه مثل هذا التصارع على الاطلاق .

في طهران

بعد ذلك عينت في طهران قائما بأعمال السفارة المصرية وأثناء وجودي فيها وقع العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ وكانت فترة عملنا في طهران في ذلك الوقت تعتبر فترة رائعة في الواقع

لأنه لم يكن بيننا وبين القاهرة فى تلك الفترة أى اتصال سواء بالحقيبة الدبلوماسية أو البرقية التلغرافية أو المحادثات الهاتفية أو الرسائل البريدية •• كل شىء كان مقطوعا ••

قلت له : كيف يكون ذلك رائعا ؟

ـ قال : سأشرح لك لماذا كانت فترة رائعة •• رائعة فى تصرف الانسان المصرى الوطنى الغيور ـ حيث كان علينا أن نتحدث باسم مصر كما يجب أن نتكلم باسمها دون أن نعرف وجهة نظر القاهرة ••

وكان تصرفنا ينطلق من شعورنا بالمسئولية الوطنية •• وبعد ذلك وجدنا أن تصرفنا كان مطابقا تماما لوجهة نظر السياسة المصرية وذلك بعد أن انتهت الحرب •

حلف بغداد

فى تلك الفترة كان هناك حلف بغداد والدعوة لاجتماع رؤساء حلف بغداد فى طهران : تركيا والعراق وايران وانجلترا والباكستان ، وكان رؤساء الحلف قد وصلوا الى طهران ودعانى رئيس جمهورية الباكستان لمقابلته مع السفراء العرب وكان لى معه موقف حاسم وأيدنى فيه السفير السعودى وهو موقف لا أنساه مهما مرت الشهور والأعوام •

فقد بدأ رئيس الباكستان حديثه معنا بأن قال : ان مصر قد سقطت •• وهذا شىء مؤكد لأن انجلترا وفرنسا واسرائيل هجموا ونحن الآن نريد أن ننقذ ما نستطيع انقاذه ؟

كان هذا مقدمة حديث « اسكندر مرزا » رئيس جمهورية الباكستان وأخذ يقول بعد ذلك أن أول شىء يجب أن نرعاه الآن هو الدكتور الزيات وأعضاء السفارة المصرية •

وأضاف يقول : وأنا أحضرت لهم قرارا من شاه ايران باللجوء السياسى الى ايران •

وأن الشاه وعد بحمايتهم بحيث لا يفقدوا شيئا من كرامتهم •• وقدم رئيس الباكستان هذا الحديث والمعنى الى السفراء العرب لكى يتقدموا له بالشكر وبالطبع أشكره أنا وزملائى فى السفارة أيضـــا •

وكنت وقت ذلك قائما بالاعمال كما ذكرت وبدرجة مستشار وهنا لم أجعل رئيس جمهورية باكستان يستمر فى حديثه واعتبرت هذا الحديث منه بهذا الشكل اساءة لمصر ولنا •• عكس ما تصور هو تمـــاما ••

وقلت له : أنت فقط يا سيادة الرئيس يمكن أن تفرض حمايتك على شعب الباكستان واترك أهل مصر يحمون أنفسهم لأنهم قادرون على ذلك من منطلق ايمانهم بالله وبالوطن •• وهم لا يريدون حماية « حلف بغداد » ولا حماية « اسكندر مرزا » •

واذا كان هناك من حماية يجب أن تقوم بها فهى أن تحمى الاسلام والمسلمين فى بلادك وأن تبدأ فورا بقطع علاقاتك وعلاقات حلف بغداد بانجلترا المشتركة فى العدوان الثلاثى على مصر والمسلمين •• وان هذا هو الأمر الذى يليق برئيس دولة ولا يليق بك يا سيادة الرئيس أن تتحدث عن أفراد •• وان كنت أنا على رأسهم كقائم بالأعمال فى طهـــران •

* * *

موقف نبيـل

وبناء على هذا الموقف الحاسم أعتذر الرجل وقال : أنا فقط أخشى عليكم وخائف عليكم وأتذكر أن سفير السعودية فى ذلك الوقت وقف معى بكل النبل والشهامة مع أنه لم يكن يعـــرف الانجليزية ولكنه تكلم بعبارات حماسية جدا وطلب من أحد الزملاء له ترجمتها لكى يؤيد كل حرف قلته ولكى يعلن لرئيس جمهـورية الباكستان أن الذى قصد به المجاملة قد انتهى الى الحرج والى أن يكون كلاما غير مقبول لا من مصر ولا من السعودية ، مع أن علاقتنا بالمملكة العربية السعودية فى تلك الفترة كانت على غير ما يرام .

وماذا كان موقف شاه ايران فى ذلك الوقت ؟

ــ بعد انتهاء العدوان الثلاثى أبلغت شـاه ايران بتطورات الموقف وبما وصلت اليه الحرب من نتائج لصالح مصر .. فطلب منى أن أعقد مؤتمرا صحفيا .. واذكر فيه أن الشاه متعاطف مع مصـر وما الى ذلك ..

وبالفعل تم عقد المؤتمر الصحفى وذكرت فيه أن مصر لا تنتظر من أى مسئول من أى ملك من ملوك دول العالم الثالث أو من رؤساء هذه الدول أو ن رؤساء الدول الاسلامية أو من رؤساء وملوك الدول العربية الا أن يدينوا عدوان انجلترا وفرنسا واسرائيل على دولة من دول العالم الثالث .. دولة عربية ينتمى شعبها للشعوب الاسلامية .

هـدية رمزية

وهذا التصريح من جانبى كان له تأثيره العميق على الشـــعب الايرانى رغم انه لم يكن هو ما يقصده الشاه ..

فالشعب الايرانى اعتقد أن حكومته تؤيد موقف مصر وتصرف على هذا الاساس وحضر الى مقر السفارة وفد ايرانى وقدم لى هدية رمزية عبارة عن سجادة فخمة من شغل اصفهان وقد تم ذلك فى جنح الليل لأن الحكومة كانت ترفض ذلك •• وهذه السجادة موجودة حاليا فى متحف بورسعيد •• منسوج عليها : « من شعب ايران الى مدينـــة بور سعيد الباسلة » •

هذه احدى المواقف التى تؤكد اننى كنت أعمــل بتوجيهات من داخلى وبما يمليه على شعورى الوطنى فى كل الظروف ••

أثناء وجودى فى ايران علمت أن كمال الدين صلاح مندوبنا فى الصومال قتل وتلقيت برقية بأن أتوجه الى الصومال ••

* * *

الصـــومال

بعد مقتل مندوب مصر فى الصومال كمال الدين صلاح ●● تلقيت برقية يطلب منى التوجه الى الصومال لتمثيل مصر أو تمثيل اللجنة الاستشارية للصومال فى مجلس الوصاية للامم المتحـدة وكان هذا أول اتصـال بينى وبين الامم المتحدة ممثـلا للمجلس الاستشارى للصومال الذى كان مكونا من دول افريقيا وآسـيا واميركا اللاتينيـة ●

واستقلال الصومال كان له أثره فى الفكر السياسى فى كل الأوسـاط العالميـة أولا لأنه كان من المسـتبعد أن يحـدث ●● وثانيا لأنه عندما أعلن استقلال الصومال سنة ١٩٦٠ لم يكن فيهـا خريج جامعى واحد ولم يكن لها مبعوثون سوى طالب واحد كان يدرس الطب فى القاهرة وكان ينتظر أن يتخرج بعد الاستقلال ●● وثالثا لأن استقلال الصومال على هذه الصورة مهد لاستقلال الدول الافريقية بعد سنة ١٩٦٠ ، فقد مهد فى الواقع لاستقلال الكونجـو وغيرها من الدول الافريقية التى سارعت للانضمام الى هيئة الامم المتحدة ●● وبالتالى تغير شكل المنظمة الدولية نفسها بانضمام هذه الدول المستقلة حديثا اليها مما كان له أثره فى الحياة الدولية كلها ●●

كيف اذن حدث ذلك وكيف تم استقلال الصومال ؟

ــ الصومال كان جزءا من المستعمرات الايطالية التى انتهت بهزيمة ايطاليا ودول المحور وانتصار دول امريكا وانجلترا وفرنسا وروسيا والصين وهى الدول الخمس صاحبة العضوية الدائمة الآن فى مجلس الأمن ●●

هذه الدول عندما انتصرت كان أمامها أن تتعامل مع العـالم

من منطلق أن المنتصر له غنائم الحرب .. كما كان متبعا قبـــل انشاء الامم المتحـــدة .

أو أن تلغى مسألة غنائم الحربهذه وتصر على ألا يكــون للحروب أى عائد على أطرافها لكى تلغى دوافع الحرب ذاتها ..

وبالفعل اتخذت هذه الدول الموقف الأخير وقررت انشاء الامم المتحدة التى نص ميثاقها على عدم امكان الحصول على أراضى الغير نتيجة الغزو أو نتيجة للحرب أو بحق الانتصار فى الحرب ، وبهذا حرمت على نفسها أن تحل محل ايطاليا فى اسبيريا أو فى الصومال أو فى ارتيريا وهى المستعمرات التى كانت تابعة لايطاليا المهزومة فى الحـــرب .

وبناء على ذلك قررت الامم المتحدة أن تستقل الصومال بعد مرور ١٠ سنوات تقضيها تحت الوصاية الدولية تمارسها ايطاليـــا والامم المتحـــدة عن طريق مجلس استشـــارى .. وحددت موعد الاستقلال فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٠ .

وفى هذه المدة كان على مجلس الوصاية أو المجلس الاستشارى أن ينظر فى ميزانية الصومال وأن يرى اتجاهاتها ويمارس جميـــع السـلطات ..

فى هذه الأثناء قتل كمال الدين صلاح وذهبت أنا الى الصومال عام ١٩٥٧ .. وكانت فترة لممارسة أشياء بعيدة جدا عن العمـــل الدبلوماسى العادى لأنه كان لابد أن ننظر فى أسعار الموز فى ايطاليا أو فى الصومال وفى امكانياته عمل مشروع كذا وكذا .. وكذا .

حمـــلة التنـــوير

وأهم شىء بالنسبة لمصر أننا رأينا الصومال ضائعة بين اللغة العربية على الساحل وبين المتحدثين باللغة الصومالية فقط وهى لغة

ضيقة الانتشار كانت تتحدث بها بعض القبائل الصومالية وكانت لا تصلهم بالعالم الخارجى كما لا تصلهم بالتراث الاسلامى القديم فاهتمت مصر بتأكيد وضع اللغة العربية فى الصومال كلغة أساسية ، وكذلك العناية بانشاء سلسلة كبيرة من المدارس ومن معاهد التعليم .. هذه المدارس يجب ألا تجذب الى أذهاننا مبانى فاخرة أو تجهيزات فاخرة ، ولكنها كانت فى أقصى الجهات النائية عبارة عن بيت من الطوب اللبن وربما كانت كوخا صغيرا ويعيش فيه مدرس وزوجته أو مدرس وحده أو يعيش فيها شيخ من الازهر أو طبيب مصرى وهذه كانت حملة التنوير التى اجتاحت الصومال وغيرت خريطتـه الثقافية لأنها وقفت وقفة الوفاء للغة والدين والاخوة ولم تتخـل مصر فيها لحظة واحدة عن تأدية واجبها .. ونتيجة لهذا تخرجت وبشكل لائق الأجيال الأولى من المتعلمين الصوماليين الذين فتحت لهم مصر أيضا أبواب مدارسها وجامعاتها ، فجعلت من الحـركة الثقافية فى الصومال حركة نشطة ولها تأثيرها الايجابى بالفعل ..

ويجب أن نذكر هنا أن المدرس المصرى كان يتقاضى فى ذلك الوقت حوالى ٧٠ جنيها مصريا وهو يعمل هناك .. ولا أنسى ما كان يتم من تعاون بين المدرس المصرى وعضو البعثة الازهرية وعضـو البعثة الطبية وعضو البعثة الزراعية ..

لقد كان الصومال لا يزرع حسب أساليب الزراعة المتبعة لدينا فى مصر فنقلنا لهم خبرتنا فأخضرت تلك الاراضى المنبسطة وفى ثلاث سنوات انتهينا من تحقيق الاستقلال للصومال قبل الموعد المحدد بستة شهور .. وفى ليلة أول يوليو سنة ١٩٦٠ الساعة ١٢ عند منتصف الليل لا أنسى موقفى فى الجمعية التشريعية الصومالية وعلى يمينى مندوب أو ممثل رئيس الجمهورية الايطالية الشخصى وعلى يسارى أول رئيس منتخب لرئاسة جمهورية الصومال وهو « آذن عبد الله عثمان » فى هذه اللحظة بالضبط سلمنى المندوب الايطالى وثائق

استقلال الصومال باعتبارى رئيس المجلس الاستشارى للامم المتحدة فى الصومال وقمت بتسليمها الآذن عبد الله عثمان ، والدموع تنهمر من عينى وأنا أعلن بالانجليزية — لغة المجلس — استقلال الصومال .

ثم شرحت ذلك باللغة العربية — اللغة الرسمية فى الصومال — ثم دوى صوت الجماهير المحتشدة فى الميدان فى هتاف واحد يقول « الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر » واستقل الصومال ..

موقف مؤثـــر

هل انتهت مهمتكم بعد ذلك فى الصومال .. وأين كان موقـــع العمل التـــالى ؟

— فعلا .. تركت الصومال بعد ذلك ولكن يحضرنى الآن موقف مؤثر جدا فعندما جاء آذن عبد الله عثمان .. وهو رئيس للجمهورية الى القاهرة وكنت أقف فى طابور المستقبلين احتضننى وأصر على أن أخرج من الطابور وأسير معه حيث اعتبرنى « صومالى » لأنه عندما تسلم منى وثيقة الاستقلال سنة ١٩٦٠ أعلن منحى الجنسية الصومالية الشرفية واعتبرنى المواطن الصومالى رقم واحد .

وأنا بالفعل اعتبر الصومال فى موقع الاعزاز من قلبى وشعورى رغم انها ليست دولة من الدول الكبرى وليست لديها امكانيات .. لكنها من الدول التى اعتز بها جدا وأشعر بالأسى الشديد للاحداث التى تقع بها حاليـــا .

منـــدوب مصـــر

بعد الصومال حضرت الى مصر وتوليت رئاسة الادارة العربية وأصبحت مندوب مصر الدائم فى الجامعة العربية .. وبقيت بها الى أن وقعت كوارث الكونغو والانفصال وطلب السكرتير العـــام للامم المتحدة « داج همرشولد » فى ذلك الوقت من مصر ممثلا لها فى

اللجنة الاستشارية التى شكلها برئاسته ، ووقع الاختيـــار على وذهبت الى نيويورك لكى أقوم بهذه المهمة المؤقتة لصالح الكونغو •• وأنا هنا أضغط على كلمة (مؤقتة) لأنه كما أن بقائى فى واشـــنطن كان مؤقتا الى أن تنتهى محادثات السفير المصرى أحمد حسين وجون فوستر دالاس لكن استمر وجودى بها من شهرين الى أكثر من عشرين عاما ، فان ذلك حـــدث أيضـــا فى مسألة عضوية اللجنـــة الاستشارية للكونغو مع « همرشولد » فى الامم المتحدة حيث أنه عندما عين عمر لطفى وكان مندوبنا الدائم فى سكرتارية الامم المتحدة طلب منى أن أبقى هناك لأمثل مصر وبقيت بالفعل الى أن عـــين محمود رياض فطلب أن أبقى مندوبا مناوبا معه •• حتى جاء قرار بتعيينى سفيرا فى الهند ونيبال •• فأقام محمود رياض حفل تكريم فى مناسبة وداعى ، ووقف يستقبل الحضور بنفسه وكنت أقف على يساره وهو يقدمهم لى واحدا واحدا •• وفى أثناء الانشغال بهذا الحفل وصل تلغراف لمحمود رياض وبعدما اطلع عليه تقدم الى طالبا منى أن أقف أنا مكانه ويقف هو مكانى أى نتبادل الاماكن ولم أفهم لـــماذا قام بهذا التصرف •• ولما نظرت اليه مستفهما قال لى : ان التلغراف الذى وصله توا يبلغه بانه نقل الى مصر وزيرا للخارجية •• ثم قال لى أنت الآن تقيم هذا الحفل تكريما لى بمناسبة المنصب الجديد •• وتغير الأمر •• حيث كان عليه أن يطير الى مصر فى الصبح لأداء اليمين ••

وكان أيامها فيه مجلس أمن خاص بمناسبة أحداث اليمن وكانت مصر متزعمة حركة الاستقلال فى العالم الثالث فى هذه الفترة ، وفى تحمل الاعباء العربية وهذه مسائل يجب أن يذكرها المصريون لأنفسهم ، فقد تحملت مصر أعباء كثيرة فى العالم العربى •• المهم انه كان لابد أن يكون هناك من يمثل مصر فى مجلس الأمن بدلا من محمود رياض وكان قرار ه أن أكون أنا بديلا عنه •• أى الذى يمثل مصر فى مجلس الأمن •• وطار محمود رياض الى القاهرة فى الصباح وتوليت أنا

رئاسة وفد مصر فى الامم المتحدة الى أن عين السفير المرحوم الصديق محمد عوض القونى ..

أليس غريبا أن يعينك محمود رياض بدلا منه دون الرجوع الى القـــاهرة ؟

ـ كانت التعليمات فى الحقيقة تطلع باسم رئيس الجمهورية وكلها تقترح بواسطة وزير الخارجية لكن كيف يعين رئيس وفد مصر فى الامم المتحـــدة .. ؟

مثلا فيما يخص امريكا ـ رئيس وفد امريكا فى الامم المتحدة ـ عضو فى مجلس الوزراء الامريكى ـ كل رئيس وفد لامريكا فى الامم المتحدة هو عضو فى مجلس الوزراء بحكم منصبه .. انما فى مصر رئيس وفد مصر فى الامم المتحدة هو أحد سفراء مصر وتعيينه خاضع لقواعد تعيين السفراء وهو أن يقترحهم وزير الخارجية .. وينظر فيهم رئيس الدولة ويوافق عليهم أو لا يوافق .. ويصح أن يقترح اسما آخر .. وكان قيامى بهذا العمل بشكل مؤقت كما ذكرت حتى جاء السفير القونى ، وعلى كل حال ـ بقيت مدة هناك ثم ذهبت الى الهند حسب القرار الاصلى وعشت فى الهند أقصر مدة عاشها سفير لمصر .. وهى ٩ شهور فقط والسبب هو أن محمـــود رياض وهو وزير الخارجية احتاج أن يعيد تنظيم الوزارة فطلب الى أن أعود بعد ٩ شهور أو سنة فعدت وكيلا لوزارة الخارجية ..

وأثناء تولى هذا المنصب كانت عندى مسئوليات العالم الافريقى والعالم العربى وشئون فلســــطين .. وازددت معرفة بالعـــالم العربى وايمانا باننا فى العصر الذى يستوجب فيه علينا التواجد والتكاتف وتكوين مجموعة عربية قوية يمكنها مواجهة التكتلات الدولية ســـواء كانت الاتحاد السوفييتى فى مجموعة وارســـو أو الولايات

المتحدة فى مجموعة الاطلنطى •• لقد كان ايمانى بضرورة وجود العالم العربى ضمن اطار ما للوحدة هو فى تصورى المنقذ له من التفرق ومن الانتحار السياسى وسط عالم يتجه نحو التكتل أو أى شكل من أشكال التوحد كما يحدث مثلا فى دول ما يسمى بالاتحاد الشمالى فى أوروبا وهى دول السويد والنرويج وفنلندا حيث انه اذا أجرم أحد فى فنلندا يمكن أن يحبس فى النرويج واذا استحق شخص معاشا فى السويد يمكن أن يعطى له ذلك المعاش فى أى دولة من دول الاتحاد ••

ولا أدرى هل ممكن أن يعود العالم العربى الى الطريق الوحيد الذى اعتقد أنه هو الطريق الرئيسى للوصول به الى عصر القوة فى عالمنا الجديد هذا أم لا ؟

كارثة ١٩٦٧

بعد فترة من عملى بوكالة وزارة الخارجية حدثت كارثة ١٩٦٧ التى هزتنى هزا عنيفا ولا أذكر أننى تأثرت فى حياتى تأثرا أعمق ولا أشد من تأثرى لما حدث فى عام ١٩٦٧ •• والسبب فى ذلك اننى اكتشفت أن القرار السياسى كان يتخذ دون الاستناد الى أسـس قوية تسنده •• وهذه أول مرة أوضح فيها أن الارتباط الامريكى الوحيد بالمنطقة كان يتمثل فى حرية المرور بمضايق تيران •• وباغلاق هذه المضايق كان لابد أن تقوم امريكا على الفور بمساعدة اسرائيل فى عملية عسكرية للسيطرة على الموقف •• وأنا أقول ان هذه الخطوة من جانبنا كان لا يجب اتخاذها أساسا •• يعنى يمكن للانسان أن يرى حائطا أمامه وأن يقرر هدمه ولكن لا يجوز له أن يسير أعمى ويصطدم دون أن يعرف أن الحائط موجود •

لقد كانت مسئوليتى بالخارجية فى هذه الفترة بعيدة عن الصلات الامريكية المصرية لأن هذا كان اختصاص وكيل وزارة آخر فى

الخارجية ولكننى رأيت أنه من الضرورى أن أوصل هذه الفـكرة للمسئولين فى مصر •• لكننى وجدت أن اتخاذ القرارات يتم بطريقة سريعة ، فقد تم تقديم طلب بانسحاب قوات الطوارىء الدولية واغلاق مضيق تيران واعلان انها منطقة حرب •• على كل حـال حدثت التطورات بسرعة ، وبعد نشوب الحرب كانت المعلومات التى تصلنا فى الخارجية تؤكد تقدمنا فى الحرب •• وكانت البيانات تذاع على الناس اعتباطا لدرجة اننا كنا نذيع عدد الطائرات التى أسقطناها فلما نحسبها نجدها تفوق عدد طائرات الجش الاسرائيلى كلها •• لقد تصور أصحاب القرار السياسى أن خداع الشعب يمكن أن يكون نوعا من أنواع التعبئة المعنوية ولكن بعد الحرب قال لى نجار من « دمياط » بأنه كان فى عمق سيناء دون تدريب أو أى شىء من هذا القبيـل •• وأول ما سمع رصاص المأساة جرى من سيناء لدمياط وهكذا تكشفت لى حقائق كثيرة من خلال حرب ١٩٦٧ ••

والذى أثر فى اننى كنت فى مركز من مراكز المسئولية فى ذلك الوقت واكتشفت انه كانت تحجب عنى الحقائق •• لذلك تركت مكتبى بعد ما وجدت انه فى أوج ما يصورونه لنا من الانتصارات ، جاءت التعليمات بأن نبلغ « عوض القونى » فى واشنطن بأننا نقبل قرار ايقاف النار وكان معنى ذلك أنهيار مصر ••

لذلك تركت مكتبى بالوزارة وطلبت من سكرتيرى أن يعود الى عمله وأن يطلب من أعضاء المكتب كلهم أن يعـودوا الى أعمالهم الاصلية لأنهم جميعا كانوا يساعدوننى فى تلك المسئولية الخاصة بالحـرب ••

بعد ذلك أغلقت مكتبى الساعة الواحدة بعد منتصف الليـل وخرجت متوجها الى منزلى •• ووصلت الى المعادى فوجدت ابنى

« حسن » (حاصل على الدكتوراه حاليا فى الهندسة من امريكا) وجدته واقفا فى العمل الوطنى — ناديته لكى يركب معى فركب حتى أدخلت السيارة الجراج •• ووقفت لم أتمالك نفسى •• فانخرطت فى البكاء والتزم ولدى الصمت •• حيث كان لم يرنى أبكى وبهذا التأثر طوال حياته ••

لقد كان يمر بخاطرى هذا الشريط الطويل من الذكريات •• وكنت أفهم أن يهزم الانسان مثلا — لكن بعد أن يبذل جهدا « ويعمل اللى عليه » كما يقولون •• لكن أن يهزم نفسه بنفسه •• فهذا شىء صعب ، وهذا ما فعلناه بانفسنا فى عام ١٩٦٧ •• ولذلك خرجت من وزارة الخارجية •• تركتها ولم أذهب اليها ثانية ••

بدون كـــذب

وأين كانت المحطة التالية بعد منصب وكيل وزارة الخارجية ؟

— عندما أرادت الدولة معالجة الأمور طلبوا منى أن أتولى رئاسة الهيئة العامة للاستعلامات كنائب وزير •• فقلت خدمة وطنى ضرورية ولكن أرجو ألا يطلب منى أن أكذب أبدا •• وكنت بعد تولى المنصب الجديد متحدثا رسميا أيضا باسم مصر وكان هذا أدعى لتمسكى بالصدق وحق الامتناع عن الكذب بأى شـكل من الأشكال •• وكان لهذا مردوده على العالم أجمع فلم يكن يدور بخلدهم أن يقف مصرى ليقول حقائق من خلال أجهزة الدولة ولا يردد الأكاذيب ••

وذات مرة سألنى مندوب وكالة صحفية قائلا : هل يأتى وقت تعترفون فيه بوجود اسرائيل ؟

قلت له : ايه وجود اسرائيل اللى مش معترفين بيه ما احنا معترفين بوجود اسرائيل ، وأضفت أقول له : أنا مش كنت باقولكم من دقيقتين لازم اسرائيل تمشى من مصر •• ومن الأرض العربية المحتـــلة •• ؟

قال : نعـــم •

قلت : طيب حيمشوا ازاى اذا ما كانوش موجودين •• يعنى لمـــا بقولك انهم أعتدوا علينا حيبقوا اعتدوا علينا ازاى ، اذا لم يكونوا موجودين •• فالاعتراف قائم والاعتراف بوجود اسرائيل قائم •• ثم أضفت أقول له : انما الاعتراف بشرعية وجود اسرائيل شيء آخر •• هناك فرق ، وهذا الكلام رغم أنه يبدو بسيطا أحدث ذعرا كبيرا جدا فى تلك اللحظة •

هل كان ذلك يعنى اعتراف المتحدث الرسمى المصرى بوجود اسرائيل ؟

— أرجو أن تكون الفكرة واضحة فى هذه الاثناء وأنا سألت الصحفيين : هل كنا نحارب شياطين أم كنا نحارب بشرا فالذى اعتدى علينا وعلى الدول العربية واعتدى على الفلسطينيين وفلسطين بشر وليسوا شياطين يبقى فيه وجود ناس اسمهم اسرائيل لكن شرعية وجودهم شيء يختلف وشيء آخر تماما •• وعندما قلت هذا الكلام وأضفت : اسرائيل أشبه بالابن غير الشرعى اللى جاء نتيجة لعمل منكر ومستنكر فأما وجوده فشيء لا شك فيه •• وضحت الحقيقة أمام الجميع وفهموا المعنى وعمقه ومغزاه •• قلت أيضا : سعيه على الأرض وفسقه فيها وعمله فيها شيء آخر •• انما أصلا وجوده مستنكر لأنه جاء بطريقة غير شرعية •• لكن وجوده لا ينكر •• نحن نستنكر طريقة وجوده •• لكن لا ننكر وجوده ••

على كل حال أنا قلت ذلك بحق طلبى وشرطى الأول فى قبول المنصب وهو أن أكون صادقا وألا أردد الكلام الذى يتم ترديده بغير عقل • •فأنا متذكر هذا الكلام ومتذكر تأثيره ••

جريدة « لموند » الفرنسية نشرت هذا الكلام بالخط العريض فى الصفحة الأولى •

الطفل غير الشرعى مستنكر طريقة وصوله للحياة لكن لا ينكر وجوده ولا يقتل (مندوب مصر) ••

* وهل كان ذلك وراء استبعادك من هيئة الاستعلامات ؟

ـــ أنا لم استبعد من هيئة الاستعلامات فقد بقيت أعمل بهـــا حتى عام ١٩٦٩ ولكن بعد أن انتهت فترة وجودى فى هيئة الاستعلامات وكمتحدث رسمى باسم مصر فى عام ١٩٦٩ عينت كمندوب دائم لمصر فى الامم المتحدة •• صحيح اننى لم أكن راغبا فى المنصب الجديد وكنت سعيدا بعملى فى مصر الأننى كنت حاسس بوجود رد فعل عالمى طيب لوجودنا وشكلنا ، وتفهم لوضعنا وكان متهيأ لى ذلك •• لكن على كل حال الذهاب الى الامم المتحدة يحتاج الى شرح ووصف لأن الانسان عجيب ، الانسان بشر ، لما بيتحرق أصابعه بيزعق ويقول أنا عمرى لن أقترب من النار تانى •• لما صدره بيتعب يلقى سيجارته ويقول والله عمرى ما اقترب من السجائر •• لمـــا بيحارب وأولاده بيموتون واقتصـــاده يختـــل وبيوته تتكسر يروح مزعق ويقول والله لن أحارب •• وبعدين يقولك : انه لا يمكن الاستيلاء على الأرض بالقوة •• لا يمكن كذا •• ولا يمكن كذا الأنى لا أريد اطلاقا أن أحارب ••

لو قرأنا ميثاق الامم المتحدة بلغته العربية التى ترجمها المرحوم الاستاذ محمود عزمى أو فى لغته الفرنسية والانجليزية والاسبانية

والروسية — وهى قطع رائعة من الأدب تدل على أن الانســـان لن يرتكب الاثم مرة أخرى وانه قد تاب وأناب ويطلب من الله أن يبارك توبته وانابته اليه ‥ لكن فتـــرة فترة يحصل الانفصـــال والانفصام بين الواقع والمأمول ، بين ما نطمح اليه وبين ما نعيش فيه ‥

حـــــكاية

واريد أن تغفر لى الاسباب فى شرح هذه النقطة ‥ الأننى أريد أن أحكى لك حكاية :

قلت له تفضـــل ‥

— قال لى · وأنا صغير فى دمياط كتبت قصة أسميتها « على قدمين » وقلت فيها عن الانســـان ‥ ربنا خلـــق ملائكة بأجنحة خـــلق حيوانات بأربعة أقـــدام وحينما خـــلق الانســـان خلقـــه بقدمين على الأرض من الحيوانية ويدين فى الهواء من الملائكية — واستغفر الله من ذلك « كنت صغيرا جدا » وأنا أقول ذلك الكلام ، وتحدثت به مع الدكتور طه حسين واستغربت أن أقول ذلك ورغم أن هذه القصة نشرت على كل حال ، الواقع يقول أن الانسان مقسم بين ما هو ملائكى وبين ما هو يسير مع غرائزه الحيوانية ‥ بين ما هو استجابة لطلباته الروحية والسامية كانسان وبين متطلبـــاته المادية الدنيوية ‥

الأحـــلام الضـــائعة

من هذا المنطلق أستطيع القول أن الأمم المتحدة قائمة على منع العنف ووضع حد له ويقوم القانون بين الناس مقام الحروب والعنف والحاصل أن الناس الذين قرروا هذا الكلام هم الخمس دول المنتصرة التى عرفت أن انتصارها العسكرى كلفها سنوات من عمر أولادها وأرواحهم واقتصادها ونتائج عمل أجيال كثيرة كانت

نطير فى ساعات قليلة اثناء الحرب •• فالامم المتحدة فى الواقع بعد أن حاول الانسان الذى قاسى ويلات الحرب العالمية الثانية أن يضع أساسا لحياة مثالية •• نسى كل ذلك •• وأصبح ميثاق الامم المتحدة كنص مكتوب شيء •• والأفعال شيء آخر ربما مناقض •• حيث أن الدول التى أقرت هذا الميثاق نفسها أصبحت تعانى من حالة حرب باردة مستمرة ، وضاعت القوة المنفذة للامم المتحدة وأصبحت صورة من عصبة الامم وصورة من أحلام الانسان الضائعة •• ولذلك فان العمل فى الامم المتحدة ينتهى بالانسان الى مجرد العمل فى عالم الاعلان بين الدول انها تعطينا الفرصة لكى نتحدث الى العالم كله عن طريق الامم المتحدة وتأكيد العلاقات الدبلوماسية الثنائية عن طريق الاتصال بمندوبى الدول الاخرى اتصالا دائما ومستمرا •• ويصبح مندوب أى دولة سفيرا لدى العالم كله عن طريق مختصر بأن يتحدث مع مندوب أى دولة أخرى فى أى لحظة ••

وحتى اذا كانت هناك دول ليست لها علاقات مع مصر مثلا فانه يمكن أن يتم الاتصال مع مندوبها بالامم المتحدة عن طريق مندوبنا ••

* هل يقتصر دور الامم المتحدة من وجهة نظرك على هذا الدور ؟

— لا •• طبعا هناك مؤسسات تابعة للامم المتحدة •• مثل اليونسكو والثقافة ناجحة جدا وأيضا لجنة العمل الدولية ، والزراعة ، والصحة العالمية •• هذه المؤسسات يمشى فيها العمل ويحدث فيها التعاون ومندوبنا الدائم فى الامم المتحدة مسئول عن هذه الأنشطة أيضا وبالتالى يمكن أن يكون له عمل ناجح ••

أما فى ميدان السياسة العملية أى منع اعتداء دولة ، أو صد أو ايقاف حرب أو تطبيق حكم العدل وحكم القانون فيحتاج الى اتفاق الدول العظمى ولا يكون لاحداها أى اعتراض .

وبالتالى فان الدول الكبرى التى قررت سنة ١٩٤٥ أن تعيش فى وئام وبالقانون تراجعت عن قرارها عندما ضاعت آلام الحــرب وبعدت ، وأصبحت هذه الدول نفسها معطلة للعمل السياسى والاساسى للامم المتحدة ولمجلس الامن ••

على كل حال لقد قمت بعملى سنة ١٩٦٩ كمندوب دائم لمصر وكانت فترة استطعنا فيها النجاح أنا وكافة المندوبين العرب فى الامم المتحدة •• وفى هذه الفترة استطعت بعون الله أن أقدم خدمات هامة للعالم العربى فقد كانت هناك قضايا عمان وقضايا اليمن وقضايا التحرير فى المنطقة وفى نفس الوقت كانت هناك أعمال غير سياسية فى الامم المتحدة بالنسبة لى •• كت وكيل اللجنة الخاصة بمرور عشرين سنة على انشاء الامم المتحدة ورئيسا للجنة الافريقية فعدلت ميثاق الامم المتحدة وانتهى الى زيادة أعضاء مجلس الامن من ١١ الى ١٥ مع أن هذا القرار كانت تعارضه الولايات المتحدة وروسيا انما استطاعت الامم المتحدة ودول العالم الثالث أن تتعاون لكى تحــدث بعض الانتصارات فى عملها داخل الامم المتحدة •

وقد كان لمجموعة الافروآسيوية والمجموعة الافريقية والمجموعة العربية دور اساسى فى هذا الصدد ••

* * *

الباب الرابع



الزيات وزيراً للخارجية

والتمهيد لحرب أكتوبر ١٩٧٣

موجـــز :

* سافرت الى ايران للمشاركة فى حل النزاع بين الكويت والعراق أوائل ١٩٧٣ .

* وأنا فى دمشق استقالت الوزارة فطلب منى الجـــانب السورى الاستمرار فى الزيارة .

* الرئيس الســـادات يختــارنى وزيرا للخارجية وأنا فى ســـوريا ..

* حسن البكر يقول لى فى بغداد ستحاربون وحدكم فجيش العـــراق فرق كشـــافه .

* السادات يعرض السفر الى الكويت لحل نزاع الحدود مع العـــراق ..

* جولة عربية للتشاور بخصوص التمهيد لحرب أكتوبر .

* « فرنجية » يؤكد ضرورة التحرك العسكرى لحل أزمـــة الشرق الأوسط .

* الكل خاسر فى الحروب والامم المتحدة لا تفعل شيئا .

* وزير الخارجية السعودى يؤكد مساندة الملك لموقـــف مصـــــر .

* الرئيس السورى يتوقع الفشل للوحدة بين مصر وليبيا .

* جولد مائير تملى شروطها للصلح مع العرب من خـــلال « فالدهايم » •

* فالدهايم يعرض على السادات خريطة بتصور الامـــم المتحدة للحدود بين مصر واسرائيل •

* السادات يتحدى مائير فى مفكرة السفير يارنج فتسحب كلامها عن الســـلام •

* * *

وزيرا للخارجيـــة

فى أوائل ١٩٧٣ ، سافرت الى ايران لحضور اجتماع بخصوص التوفيق بين الكويت والعراق حيث أن الخلاف بين الدولتين كان قد وصل فى هذه الأثناء الى حد يهدد بقيام حرب وبعد انتهاء الاجتماعات الخاصة بهذا الأمر والتى وفقنا الله فيها اتجهت الى دمشق لتلبية دعوة رسمية بزيارة القطر السورى الشقيق للتباحث حول عدة أمور •• ولكننى حينما وصلت الى دمشق أذيع نبأ استقالة حكومة الدكتور عزيز صدقى •• فسألت ان كانت الزيارة ما زالت قائمـة فأخبرنى الجانب السورى بأنها قائمة ••

وبالفعل قمت باجراء الاتصالات التى كنت موجودا من أجلها •• ولكننى فوجئت أثناء ذلك بأن الرئيس السادات قام هو نفســه بتشكيل الوزارة الجديدة واختارنى وزيرا الخارجية المصرية فيها •• وكانت هذه الوزارة هى الوزارة التى مهدت لحرب أكتوبر ١٩٧٣ وبالتالى كنت وزيرا للاعلام ثم الخارجية فى وزارة الدكتور عزيز صدقى ، ثم بعد ذلك فى وزارة المواجهة برئاسة السادات •• كوزير للخارجية أيضـــا •

التمهيـــد للحـــــرب

كيف اذن تم التمهيد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ؟

— فى يوم الاثنين السادس والعشرين من مارس ١٩٧٣ وصلت الى دمشق وكان فى استقبالى وزير خارجية سوريا السيد عبد الحليم خدام والسفير ممدوح جبه رئيس مكتب العلاقات المصرى فى دمشق فمصر لم تكن لها فى ذلك الوقت سفارة فى سوريا لقيـــام اتحـــاد الجمهوريات العربية بين مصر وسوريا وليبيا •

ومساء يوم وصولنا عقد اجتماع فى وزارة الخارجية السورية حضره معى السفير ممدوح جبه وأعضاء الوفد المصاحبين لى فى رحلتى كما حضره وزير الخارجية السورية السيد عبد الحليم خدام واثنان من مساعديه هما السفير محمد زكريا اسماعيل والسفير عدنان عمران •• وفى هذا الاجتماع تحدثت عن زياراتنا للدول الآسيوية الخمس : الصين والهند وباكستان وبنجلاديش وايران •• وأعربت عن اعتقادى أن تلك الدول تدرك الآن أن صبر شعبينا فى مصر وفى سوريا على الاحتلال الاسرائيلى قد نفذ وتتفهم ضرورة عملنا على اجلاء المحتل بكل وسيلة تتاح لنا كما أنها تؤمن بضرورة حصول الشعب الفلسطينى على حقوقه الوطنية المشروعة التى لا ينبغى أن ينكرها عليه أحد ••

وفيما يخص بنجلاديش ذكرت أن الانفصال قائم واننى قد تحدثت الى رئيس الجمهورية الباكستانية فوجدته يفهم ذلك وهو يأسف للاخطاء التى ارتكبها الجانبان وانتهت الى هذا الانفصال ••

وذكرت اننى أعتقد لذلك أن الوقت قد حان لتقرير الاعتراف بجمهورية بنجلاديش المستقلة •

وتحدث الوزير عبد الحليم خدام عن الحالة فى منطقة الخليج العربى وعن زيارته للعراق والكويت ومسعاه لانهاء الصراع القائم بينهمـــا •

وتحدث كذلك عن الوضع فى منطقتنا فقال : انه لم يطرأ عليه جديد منذ غادرت أنا مصر سوى استقالة الوزارة المصرية وأعلان الرئيس السادات انه سيؤلف بنفسه وزارة مواجهة شاملة وقال أن الحكومة السورية ترى أن لهذا القرار دلالة هامة وخطيرة ••

وأن الرئيس الأسد دائم الاتصال بالرئيس السادات فى الوقت

الحاضر ومن المنتظر ألا يتأخر إعلان تشكيل الوزارة الجديدة عن اليوم أو الغـــد .

وتلقى الوزير خدام أثناء الاجتماع واحدة من برقيات وكالة الأنباء الفرنسية يذكر فيها مراسل الوكالة فى القاهرة أن الرئيـــس السادات سوف يحتفظ فى وزارته الجديدة بأربعة من أعضاء وزارة الدكتور عزيز صدقى هم وزراء الحربية والخارجية والداخلية والاعلام وأطلعنى عليهـــا .

وقد زرت — فى صباح اليوم التالى — رئيس مجلس وزراء سوريا السيد الايوبى قبل أن أذهب بصحبة الوزير عبد الحليم خدام لزيارة الرئيس حافظ الأسد .

وزارة حـــرب

وفى أثناء المقابلة قال لى الرئيس الأسد أن الوزارة الجديدة فى مصر هى وزارة حرب وأنه يرجو أن تفهم هذا المعنى اسرائيل والدول التى تساندها .. وذكرت للرئيس السورى اننى فى زياراتي للدول الآسيوية الخمس قلت — بناء على الاتفاق مع رئيس الجمهورية — ان استمرار الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية قد أصبح أمرا لا يطاق ولابد من انهائه بأى سبيل ..

وقلت اننى أعتقد أن المسئولين فى تلك البلدان الخمسة يتوقعون ، ويتفهمون أن يؤدى استمرار احتلال اسرائيل للاراضى العربيـــة واستمرار مقاومتها للتوصل الى أى تسوية عادلة مرضية الى قيام الحــــرب .

وطلب الرئيس الأسدأن أحدثه عن مقابلتى للرئيس بوتو ، رئيس الباكستان ، وللشيخ مجيب الرحمن رئيس وزراء بنجلاديش فحدثته عن المقابلتين بالتفصيل وانتهيت الى الاعراب عن اعتقادى بأن الاعتراف

باستقلال بنجلاديش سيساعد فى الحقيقة كلا منهما على الاعتراف بالأمر الواقــع .

وأبديت أسفى لأن الدول العربية لم تتفاهم لتتخذ موقفــا واحدا من هذه المشكلة بل اختلفت مواقفها المعلنة وتجاوزت أحيانا فى انحيازها الى أحد الطرفين الحد المعقول أو المقبول .

وقال الرئيس الأسد : « يظهر انك ستغادرنا سريعا لتقوم بزيارة للعراق ، وأجبت أن الرئيس السادات طلب أن تتم زيارتى لكم قبل قيامى بزيارة بغداد ، ولهذا جئت من طهران الى دمشق على أن أعود بعد ذلك الى بغداد .. وتمنى الرئيس الأسد لى النجاح وقال انه يهمه سرعة ابلاغه بنتائج زيارتى لبغداد .

فى بغـــــداد

وصلت بغداد صباح الاربعاء ٢٨ مارس ١٩٧٣ وكان سفير العراق فى القاهرة السيد عزيز النجم قد أعلن فى اليوم نفسه اننى أزور العراق تلبية لدعوة من وزير الخارجية السيد مرتضى سعيد عبد الباقى عضو مجلس قيادة الثورة العراقية .

ولدى نزولى فى مطار بغداد همس سفيرنا — فى اذنى — ان بعض العراقيين يأخذون على زيارتى الأخيرة الى ايران ويعللون ذلك بأنها تمت لتوسيط الشاه لدى الاميركان لتصفية القضية . وقال كذلك أن بعض العراقيين مستاء من تصريحى فى طهران بأن هجوم العراق على الكويت أمر مستنكر .

وقد قلت للسفير : أما زيارتى لايران فاننى سأحدث المسئولين بما تم فيها بالتفصيل وهذا هو واحد من أسباب زيارتى للعراق ، اما استنكارى لقيام حرب بين بلدين عربيين فهو قائم وأرجو أن يشاركنى فيه أهل البلدين .

وعندما زرت فى صباح اليوم التالى قبر الجندى المجهـول لوضع اكليل من الزهور عليه دعوت الله ألا يسفك جندى عربى أبدا دم جندى عربى آخر ، معلوم الهوية أو مجهولها .

وفى اجتماعاتى وزملائى مع وزير الخارجية العراقى وزملائه تحدثت من جديد عن الدول الاسيوية التى زرتها وعن مشـكلة بنجلاديش والرأى الذى كونته بشأنها وعن النزاع بين الجمهورية العراقية وجارتها الكويت والأمل الكبير فى تسويته بما يرضيهما معا بتعاونهما للوصول الى الحل المرضى لهما .. وعن الدور الكبير الذى نريد أن تلعبه الحكومة العراقية لقيام التعاون الضرورى فى ظروفنا الحالية ..

وتمنيت أن أرحب قريبا بوزير الخارجية العراقى فى القاهرة كما ذكرت اننا نتطلع الى التعاون معه قبل وأثناء انعقاد مؤتمر عدم الانحياز فى مدينة الجزائر فى سبتمبر المقبل .

اسـتقبال الرئيـس

وفى صباح الخميس ٢٩ مارس ١٩٧٣ استقبلنى رئيس الجمهورية العراقية حينئذ الرئيس أحمد حسن البكر ، بحضور وزير خارجيته السيد مرتضى سعيد عبد الباقى وحضور سفيرنا عبد المنعم النجار .

وقد رحب بى الرئيس بود صادق وقال أن مرتضى (وزير الخارجية) قد أبلغه بأحاديثنا وقال انه شاكر لاهتمامنا ولاهتمام الاخوة العرب بمشكلة الحدود مع الكويت وأن ياسر عرفات قد وصل اليوم الى بغداد ليضيف جهوده السامية الى جهود غيره من المسئولين العرب الذين اهتموا بهذه المشكلة اهتماما مشكورا والتى لا يشك انها ستحل حلا مرضيا عما قريب .

تحاربون وحدكم

وقدمت الى البكر رسالة الرئيس السادات ففض غلافها وأخذ فى قراءة ما بها ، وطال زمن نظره فيها ، فقدرت انه يعيد قراءتها ربما أكثر من مرة .

ثم طوى الرسالة بعناية وانتقل الى مكتبه فأودعها أحد أدراجه وعاد الى مجلسه وعلى وجهه علامات اهتمام شديد وقال لى : لقد نقل لى مرتضى ما ذكرته فى اجتماعاتكم من انكم قد يئستم من الوصول الى تسوية للصراع مع اسرائيل ينتهى بمقتضاها احتلال الاراضى العربية وتتم فى نطاق الامم المتحدة على أساس مبادىء ميثاقها وقراراتها ..

قلت : قاربنا اليأس ..

قال : ونقل لى ما قلته له من انكم لن تقبلوا الاستسلام معاذ الله ..

ثم قال الرئيس البكر : تحاربون اذن ؟ تحاربون اسرائيل ومن هم مع اسرائيل ؟ قريبا ؟ هذا العام ؟

قلت للرئيس البكر : لا أعرف حقيقة متى نضطر الى التحرك العسكرى ولا كيف يتم هذا التحرك اذا اضطرتنا الظروف اليه ولكنى أعتقد أن هذا التحرك قد أصبح ضروريا .

ونقلت اليه مع ذلك ما رواه لى شاه ايران من حديث « كوسيجين » وتفسير وزير الخارجية الايرانى له وتعليق الشاه عليه ولكننى أضفت : « اننى مكلف بابلاغكم اننا اذا شعرنا باليأس المطلق من التوصل الى التسوية العادلة والشاملة والمقبولة .. لن نستطيع الصبر على الوضع الحالى ولن نرضى الاستسلام لارادة اسرائيل .

سأل الرئيس البكر : وهل تضمنت رسائل الرئيس السادات الى رؤساء الصين والهند هذا المعنى •• ؟

وأجبت أنه من اطبيعى أن تكون رسائل الرئيس السادات الى زملائه الرؤساء العرب أوضح وأصرح •

قال : تحاربون اذن ••

ستحاربون وحـــدكم ••

لن يحارب معكم أحد ••

قد تحارب معكم سوريا •• ولكننا نحن لن نستطيع أن نغطى ظهر القوات السورية كما ينبغى •• اسمع : ليس لدى العراق الآن جيش قادر على القتـــال •

قل للرئيس السادات ذلك ••

وقل له : اننى عندما وصلت الى هذا الكرسى « يقصد كرسى الرئاسة » كان جيش العراق اذا قورن بجيوش العصر الالكترونى فرقة كشـــافة •

وحالة الجيش الآن أحسن بكثير •• ولكن جيش اسرائيل اليوم يتسلح بأرقى وأحدث الاسلحة الامريكية ، واذا قامت الحرب فسوف تنهال عليه أسلحة أخرى ومساعدات أكبر وستستقبل اسرائيـــل متطوعين من اليهود تتحول جنسيتهم بمجرد وصولهم اليها الى جنسية اسرائيلية بموجب أحكام قانون العودة الاسرائيلى •

ونحن نقدر أن الحرب مع اسرائيل حتمية ولكنى اصور ذلك بالصدق حسب واقعنا الآن • انقل الصورة الى الرئيس السادات •• انقل اليه هذه الرسالة الشفوية منى وانقل اليه اهتمامى وتخوفى عليكم وعلينا •

الى الكويت

وماذا فعلت سيادتكم بعد ذلك فى بغداد ؟

ـ لم أفعل شيئا •• احتفظت بهذه الرسالة الشفهية بداخلى •• وغادرت العراق الى الكويت حيث استقبلنى أميرها الشيخ صباح السالم الصباح يوم السبت ٣١ مارس ١٩٧٣ بحضور وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الجابر وسفير مصر فى الكويت •

وذكرت لسموه اننى آت من العراق وأن مصر تضع نفسها تحت تصرف الدولتين الشقيقتين للمعاونة فى التوصل الى حل مرضى للخلاف القائم وأن الرئيس السادات مستعد للحضور بنفسه الى المنطقة ان رأى الفريقان أن فى حضوره ما يعين على سرعة التوصل الى التسوية المرضية •

وقال الأمير أن النزاع القائم له تاريخ طويل •• وقال وزير الخارجية لى : انك كنت تمثل مصر فى مجلس الجامعة العربية عندما تقدمت الكويت بطلب الانضمام الى الجامعة وتذكر موقف العراق من هذا الطلب •• فقلت : لقد تطور الموقف الى ما هو أحسن والنزاع القائم اليوم هو على مكان الحدود أما فى ذلك الوقت فقد كان العراق يرى انه لا توجد حدود على الاطلاق •

وقال أمير الكويت : اننا نشكر مصر ورئيسها الذى نعرف مواقفه جيدا وأعتقد أن الخلاف قد أوشك أن يسوى فنحن حريصون على ألا يقوم الخلاف بين الاخوة العرب فى وقت نواجه فيه جميعا عدوا قويا نحتاج الى مواجهته متضامنين •

مجرد شائعات

وبذلك انتقل الحديث الى مشكلة الشرق الأوسط وشرحت الموقف لسمو الأمير وشرحته بعد ذلك لولى العهد عندما لقيته •

ولقد طلب منى ولى العهد أن أؤكد للمسئولين فى مصر انه لا صحة اطلاقا للشائعات التى يتناقلها بعض المغرضين عن وصول قوات عربية الى الكويت •• وقال أن الكويت تعمل لتضييق شـقة الخلاف وانهائه لا لتوسيعه واشعاله •• تأكد أنه لا يوجد فى الكويت جندى واحد غير كويتى •

وفى مطار الكويت صرح الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجيـة للصحفيين بأنه متفائل بالتوصل الى حل سريع للخلاف العراقى — الكويتى ••

الى لبنـــان

وغادرنا مطار الكويت الى بيروت وفيها وجدت سفيرنا فى لبنان أحمد لطفى متولى ينتظرني فى المطار مع مدير المراسم فى وزارة الخارجية اللبنانية الاستاذ « عباس جمعة » الذى أخبرنى أن وزير الخارجية السيد خليل أبو حمد سيمر علينا بالفندق مســاء اليـــوم •

وأن رئيس الجمهورية اللبنانية « سليمان فرنجية » سيستقبلنا غدا (ظهر الاثنين) ويستقبلنا بعده رئيس الوزراء صائب سلام ، قبل أن نطير فى أول الليل عائدين الى القاهرة •

استمع الرئيس فرنجية وأنا أحدثه عن رحلتى باهتمام كما استمع لى وأنا أحدثه عن الحالة فى الشرق الأوسط ••

فقال : ان لبنان قد أصبح يعانى من اثار تلك الحالة معاناة شديدة وقال أن العرب يكيد بعضهم لبعض أكثر مما يكيدون لغيرهم ولعلهم ينفقون فى ذلك من الجهد أكثــر مما ينفقون فى مقــاومة الاسرائيليين الذين استراحوا تماما وأطمأنوا الى أن العــرب لن يستطيعوا زحزحة جندى واحد من جنودهم مترا واحدا الى الوراء •

وقد أبلغت الرئيس اننا لم نعد نطيق بقاء هذا الوضع وبأن صبرنا قد أوشك على النفاذ .

بلا محصـــول ســـــنة

وقال لى الرئيس فرنجية أيضـــا :

انه فى شبابه رأى جماعة ضخمة من نساء بلدة « زغرتا » تسير فى مظاهرة تهتف : « بلا محصول سنة » وانه لم يفهم الهتـــاف لأول وهلة .. اعتقد أنهن كن يتحدثن عن محصـــول الأرض .. ولكنهن كن يعلن استعدادهن للتضحية بمواليد عام من الشـــباب للدفاع عن شرف البلد ومحو عار الهزيمة .. وكان بالتالى يرى أنه لابد من التحرك العسكرى لأزمة الشرق الأوسط .

وكان لابد أن أنتظر بالفندق ساعتين قبل اقلاع الطائرة الى القاهرة وقد إســـتأذن مندوب جريدة الحيـــاة البيروتية الاســـتاذ « الياس بدوى » فى أن يشغل بعض هذا الوقت باجراء حديث صحفى معى لجريدته يتضمن ملخصا لنتائج هذه الرحلة الطويلة ..

الخـــــوف

وقال لى : لقد اتممت زيارة عشر بلدان يسكنها الجزء الأكبر من سكان المعمورة ، فهل هناك ظاهرة تتكرر فى كل تلك البلاد ؟ قلت : ظاهرة الخوف .. رأيت بنجلاديش تخاف الباكستان خوفا حقيقيا ورأيت الباكستان تخاف الهند خوفا حقيقيا ورأيت الهند تخاف الصين خوفا حقيقيا ورأيت الصين تخاف الاتحاد السوفييتى ولم أزر الاتحاد السوفييتى هذه المرة ولكن ألا تخاف الدولتان العظميـــان احداهما الأخرى ؟ لست أقول .. ولست أدرى — هل كل هذه الدول على حق فى مخاوفها أم ترى أن هذه المخاوف ليس لها أساس ؟ ليس هذا مهما .. المهم أن الخوف موجود وهو الذى يحرك ساسة هذه

الدول ، ويحركها أحيانا بقوة لا يستطيع العقل أن يسيطر عليها وبهذه الحركة تتصادم الشعوب وتشتعل الحروب ويتعطل سير موكب الحضـارة •

سأل : والعــلاج ؟

قلت : العلاج معروف لكن الانسان يخدع نفسه لأنه فى كل مرة يفشل نتيجة لتجدد الأطماع وسيطرة الغرور ، وآخر تجربة جربها العالم كانت تجربة الامم المتحدة اتفقت الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الأخيرة على انشاء الامم المتحدة عندما رأت أهوال الحرب وما ألحقته بالمدنية من دمار ، وأدركت أن الحروب ليس فيها منتصر بل الكل خاسر •• وعند ذلك أعلنت باسم « أهل الأرض » ميثاقا للمنمظة العالمية أساسه ابطال حق الغزو « كيلا تكون للحروب ثمار تغرى الغزاة » وكان المفروض أن يعرض على هذه المنظمـة كل خلاف أو نزاع فتقضى فيه قضاءها الذى تقبله كل أطراف النزاع والذى تستطيع الامم المتحدة أن تنفذه بالارغام ، ولكن السـنين مرت وأصبحت الحرب وأهوالها ذكرى باهتة وتيقظت أطماع الأقوياء وأصبح ميثاق الامم المتحدة وثيقة تسجل آمال المثاليين الذين لا يلقى اليهم فى العادة زمام الحكم فى البلاد •

قال مندوب الحياة اذن لا يوجد أمل فى أن تنفذ الامم المتحدة قراراتها الخاصة بالشرق الأوسط ؟

وماذا اذا لم تنفذ هذه القرارات ؟

قلت : ان قدرة اسرائيل على التحدى ليست ذاتية ، وقد ترى الدول الكبرى ذلك ممكنا فاذا لم يحدث ذلك للأسف كان علينا أن نختار بين الاستسلام للعدو وبين الكفاح بكل سبيل •

قال : ورحلتكم الى تلك البلدان العشر ؟ هل كانت لها صلة بهذا الموقف ؟

ـــ قلت : فى مثل هذه المواقف تكون الحكومات مسئولة لا أمام شعوبها فحسب بل أمام العالم كله ولهذا فقد قام عدد من المسئولين المصريين بتوضيح الصورة لكل بلاد العالم الصديقة •• ورحلتى الى هذه البلدان العشر هى جزء من هذا المجهود المصرى •

الى القـــــاهرة

ووصلت الى القاهرة مساء الاثنين وفى يوم الاربعاء الرابـــع من شهر ابريل عام ١٩٧٣ أقسمت ـــ للمرة الثالثة ـــ اليمين الدستورية فيما كانت المرة الأولى عندما توليت منصب وزير الدولة للاعلام فى وزارة الدكتور عزيز صدقى والمرة الثانية عندما توليت منصب وزير الخارجية فى الوزارة ذاتها •• وهذه هى المرة الثالثة اقسم فيها اليمين فى وزارة المواجهة الشاملة •

بعد ذلك توجهت الى مكتبى فوجدت مسائل قد تراكمت فى انتظار عودتى انشغلت بها ستة أيام •• وفى يوم العاشر من ابريل عام ١٩٧٣ حين دق جرس الهاتف وكان رئيس الجمهورية على الطرف الآخر يطلب منى الحضور للمشاركة فى جلسات مجلس الأمن الذى رأى ضرورة دعوته للنظر فى عدوان اسرائيل على لبنان وقتلها للزعماء الفلسطينيين الثلاثة فى مساكنهم فى شارع فردان •

وهكذا أغلقت ملف رحلتى الآسيوية بهذا الاجتماع •• وعدت لاتصل هاتفيا ببعثتنا الدائمة فى نيويورك لابلاغها اننى سأصل اليها فى الغد ، الخميس الثانى عشر من ابريل ١٩٧٣ فى طائرة شركة الخطوط العالمية التى تطير من القاهرة مباشرة الى نيويورك ••

برج العــرب

وفى صفحة جديدة من صفحات ذكرياته عن العمل السياسى فى مصر يواصل د. الزيات قائلا :

قبل أسابيع قليلة من حرب ١٩٧٣ كنت فى امريكا ..

وحينما عدت من نيويورك اتصلت بالسيد الرئيس فوجدته خارج القاهرة حيث كان يقيم فى استراحة « برج العــرب » فى الساحل الشمالى من الصحراء الغربية .

وعند وصولى الى الاستراحة صباح الخميس ٢ أغسطس ١٩٧٣ كان الرئيس مجتمعا بثلاثة من معاونيه هم السيد محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس مجلس الوزراء الذى كان يقوم بمهام وزير الخارجية بالنيابة أثناء غيابى عن مصر والسيد ممدوح سالم وزير الداخلية والسيد محمــد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس لشــئون الأمن القــومى .

وكان الرئيس السادات قد ترك تعليمات بانضمامى اليهم فور وصولى من اميركا .

اسمح لى سيادتكم أن اتساءل عن ماهية هذا الاجتماع ؟

ــ لم يكن هذا الاجتماع لأجل توضيح الموقف الدولى حول احتلال اسرائيل للأراضى العربية .. ولكن الرئيس قال فى البداية : لقد ذهبنا الى مجلس الأمن وفى تقديرنا أن أغلبية أعضائه ستقف الى جانبنا ولكن وفدنا استطاع اقناع دول العالم الممثلة فى المجلس بأن تقف كلها معنا .. وهكذا أعلن العالم ايمانه بضرورة وضع حد للحالة التى لا تطاق والتى يفرضها على منطقتنا الاحتلال الاسرائيلى الحالى لفلسطين كلها ولاجزاء من أراضى الدول العربية .

والعالم يدرك اليوم أن الأداة الدولية التى كان يجب أن تضع حدا لهذه الحالة المستنكرة قد عطلها تعنت حكام اسرائيل وغرورهم وانحياز الحكم فى واشنطن بالكامل اليهم » •

وأضاف الســادات : « العالم كله يعرف الآن أن عبء وضع حد لهذه الحالة التى لا تطاق قد أصبح ملقى على عواتقنا نحن فى العالم العربى وعلينا أن نبدأ بترتيب أمورنا داخل هذا العالم » •

اسمح لى أن أسأل اذن عن موضوع الاجتماع الأصلى ؟

ــ الموضوع الذى كانوا قد اجتمعوا من أجله هو موضــوع الاستفتاء الذى كان مقررا اجراؤه فى أول ايلول (سبتمبر) فى كل من مصر وليبيــا حول الوحدة المقترح اقامتها بين البلدين •• وأنا لم أحضر مناقشة هذا الموضوع حتى نهايته •• فقط حضرت هذا الاجتماع وبعد ذلك شغلت خلال المدة الباقية من شهر أغسطس بمباحثات أجريتها فى القاهرة مع وزير الدولة السعودى المرحوم الأخ « عمر السـقاف » وأجريتها فى دمشق مع وزير الخارجية (آنذاك) الأخ عبد الحليم خدام ورئيس الجمهورية حافظ الأسد ثم استقبلت وزير خارجية اليمن الجنوبية ثم وزير خارجية تنزانيا ثم فاروق القدومى (أبو اللطف) من أقطاب منظمة التحرير الفلسطينية ••

تبــديد المخــاوف

وقلت لعمر السقاف أن من الحيوى أن تفهم اميركا وأن تقتنع بأن العرب متضامنون جميعا حول الموقف من الأراضى العربية المحتلة وأنهم مع الشعب الفلسطينى وأنهم يد واحدة فى مسألة اجــلاء قوات الاحتلال الاسرائيلية الى حيث كانت قبل قيام حرب ١٩٦٧ •

ولابد من تبديد ما يعتقده بعض الاميركيين من أن الأنظمـة العربية المسماة « بالمعتدلة » تخشى من مصر وغـيرها من الدول المسماة « بالتقدمية » وهى لذلك لا تريد أن يزداد نفوذها فى المنطقة ولا تحب لها أن تنتصر على اسرائيل لأن هذا الانتصار من شأنه زيادة هذا النفـوذ ..

وقلت أن هذه خرافة تضر بالجميع ولابد أن يتضح بعدها عن الحقيقة ..

ثم قلت له : لقد قدرنا فى مصر موقف المملكة العربية السعودية فى مجلس الأمن .. وبعد حوادث ابريل فى بيروت كان على البـلاد العربية كلها أن تقرر .. هل تقاوم جميعا أم تخضع جميعا لمـا يحلم به حكام اسرائيل من هيمنة على مقدرات البلاد العربية كلها .

وماذا كان رد السيد عمر السـقاف ؟

ـــ قال السقاف : ان « المغفور له » الملك فيصـل مدرك تماما لحقيقة المخاطر التى يواجهها العالم العربى الآن ، وقد تحدث معه الرئيس المصرى بصراحة وبقلب مفتوح .

أما تقولات المتقولين بأن صالح السعودية هو فى بقاء مصر مقلمة الأظافر فهى تقولات لا ينبغى أن يلتفت اليها أحد فى بلادنا لأنها لا تستحق التكذيب ..

وقلت للوزير السقاف : إن المهم هو ألا يصدقها أحد فى اميركا فبعض الساسة الاميركيين الذين يؤمنون ويعملون على أن تكون اسرائيل أقوى من دول المنطقة كلها يبررون للشعب الاميركى تقديم ما يقدمون من المعونات المتزايدة لاسرائيل بأن هذه المعونات لا تقدم لحماية اسرائيل من العرب فقط ، بل انها تقدم أيضا لحماية بعض الدول العربية من دول أخرى متطرفة أو عدوانية كما سماها الرئيس

نيكسون .. وبذلك يحاولون اسكات أصوات من يطالبون بضرورة عدم اهدار مصالح امريكا فى المنطقة وعدم الانحياز الى اسرائيل بالشكل الذى ظهرت امريكا به عندما وقفت وحدها فى مجلس الأمن مع اسرائيل .

وقال لى الوزير السقاف أن الأيام القريبة تحتاج الى استمرار تلاقينا وتشاورنا وأن توجيهات الملك واضحة بشأن التعاون مع مصر الى أقصى حد .

وكنا سنحضر الشهر التالى مؤتمر عدم الانحياز فى الجزائر كما كنا سنتقابل فى نيويورك من جديد أثناء الدورة الجديدة للجمعية العامة للامم المتحدة .

فماذا كانت الخطوة التالية فى التحرك بشأن الاستعداد للحرب ؟

— سافرت يوم الخميس التاسع من أغسطس الى دمشق لمقابلة نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية — انذاك — عبد الحليم خدام .. وقد كررت أثناء حديثنا أن المسئولين عن الشرق الأوسط فى الولايات المتحدة يبنون سياستهم فى المنطقة على أساس افتراض أن العرب « قبائل متنافرة متحاربة اتخذت فى العصر الحديث وبتأثير الاستعمار الاوروبى شكل الدولة الحديثة » .

وقال عبد الحليم خدام : لا بأس ، يجب أن تخدمنا هذه السياسة وستخدمنا اذا فاجأنا خصومنا باتحاد لا ينتظرون حدوثه .. وهذا الاتجاه هدف اذا ما وصلنا اليه فلا أظن أننا سنحتاج الى كفاح طويل لتحقيق بقية مطالبنا الوطنية .

وفى يوم الجمعة العاشر من أغسطس استقلبنا الرئيس حافظ الأسد ، وقد أبدى الرئيس السورى أسفه للوضع الدولى كما يظهره البيان المشترك الذى صدر بعد مؤتمر القمة وقال أن العرب أنفسهم

هم المطالبون بتحرير أرضهم واسترداد حقوقهم وتنظيم صفوفهم .. وأبدى أسفه الآن « اتحاد الجمهوريات العربية » بين مصر وسوريا وليبيا يجرجر خطاه نحـو القبر والآن المشروع الوحدوى بين مصر وليبيا يسير فى الطريق نفسه وربما بسرعة أكبر .

مـع فالدهـايم

وفى آخر الشهر وصل سكرتير عام الامم المتحدة كورت فالدهايم الى القاهرة قادما من اسرائيل .. وقد جلست معه فى شرفة الجناح الذى نزل فيه فى فندق « شيراتون » نتحدث عن زيارته لاسرائيل ولخص لى مباحثاته مع رئيسة الوزراء « جولدا مائير » فى هذه النقـاط :

١ — ان الدول التى اشتركت فى عمليات القتال صيف عام ١٩٦٧ هى وحدها الأطراف التى يجب أن تشترك فى عمليات التصالح والوصول الى السـلام .

٢ — ان كل ما تريده اسرائيل من الأمم المتحدة هو اقنـاع الدول العربية التى اشتركت فى حرب ١٩٦٧ بأنه لا مفر من دخولها بنفسها فى عمليات التصالح والتوصل الى السلام وأن فى الاسراع بذلك اقتصادا فى الوقت والنفقات .

٣ — اسرائيل مستعدة أن تبدأ هذه العمليات بمباحثات تجريها مع كل دولة عربية من الدول المشتبكة فى الصراع فى الشرق الأوسط فى نيويورك بحضور « فالدهايم » بصفته السكرتير العام للامم المتحدة ، ومهمته السعى الى الوصول الى الاتفاق (بين الطرفين) وذلك حسب تفسير اسرائيل للفقرة الواردة فى قرار مجلس الأمن ٢٤٢ عن مهمة الممثل الخاص للسكرتير العام (وهى المهمة التى جمدتها اسرائيل بمقاطعتها للسفير جوناريارنج) .

٤ — انه الى أن يتم ذلك فان اسرائيل سوف تبقى قواتها فى المواقع التى وصلت اليها فى الحرب « الدفاعية » التى قامت فى يونية ١٩٦٧ وهى خطوط ايقاف النار التى يجب أن تحترم •• وقالت مائير أيضا : ان تحديد الحدود الآمنة الجديدة التى سترجع اليها قوات اسرائيل يجب أن يتم باتفاق الطرفين ودون ارتباط بخطوط هدنة ١٩٤٩ أو حتى بالخطوط الدولية التى كانت قائمة عندما كانت فلسطين موضوعة تحت الانتداب البريطانى والسلام هو مفاوضات فاتفاق فانسحاب •

٥ — إن اسرائيل مستعدة إلى أن يتم ذلك أن تتفاوض للقيام بخطوة أولى يتم فيها إعادة فتح قناة السويس بالشروط التى يتفق عليها الطرفين •

القضـــية

٦ — وجوابا على سؤال « فالدهايم » لرئيسة وزراء اسرائيل عن القضية الفلسطينية ذكرت انها قضية معقدة تزيد من تعقيدها الاعتبارات الاسرائيلية الداخلية على أنها مستعدة فى نطاق تسوية شاملة أن تعطى للفلسطينيين حق الحكم الذاتى •

٧ — وقال فالدهايم انه حاول أن يعرف من رئيس الوزراء ثم من وزير الخارجية ابا ايبان ما هى الحدود والتى تعتقد اسرائيل أنها تحقق أمنها فكان الجواب انها تحدد باتفاق أطراف النزاع •

على أنه قال لى وهو يطلعنى على خريطة لشبه جزيرة سيناء رسم عليها خط أزرق عريض •• أن بعض رجال الامم المتحدة يعتقد بعد تحدثه مع بعض العسكريين الاسرائيليين أن اسرائيل ستقنع بالحدود الدولية القديمة بينها وبين مصر إذا رضيت مصر بأن يدخل موقع شرم الشيخ وطريق يصل بين الموقع وبين اسرائيل •• داخل

الحدود الاسرائيلية ولو اعتبرت حدودا إدارية غير سياسية كالحدود القائمة بين مصر والسودان ..

وقال فالدهايم : انه علق على ذلك بأنه يعتقد أن أقصى ما يمكن أن تقبله مصر فى هذا الشأن هو وضع الطريق المطلوب تحت سيطرة قوات تابعة للامم المتحدة .

ضد اسرائيل

وقال فالدهايم أيضا بأنه ذكر رئيسة الوزراء بأن الرأى العام العالمى ، كما يظهر من مناقشات مجلس الأمن الأخيرة ومن نتائج التصويت فيه ، يتحول ضد اسرائيل وهناك تساؤل عن حقيقة تفكير اسرائيل فيما يخص الامم المتحدة ومبادرتها .

وقال اننى قد طرحت فى مجلس الأمن أسئلة لم تجب عليها اسرائيل حول رأيها فى حق تقرير المصير ، وفى قدسية سلامة الأراضى الوطنية ، وفى عدم السماح بالحصول على الأرض بالقوة المسلحة وفى القرار ٢٤٢ نفسه .

وكان رد اسرائيل أولا عن الحالة الدولية « أن التطورات التى تحدث فيها تعد تطورات ايجابية لصالح اسرائيل وليست تطورات سلبية فان الاتحاد السوفييتى قد أصبح أقل استعدادا للقتال بشكل عام وأكثر حرصا على اصلاح علاقاته بالولايات المتحدة بشكل خاص .

أما الرأى العام العالمى وتحوله عن اسرائيل كما يظهر من التصويت الأخير فى مجلس الأمن فالرد عليه بسيط : اذا كانت دول العالم سوف تتركنا وحدنا فسوف يكون علينا أن نحارب وحدنا .. وأما التصويت فى الأمم المتحدة فهو تصويت « كتل ودول عدم الانحياز تعمل ضدنا وهناك محاولات لطردنا (أى اسرائيل) من وكالات الأمم المتحدة المتخصصة مثل وكالة الصحة العالمية ومنظمة العمل الدولى .

ويبقى القرار ٢٤٢ فاننا متمسكون به ولكن ليس بتفسيره الذى أعطاه السفير « يارنج » فى مفكرته ونحن نقبل الأمم المتحـــدة باعتبارها واسطة وليس باعتبارها وسيطا على حد قول مائير ..

أما الأسئلة التى طرحها وزير خارجية مصر فهى عن مبادىء نظرية ونحن مستعدون للتفاوض على امكان تطبيقها وكررت مائير انها متمسكة بالقرار ٢٤٢ وقال فالدهايم انه قابل بعد ذلك موشى ديان فأكد له أن اسرائيل متمسكة بالقرار ٢٤٢ ولا تقبل سحبه .

بيـــع الأراضى

وقال فالدهايم : انه أثار مع رئيسة الوزراء الاسرائيلية موضوع بيع الأراضى العربية للاسرائيليين الذى كان مقترحا فأجابته بأن الحكومة لم تتخذ قرار فى هذا الموضوع وأن للموضوع جوانب تتصل بالانتخابات وفهم فالدهايم أن مائير إذا أعيد انتخابها لن توافق على عمليات الشراء المقترحة على أنها قد قالت له انه اذا تأخرت التسوية فانه لا يمكن تجميد حياة البشر .

ثم أضاف أن مائير قالت له أنها حريصة على أن ينقل حديثها الى الرئيس السادات نفســـه .

وهل قابل فالدهايم الرئيس السادات فى هذه الزيارة ؟

ــ فعلا .. وقد أبلغته أنا فى هذه الجلسة بأنه سيقابل الرئيس معى غدا وعليه أن يبلغه بمضمون حديثه مع رئيس وزراء اسرائيل ووزير خارجيتها .. واضفت أن الخريطة التى أطلعنى عليها وقال انها لتوضيح رأى بعض موظفى الامم المتحدة فى التسوية التى يعتقد أن اسرائيل ستقتنع بها لن تكون لها أهمية الا اذا كانت خريطـــة اسرائيل تعرض لجس النبض أو بغرض معرفة رد الفعل المصرى عند الاطلاع عليها .

وقد أسرع فالدهايم فأكد لى أن هذه الخريطة هى من خرائط الامم المتحدة رسم عليها الخط الأزرق لتوضيح أفكار موظف الامم المتحدة الذى تحدث بها الى رئيسه .

الخـــط الأزرق

وقلت « لفالدهايم » انه من الخير فى هذه الحالة ألا يخلط الحديث عنها بما سمعه من المسئولين عن الحكم فى اسرائيل .. وأضفت أن رد الفعل عندى لدى اطلاعى على هذا الخط الأزرق هو تذكرى لقصة رواها لى المرحوم « رالف بانش » سكرتير عام الامم المتحدة المساعد السابق عن حادث وقع فى جزيرة رودس ، عنـــدما كان فيها للتباحث مع كل من الوفد الاسرائيلى والوفد الاردنى عام ١٩٤٩ فقد قال أن الوفد الاردنى أخبره مرة — بعد صدور الاتفاق على خط الهدنة بين اسرائيل والاردن — انه مضطر للعودة الى عمان للتشاور وسيغيب لذلك عن رودس يومين .

وقال انه لاحظ أن الوفد الاسرائيلى اختفى من رودس عندما غادرها الوفد الاردنى وأن الوفد الاردنى عاد بعد اليومين اللذين قال أنه سيغيبهما ومعه خريطة عليها خط بقلم أزرق عريض قال أن الاردن يقبله خطا للهدنة .. وظهر الوفد الاسرائيلى وقالوا انهم يوافقون على الخط الذى قدمه الوفد الاردنى .

ملاحظتـــــان

وماذا كان رد فعل فالدهايم على ذلك ؟

— حين سمع فالدهايم القصة ألقى الخريطة جانبا وقال وهو يبتسم : لا حاجة بنا الى هذه الخريطة ولا الى ذكرها ثم ســـأل : هل لك أنت ملاحظات على الحديث مع رئيسة وزراء اسرائيل ؟

قلت :لى ملاحظتان سبق ابداؤهما فى مجلس الأمن :

الملاحظة الأولى : اننا اذا عدنا الى ضرورة التقــاء المنتصر بالمهزوم لاعادة تخطيط الحدود بما يترجم النصر العسكرى الى نصر سياسى نكون قد هدمنا الأمم المتحدة من أساسها ..

والملاحظة الثانية : ان الحلول المؤقتة والجزئية تتحول عادة الى حلول نهائية اذا لم يتم الارتباط بالتسوية النهائية التى يجب أن تكون فى حالتنا كاملة شاملة لكل أطراف الصراع وهم من الجــانب العربى مصر وسوريا والاردن وفلسطين ..

وأجاب فالدهايم بأنه قد أبدى هاتين الملاحظتين لرئيسة الوزراء فى حديثه معها .

ومتى قابل فالدهايم الرئيس السادات ؟

ـــ كان اليوم التالى هو يوم السبت وكان يوم عطلة لأنه كان الفاتح من شهر سبتمبر عيد الثورة الليبية ..

وتذكرت الآمال الضخمة التى ملأت قلبى عند إعلان تلك الثورة وكنت فى الاسكندرية مدعوا لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر ليتحدث الى قبل عودتى الى مقر منصبى فى الامم المتحدة بعد تكليفى باجراء المباحثات التى وافقت مصر على اجرائها مع السفير يارنج بناء على ما سمى بمشروع روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة وتذكرت اننى هنأت رئيس الجمهورية بهذه الثورة وتخيلت نتائج تعاوننا مع ليبيــا والسودان تعاونا تسخر فيه كل دولة من الدول الثــلاث جهودها ومواردها لخدمة هذا القطاع الهــام من قطاعات العــالم العربى ، ثم تذكرت أحداث العامين الماضيين التى بددت هذه الآمال وهذه الأحــلام .

ونحن الآن فى الفاتح من سبتمبر ١٩٧٣ وهو تاريخ كان مستهدفا

لقيام الوحدة بين مصر وليبيا ثم أصبح مضروبا لاجراء الاستفتاء ثم حل فلا وحدة ولا اتحاد ولا استفتاء .

مـع الســادات

كانت شوارع القاهرة هادئة ونحن نقطع الطريق أنا وسكرتير عام الامم المتحدة من فندق الشيراتون فى الجيزة الى قصر الطاهرة حيث كان رئيس الجمهورية أنور السادات فى انتظارنا .

وقد أعاد فالدهايم على الرئيس السادات حديث الأمس معى (دون أن يشير الى موضوع الخريطة التى قال انها توضح توقعات موظف الامم المتحدة) .

وقال أن مائير تود ابلاغ مصر : ان الوقت قد حان لاحـلال السلم محل الحرب ليتمتع شعبها بالحياة فى طمأنينة .

رد الســـادات

ورد الرئيس السادات على فالدهايم بقوله : أولا من ناحيتنا فانه ما دامت أرضنا محتلة فلن نفاوض مباشرة أو غير مباشرة .. ومصر مع ذلك قد أعلنت فى الخامس عشر من فبراير الماضى فى المفكرة التى سلمتها الى ممثلك الخاص يارنج ردا على مفكرته أنها على استعداد للدخول فى اتفاقية سلام مع اسرائيل اذا ارتبطت اسرائيل بسحب جيوشها من أرضنا بالكامل وقبلت بقية ما جاء فى مفكرتنا وجعلنا قبولنا الدخول فى اتفاقية السلام مرتبط بهذا .

وقال الرئيس السادات : عندما كان روجرز وزير خارجيـة الولايات المتحدة يزور مصر قال لى : أن مائير قالت له متحدية : فليعلن أى زعيم عربى انه مستعد للدخول فى اتفاقية سلام مع اسرائيل وأنا سأضع عند ذلك كل أوراقى على المائدة ..

وقال الرئيس السادات : فى الخامس عشر من فبراير أى منذ ستة شهور ونصف شهر أرسلنا المفكرة التى تتضمن العبارة التى طلب ممثلك منا أن نضعها فى ردنا وهى العبارة التى طلبتها مائير من الوزير روجرز •

وقد أبلغ يارنج مفكرتنا الى مائير فلم تضع أوراقها على المائدة •• بل اضطرت الى التصريح بأنها لا تنتوى أن تعود الى الخطوط التى بدأت منها الحرب فى الخامس من يونية ١٩٦٧ ••

اســتغماية

وأضاف الرئيس السادات بالعربية : (دول كانوا بيلعبــوا استغماية) وترك لى عبء الترجمة ••

وفيما يخص ما تذكره مائير من رغبتها فى التعامل معك ، نحن نطلب الوصول الى حل عادل وشامل عن طريق الامم المتحدة معتمدا على مبادىء ميثاقها واحكامه وأنت ويارنج واحد وثقتنا تامة فيكما •• وفى الامم المتحدة والتزامنا بميثاق الامم المتحدة قائم •

ولكننى أكرر لسنا مستعدين لبدء أى شىء وأرضنا محتلة وهذا ليس شرطا مسبقا هذا تطبيق ضرورى لمـا يقضى به ميثاق الامم المتحدة ولما وافقت عليه أربع عشرة دولة أخيرا فى مجلس الأمن •• لابد من البدء على الأرض السليمة •• ولا يمكن أن نقبل أن تجنى اسرائيل ثمار العدوان •

وكرر الرئيس السادات التعبير عن ثقته فى الامم المتحدة وفى فالدهايم وفى استعداد مصر لحل سلمى « ويؤسفنا ألا يوجد مثل هذا الحــل » •

الفيتـــو الأميركى

فماذا كان رد فالدهايم على الرئيس ؟

ـ قال فالدهايم : أنت يا سيادة الرئيس ترى أن المشـــكلة توشك أن تنفجر وأنا أيضا أرى أن المشكلة على وشك الانفجار .. ولكن مائير لا ترى أن المشكلة قابلة للانفجار وهى تعتبر أن الفيتـــو الأمريكى قد أنهى الموضوع ونحن لا نقبل ذلك .

ويجب أن نبحث اذا كانت الامم المتحدة قادرة على أن تبذل جهدا مثمرا أثناء انعقاد الجمعية العامة التى تبدأ هذا الشهر فى نيويورك أثناء وجود وزراء الخارجية لبحث المشكلة بشكل هادىء وموضـــوعى .

واننى ألاحظ للأسف الشديد أن الدول الكبرى تخرج بالمشاكل الكبرى من أطار الامم المتحدة وقد حدث ذلك فى مشكلة الشرق الأقصى وهو يحدث فى مشكلة الشرق الأوسط ونحن لا نقبل أن يكون التصويت الأمريكى هو قرار مجلس الأمن الاجماعى وآخر كلمة فى بحث هذا الموضوع داخل الأمم المتحدة ..

ثم قال : لقد زرت اسرائيل (وأنا انتهز الفرصة لاعتذر عن اشارتى الى القدس باعتبارها عاصمة اسرائيل فى مؤتمر صـــحفى ارتجلت فيه الاجابات أثناء وجودى فى اسرائيل ، فقد كانت تلك الاشارة زلة لسان) وأنا سعيد بزيارتى مصر وسأسافر هذا المساء الى الاردن وعند عودتى الى نيويورك سأتصل بالدول الكبرى لمعرفة إمكان القيام بمجهود دبلوماسى هادىء بعد انتهاء الانتخابات وأثناء وجود وزراء الخارجية فى نيويورك فى نوفمبر ، على أننى سوف أتصل بالدكتور هنرى كيسنجر فقد أصبح الآن وزيرا للخارجية الأمريكية بهذا الصـــدد وقد يجعله ذلك أكثر اهتماما بالامم المتحدة .

وغادر كورت فالدهايم القاهرة مسافرا الى عمان ظهر الأحـــد الثانى من ايلول « سبتمبر » وبعد نصف ساعة من توديعى له فى المطار سافرت الساعة الواحدة الى الجزائر لاشارك فى اجتماعات وزراء خارجية دول عدم الانحياز ولم يكن قد بقى على حرب أكتوبر ١٩٧٣ غير ثلاثة أسابيع .

* * *

الباب الخامس



الزيّات والقرار ٢٤٢...
وكشف دهاء كيسنجر

موجـــز :

* أميركا تتشبث بالقرار ٢٤٢ لاستمرار الصراع العـربى الاسرائيـلى ..

* السادات رفض الحل المنفرد قبل أكتوبر ١٩٧٣ وبعده ..

* وزير خارجيـة ايطاليـا يؤكد ارتبـاط الأمن الأوروبى بالشرق الأوسط ..

* منظمة الوحدة الافريقية ترسل مبعوثا لمسـاندة موقف مصر فى مجلس الأمن ..

* السادات يطلب من الملك فيصـل إيفـاد « السـقاف » معى لمجلس الأمن .

* كيسـنجر يقاوم مشروع « روجرز » ويتبع سـياسة « الاهمال الذكى » مع الدول العربية ..

* * *

القـــــرار ٢٤٢

كانت اسرائيل حريصة كل الحرص على أن يبقى قرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ـــ بعد هزيمة يونيو ـــ كما هو دون تغيير أو تعديل ..

وقد سمح لها هذا القرار بصياغته .. التى يقول المنـــدوب الأميركى فى مجلس الأمن فى ذلك الوقت أرثر جولدبرج .. انه حريص على ما فيها من غموض .. بابقاء عساكرها على شاطىء قناة السويس الشرقى وعلى مرتفعات الجولان ، محتلة قطاع غزة والضفة الغربية لنهر الاردن .. ومطلقة اليد فى اجراء ما تريده فى كل تلك الارض بشكل عام وفى أرض غزه وأرض الضفة بشكل خاص لتنشىء ما تسميه « الحقائق » الجديدة التى تجعل انسحاب قواتها الى الخطوط التى بدأت منها الحرب فى ١٩٦٧ أمراً شبه مستحيل ..

وكانت حكومة اسرائيل تعرف اننا قد دعونا مجلس الأمن لبحث الموضوع وتطوراته ، فقد أصدر قراره فى نوفمبر ١٩٦٧ لأننا نريد من المجلس أن يوضح ذلك القرار وأن يبين بشكل صريح أنه يرفض أن يكون للغزاة حق فى الأرض بل يطالبهم بالانسحاب الى الخطوط التى بدأت منها الحرب ، وليفسر المجلس كذلك أنه لم يقصد فيما نص عليه بشأن اللاجئين أن يكون ذلك هو الحل الذى يرتضـــيه المجتمع الدولى للمشكلة الفلسطينية التى أنشأتها الأمم المتحـــدة نفسها باصدار قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ .

وركز حكام اسرائيل جهودهم فى واشنطن ونيويورك لتحقيق هذا الهدف الغريب وهو أن يبقى مجلس الأمن الذى سيعقد فى الرابـــع من يونيه ١٩٧٣ صامتاً لا يفصح ـــ بعد مرور السنين ـــ عما يعنيه قرار من أهم قراراته ..

ففى واشنطن كان هدفهم منع الرئيسين الاميركى والسوفييتى من التوصل الى أى اتفاق بخصوص الشرق الأوسط فى اجتماع القمة المقرر عقده بينهما فى الثامن عشر من شهر يونيو ..

فقد زارت جـولدا مائير رئيســة وزراء اسرائيل واشــنطن وقابلت الرئيس ريتشارد نيكسون ، وزار وزير خارجية اسرائيــل « أبا ايبان » نيويورك وكان ضيف الشرف فى احتفال يهود نيويورك بعيد إنشاء دولة اسرائيل الخامس والعشرين ..

وصرحت مائير بعد الزيارة بأنها مطمئنة كل الاطمئنان الى أن الرئيس نيكسون لن يتخلى أبدا عن نصرته لاسرائيل فى مؤتمر القمة الذى سيعقد بينه وبين بريجنيف .. وصرح وزير الخارجية أبا ايبان بانه لا يخشى أن يكون هناك أى تخل (من جانب الرئيس نيكسون) عن معارضته للمحاولات العربية التى تريد أن تهزم اسرائيل فى اجتماع القمة الروسى — الأمريكى .

وأضاف : أنه لم يعثر على أى دليل على أن أميركا يمكن أن تغير سياستها فى الشرق الأوسط بسبب مصالحها ..

وفى نيويورك بذل الاسرائيليون أقصى الجهود لمنع مجلس الأمن من تغيير قراره (٢٤٢) أو توضيحه أو تفسيره وتحرك البيت الأبيض الذى كان يسيطر عليه د. هنرى كيسنجر ليؤكـد تصريحات مائير وتصريحات الوزير أبا ايبان ويطمئن حكام اسرائيل على أن مجلس الأمن لن يسمح بأن يتخذ قرارا لا ترضى عنه اسرائيل .

بيـــان صـــحفى

وفى يوم وصولى الى القاهرة عائدا من موسكو طالعت البيان الصحفى لمندوب اميركا الدائم لدى الامم المتحدة السيد « جــون سكالى » قبل انعقاد مجلس الأمن أو سماع تقرير السكرتير العام أو سماع خطاب مصر التى طلبت عقد الاجتماع .

وقد صرح المندوب الاميركى فى هذا البيان الصحفى أولا بأن بلاده سوف تقاوم أى جهود قد تبذل كى يصدر مجلس الأمن قرارا جديدا خاصا بمشكلة الشرق الأوسط يختلف عن القرار ٢٤٢ فان بقاء هذا القرار كما هو أمر محتوم •

وقال ان أفضل طريقة للتوصل الى اقامة سلام دائم فى المنطقة هى المفاوضات (بين الأطراف) التى تتم خطوة خطوة ••

وأشار فى تصريحه الى أن الخطوات يمكن أن تبدأ من خطـوة الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس •

* هل كان المندوب الاميركى « جون سكالى » وهو صحفى بدأ عمله فى جريدة « بوستن هيرالد » الاقليمية ثم عمل فى وكالتى أخبار « اليونايتدبرس » و « الاسوشيتدبرس » قبل أن يصبح مراسلا دبلوماسيا ، وقبل أن يوظف أخيرا فى البيت الأبيض خبيرا فى الشئون الخارجية ثم يعين خلفاً لمندوب أميركا الذى سبقه الى الأمم المتحدة وهو السفير « جورج بوش » لم يكن سكالى هو مؤلف تصريحاته ولم يكن هو الذى اختار وقت الادلاء بها فان هـذه التصريحات قد حررت بدقة داخل البيت الأبيض وليس من شـك أن الدكتور كيسنجر قد تشاور بشأنها مع صديقه سفير اسرائيل فى واشنطن ، وجرت الموافقة عليها فى اجتماع عقد قبل الادلاء بها فى البيت الأبيض رأسه الرئيس نيكسون نفسه وحضره وزير الخارجية ويليام روجرز الذى كان كيسنجر قد سلب منه كل قدرة على ادارة وتوجيه شئون بلاده الخارجية وحضره سكالى الذى كان سيكلف بالادلاء بهذه التصريحات كما حضره مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى هنرى كيسنجر •

قــرار فاشــل

فلماذا كانت امريكا تتشبث هكذا بالقرار ٢٤٢ ؟

ــ كان البيت الأبيض بذلك يصمم على البقاء على قرار ثبت فشله بالتوصل الى إنهاء الصراع فى الشرق الأوسط بعد ست سنوات من صدوره •• ثم انه يصر على بقائه قرارا آعرج بعد أن ألغت اسرائيل فقرة هامة من فقرات الجزء التنفيذى من القرار وهى التى تنص على تعيين ممثل خاص للسكرتير العام يكلف بمتابعة تنفيذ القرار وبتقديم التقارير الى المجلس عن نتائج عمله •

هذا الجزء التنفيذى من القرار ألغته اسرائيل بمقاطعتها للسفير « يارنج » منذ فبراير ١٩٧١ ••

﴿ وماذا كان رد فعــل الرئيس الســادات على مثل هــذه التصريحات ؟

ــ أبلغت الرئيس السادات بهذه التصريحات وبطريقة صدورها وذكرت له اننى أعتقد انها صدرت قبل اجتماع مجلس الأمن وقبل اجتماع القمة بين نيكسون وبريجنيف لتغلق أبواب أى تسوية سلمية مقبولة ولا يبقى مفتوحا الا باب الحل الجزئى الخاص باعادة فتــح قناة السويس بالشروط التى ترضاها اسرائيل •• ومعــنى ذلك الاصرار على عقد اتفاقية منفردة مع مصر ••

انســحاب كامــل

قال لى الرئيس السادات : انهم يحاولون الالتواء بالمبــادرة التى أعلنتها فى فبراير ١٩٧١ ولقد كان عرضى صريحا لا يحتمل التأويل والالتواء وكنت أطالب بالانسحاب الاسرائيلى الكامل من جميع الجهات الى الخطوط التى بدأ منها القتال فى يونية ١٩٦٧ ، وكنت أقول أن انسحاب اسرائيل جزئيا شرق قناة السويس هو

خطوة يجب أن تليها الخطوات التى يتحقق بها الانسحاب الكامل من كل الجبهات ·· نحن لم نقصد انذاك أن نحصل على حل منفرد ولا نقبل الآن الحصول على حل منفرد ·· ويجب توضيح ذلك فى مجلس الأمن ··

* وهل تم بالفعل توضيح ذلك بواسطتكم فى مجلس الأمن ؟

— لقد سئلت قبل مغادرتى القاهرة فى طريقى الى نيويورك عن موقفنا فأجبت بما يلى :

أولا : ان مصر تعمل لانهاء الصراع بانهاء الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية واحترام حقوق شعب فلسطين كما أقرتها المنظمة العالمية (منظمة الامم المتحدة) ··

ثانيـا : اننى أرى أن السفير يارنج هو ضحية للسياسة الاسرائيلية التى يبدو من الواضح لى أنها تعتمد على القوة كما انها تزدرى الامم المتحـدة ·

ثالثـا : ان كلا من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحـدة وبقية الدول الدائمة العضوية وصاحبة حق الرفض (الفيتو) فى المنظمة وتتحمل مسئولية ازاء المنظمة — ملتزمة باحتـرام ميثاقها ومبادئها وأن أميركا والاتحاد السوفيتى مدعوان مع بقيـة الدول الأعضاء فى مجلس الأمن للتصرف على أساس هذه المسئولية العالمية ·· ثم غادرت القاهرة يوم ٢٩ مايو لاقضى عدة ساعات فى روما وقابلت فيها وزير الخارجية الدكتور جيوسبى مدينتشى ثم قضـيت ليلة فى لندن قابلت فيها وزير الدولة للشئون الخارجية اللورد بانييل — قبل أن أصل الى الولايات المتحدة لاجراء المشـاورات اللازمة قبيل انعقاد مجلس الأمن فى الرابع من شهر يونيو ··

ولقد استقبلنى الوزير مديتشى فى منزله الخاص خارج روما ومعى سفيرنا فى ايطاليا مصطفى كمال مرتجى ، وتحدثت معه من جديد فى اننا نرجو أن يكون لاوروبا الغربية دور فى تسوية الصراع فى منطقتنا ولا نريد أن نترك المنطقة مسرحا لعمليات الاستقطاب بين الدولتين العظميين فى ذلك الوقت وقد أكد لى « مديتشى » موافقته التامة على هذا الطلب من جديد كما أكد أن أوروبا الغربية مؤمنة بأن الأمن الاوروبى متصل بأمن البحر المتوسط وبالتالى أمن منطقة الشرق الأوسط .. وبلغت الوزير بهدفنا من طلب عقد المجلس وخطة سيرنا فيه .

وفى لانكستر هاوس قابلت وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية لورد بانيل — وكان وزير الخارجية السير « الك دوجلاس هيوم » فى اسكتلنده وشرحت للورد بانييل أيضا أهدافنا وخطتنا فى مجلس الأمن فقال لى أنه يعرف أن المندوب البريطانى السفير « بيركولين كرو » صديق لى واكد لى انى سألقى منه كل التعاون الذى أريده ..

بعد ذلك وصلت الى مطار كينيدى فى نيويورك فى أول يونيو ١٩٧٣ ولما كنت فى الواقع لم أزل مسافرا بالطائرات المختلفة من موسكو الى نيويورك فقد قدرت اننى فقدت يوما كاملا أثناء الطيران وأردت أن استريح فى عطلة نهاية الاسبوع قبل بدء جلسات مجلس الأمن يوم الاثنين ولكننى وجدت الصحفيين فى المطار ومن بينهم مندوب وكالة « رويتر » الذى سألنى عن سبب حضورى الى نيويورك وقد أجبت على ذلك وسجل الصحفيون اجابتى على السؤال باننى قد حضرت للمشاركة فى مناقشات جادة وهامة وأرجو أن تكون بناءة بعد سماع تقرير السكرتير العام عن تطورات الوضع فى منطقتنا خلال السنوات الست الماضية وأكدت أن مصر تريد تطبيق أحكام ميثاق الامم المتحدة ..

ســفر دائم

وعندما وصلت الى الفندق قلت للسفير عصـــمت عبد المجيد اننى فى الأيام العشرة السابقة سافرت من القاهرة الى أديس أبابا ومن أديس أبابا الى موسكو عن طريق القاهرة ومن موسكو الى القاهرة ثم من القاهرة الى روما ومنها الى لندن الى نيويورك ••

مســاندة افريقيــة

وخلال تلك الأيـــام العشرة قررت منظمة الوحـــدة الافريقية بالاجماع أن توفد رئيس مجلس وزراء خارجية دولها وزميلين له ليعلنوا أمام العالم أن افريقيا كلها قد باتت مقتنعة بأن مصر قد بذلت أقصى الجهد لتحرير أرضها وتحقيق العدالة لاشقائها فى الدول العربية التى احتلت اسرائيل أرضها ولاشقائها الفلسطينيين الذين يطالبون بالحق المكفول لكل الشعوب وهو حق تقرير المصير ••

مســاندة ســوفيتية

وخلال تلك الأيام العشرة ارتبط الاتحاد السوفييتى بأن يبذل أقصى جهده فى اجتماع القمة عام ١٩٧٣ للتوصل الى اتفاق على حل ينهى الصراع الذى يستنزف موارد المنطقة ويعطل سعيها للتقدم •

وتم الاتفاق بينى وبين « جروميكو » على الصيغة البسيطة التى تدفعنا الى الاستمرار فى مسيرة السلام ، وخلال هذه الأيام العشرة اتصلنا بوزير الدولة الفرنسى للشئون الخارجية فى باريس وبوزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية فى لندن ••

وقد فهمت الدولتان اللتان تمثلان أوروبا الغربية ما نقصد إليه بعقد المجلس ، ووافقتا على أن تقدما إلينا المساعدة التى طلبنا منهما تقديمهـــا ••

وقال لى مندوبنا فى الامم المتحدة انه من جهته — قد قابل مندوب سوريا والاردن والكويت وتحدث طويلا مع المندوب السودانى السفير « رحمة الله عبد الله » كما انه دائم الاتصال ببقية أعضاء المجلس ..

مساندة عربية

وأضاف انه الى جانب الوزراء الافريقيين الذين طلبت منهم منظمة الوحدة الافريقية أن يشتركوا فى الاجتماع للتحدث باسمها فان ثلاثة من وزراء الخارجية بالدول العربية يزمعون الحضور الى نيويورك للاشتراك فى مناقشات المجلس أيضا وهم الوزير المرحوم « أحمد بن هيمة » عن المغرب والوزير عبد العزيز بوتفليقة عن الجزائر والوزير عمر السقاف وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية ..

وكانت المملكة العربية السعودية يمثلها فى الامم المتحدة (ومجلس الأمن) سفير موسوعى المعلومات من أقدر مندوبى الدول على الارتجال ولعله كان أقدم مندوبى الدول عهدا بالامم المتحدة وأكثرهم علما بلوائحها وتطوراتها وهو السفير المرحوم جميل البارودى ..

ولكنى كنت قد رجوت الوزير عمر السقاف أن يحضر هذا الاجتماع بنفسه .

وتحدث الرئيس السادات مع المغفور له الملك فيصل فوافق الملك فيصل على تكليف الوزير السقاف حضور هذا الاجتماع بناء على الاعتبارات التى شرحها له الرئيس السادات .

وكانت هذه الاعتبارات واضحة .. أولها أن البيت الأبيض منذ تولى د. هنرى كيسنجر فيه منصب مستشار الرئيس لشئون

الأمن القومى قد أخذ يربط مصالح اسرائيل بمصالح الولايات المتحدة بحيث تصبح كلها مساعدة عسكرية تقدم لاسرائيل وكلها مساعدة مالية وكلها مساندة سياسية خدمة للاستراتيجية العسكرية الاميركية وحماية للمصالح الاقتصادية الاميركية وذلك فى اطار المواجهة القائمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فى ذلك الوقت ..

وبذلك ترتكز سياسة الانحياز التام لاسرائيل على أساس ضرورة احراز التفوق لاميركا على الاتحاد السوفييتى أو الشيوعية الدولية فى الحرب القائمة بينهما سواء كانت حربا فاترة أو باردة أو مجمدة فى ظل سياسة التراخى التى كنا فى مصر نسميها بسياسة الوفاق ..

وثانيها : أن البيت الأبيض ادراكا منه أن الشعب يعلم بأن لبلاده مصالح اقتصادية ضخمة فى العالم العربى قد أخذ على أساس أن الدول العربية تنقسم قسمين : القسم الأول هو الدول التى كانت تسمى الدول المتطرفة ، والتى سماها الرئيس نيكسون فى هذا الوقت « الدول العدوانية » وهذه لابد أن تواجهها السياسة الاميركية بالحزم .. أما القسم الثانى فيعرف باسم الدول المعتدلة وهى دول مصلحتها تتوافق مع مصلحة الولايات المتحدة .

موقف كيسنجر

* وماذا كان موقف د. هنرى كيسنجر من المشكلة فى هذه الفترة ؟

— كان د. هنرى كيسنجر قد نجح فى مصادرة كل مسعى حاولت وزارة الخارجية الاميركية القيام به لتسوية مشكلة الشرق الأوسط تسوية تأخذ فى الاعتبار وجهة نظر العرب ولا تبنى فقط على ما تريده اسرائيل فقاوم المشروع المسمى بمشروع روجرز عام ١٩٧٠ ونجح فى القضاء عليه وقاوم مجهودات الامم المتحدة ونجح

فى القضاء على مشاورات الدول الأربع التى اقترحتها فرنسا وعلى مبادرة السفير « يارنج » التى تقدم بها فى فبراير عام ١٩٧١ قياما بالواجب الذى أناطه به مجلس الأمن ..

وأختار كيسنجر للولايات المتحدة أن تتبع نحو الدول العربية الداخلة فى الصراع العربى الاسرائيلى سياسة « الاهمال الذكى » ويقصد بها أن تهمل الولايات المتحدة هذه الدول ، فتتركها تعانى الاحتلال الاسرائيلى الذى ستجعله المساعدة الاميركية غير قابل للزحزحة الى أن « ترعوى » هذه الدول فتقطع ما بينها وبين الاتحاد السوفييتى وتتجه الى الولايات المتحدة تلتمس المساعدة وتدفع ثمنها .

وهذه المساعدة لن يقدم منها شىء يؤذى اسرائيل أو يفرط فى مصالحها الحقيقية أدنى تفريط .

ولهذا كله كان حرصى على أن يحضر الوزير السقاف بنفسه جلسات مجلس الأمن فى يونيه ١٩٧٣ وهى الجلسات التى كانت مصر ستقرر — بعدها — هل تستبقى الأمل فى الوصول الى تسوية للصراع تهدى اليه مبادىء الامم المتحدة أم تتحدى ما كان يراد أن يسلط عليها من اليأس لتذود عن حياتها بنفسها ، وكنت أريد — بحضور الوزير السعودى ومشاركته التامة لمصر فى موقفها — اعلان الولايات المتحدة انها لن تستطيع الاستمرار فى التعامل مع الدول « المعتدلة أو المحافظة » فى العالم العربى وهى مستمرة فى سياسة « الاهمال الذكى » أو سياسة تسليط اليأس على نفوس شقيقاتها الدول العربية المشتعلة فى الصراع مع اسرائيل .

زيارة الملك فيصـــــل

* ولكن كيف تم الاتصال بالسعودية لتحقيق هذه الخطوة ؟

ـــ أثناء زيارة الملك فيصل لمصر شرح اه الرئيس السادات هذه الاعتبارات فوافق بعد تفهمها على سفر الوزير السقاف الى نيويورك

وكلفه بالتضامن التام معنا فى الامم المتحـــدة ومجلس الأمن •• وفى أثناء تلك الزيارة وقبل البدء فى المباحثات الرســمية التى كنت سأحضرها بوصفى وزيرا للخارجية وفى الوقت الذى كنت أتحدث فيه مع بعض الاخوة السعوديين والمصريين بقصر القبة كان الملك فيصل مجتمعا بالرئيس السادات فى غرفة مجاورة وتأخرا بعــض الوقت •• ثم فتح باب الغرفة وخرجا معا ولكننى لاحظت أن الملك فيصل كان لا يزال يتحدث بانفعال مع الرئيس السادات وقد سمعته يقول له : اذا كنتم مستعدين وناويين فعلى بركة الله •• والله اننى سوف أكون أول من يحضر هنا ويقبلك •• وكان المغفور له الملك فيصل من شدة انفعاله لم يشعر بانه قد دخل قاعة الاجتماع العام لكن سرعان ما أمسك عن الحديث الذى سمعته أنا ومن كان قريبا منه من الوفدين •• وعندما انتهى الاجتماع الرسمى طلب الملك فيصل ـــ قبل أن يغادر غرفة الاجتماع ـــ من الوزير عمر السقاف من جديد وأمامى أن يكون مسلكه ومسلكى فى المجلس ـــ وفى الولايات المتحدة مسلك عضوين فى وفد واحد •

* * *

الباب السادس



أسرار استقالة الزيّات
من وزارة الخارجية المصرية

موجـــز :

* بعد حرب ١٩٧٣ شعرت بأن مهمتى انتهت فى الخارجية ..

* طلبت من مندوبنا أن يضيف كلمة « العـدل » علـى ميدالية الأمم المتحـدة ..

* فى تصـورى أن الحل الحقيقى لمشـكلات المنطقة يجب قبوله دوليـا .

* جورج بومبيـدو أكـد لى أن تقـدم فرنسـا مرتبـط باستقرار دول المتوسط ..

* العمل العربى المشترك يستمد قوته من موارده الاقتصادية والبشـرية ..

* قدمت اسـتقالتى من الخارجية بعد أكتوبر ١٩٧٣ بسبب سـياسة الخطـوة خطـوة ..

* السـادات يخصص لى مكتب الملك فاروق وأنا مستشار له للشـئون الخارجية ..

* منحنى الرئيس وشاح النيـل الذى لا يمنح إلا لرؤساء الوزارات تكريما لى ..

* الصحافة قائدة الفكر فى عالم اليوم ..

حـــرب أكتـــــوبر

عندما قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣ رأى البعض أن نعلن للعالم أننا دخلنا المعركة بسبب اعتداء اسرائيل على سوريا .. وكنت أنا فى أمريكا لإلقاء كلمة مصر فى الأمم المتحدة والتى كان مقـــررا أن ألقيها مساء ٥ أكتوبر فطلبت تأجيلها نظرا لأننى عرفت أن الأمور ستتغير فى ٦ أكتوبر ، ثم تحدثت بعد ذلك بيومين أى يوم ٨ أكتوبر وكانت كلمتى هى أقصر كلمة فى تاريخ الامم المتحدة لدرجـــة أن الوقت الذى استغرقه التصفيق بعد القائى لكلمتى باسم مصر كان أكثر مما استغرقه وقت القاء الكلمة ذاتها ..

كنت قد اختصرت الكلمة التى كان مخصصا لها ساعة تقريبا .. (كل سنة تبدأ الدورة بكلمات طويلة يتحدث فيها وزير خارجية كل دولة ويعرض لرأى بلاده فى جميع مشاكل العالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى آخره .. وهى خطبة تقابل ما يسمى خطبة العرش زمان) أنا تنازلت فى ذلك الوقت عن هذا وكانت كلمتى فى ســـطرين فقط وهو انه مجلس الأمن قرر فى يوم كذا ضرورة انسحاب اسرائيل الى خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ وضرورة التمسك بحقوق شعب فلسطين وتحقيقها والامم المتحدة فى الجمعية العامة قررت ذلك كثيرا .. مصر وسوريا تنفيذا لهذه القرارات قامتا بمحاولة تنفيذ الاجـــلاء الى أن ينضم اليها العالم لكى يتحقق قرار الامم المتحدة ونحن قمنا بذلك بالنيابة عن العالم بالنيابة عن الحق والقانون وليس هنـــاك انكار لذلك لأن الحرب مفروضة علينا منذ عام ١٩٦٧ .. وقراركم بأن نتخلص من هذا الاحتلال بقى بدون تنفيذ فنحن كنا قوة منفذة للعالم ـــ لتنفيذ القرار ـــ وكأعضاء فى الامم المتحدة وكمسئولين وفيه مواد (٥١) تعطينا حق الدفاع الجماعى عن أرضنا .. الــخ .

باختصار كان العالم كله قد قرر بالفعل أن حقنا واضح فى اجلاء اسرائيل عن أرضنا التى احتلتها فى ١٩٦٧ .

وقبل ١٩٧٣ كنا قد قمنا بالتمهيد الكافى على كافة المستويات لكى يتقبل العالم منا ما سنقوم به من أعمال دون استنكار وهـذا شىء مهم جدا جدا وفى الماضى لم نكن نأخذ بالنا منه على الاطلاق .

اسرائيل هى التى كانت تفعل ذلك وتأخذ لنفسـها الموقف المقبول دوليا أو التى تستطيع أن تبدو فيه وانها هى المعتدى عليها .. وبالتالى تصبح محل تعاطف دولى .

وأنا اعتبرت انه بينربيع ١٩٧٣ عندما اعتدت اسرائيل على بيروت لتؤكد أن يدها الطويلة بمقدورها أن تملى ارادتها على العالم العربى كله مادامت تستطيع أن تصل الى المخدع الشخصى لقادة المنظمة بملابس الجيش الاسرائيلى أقول اننى اعتبرت أنه من ربيع ١٩٧٣ (المظلم) الى خريف ١٩٧٣ أكتوبر المشرق حيث تم الانتصار لقواتنا العربية فى مصر وسـوريا على اسرائيل .. وتعرية موقفها أمام العالم كله .. اعتبرت أن ذلك هو نهاية المطاف بالنسبة لمساهمتى فى الخارجية .. ويجب على أن اترك منصبى لغـيرى من الرجال الاكفاء لتولى المسئولية ومواصلة العمل على طريق الحل الشـامل والنهائى للمشكلة بيننا وبين اسرائيل مادامت القضية قد تحركت بواسطة الحرب .. وأثبتنا لاسرائيل أننا نستطيع انتزاع زمام المبادرة وتحقيق خطوات إيجابية ومنتصرة فى ميدان القتال .. وبعد ما أكدنا حقنا العادل فى أرضنا أمام العالم كله .

ميداليـة الامم المتحـدة

واذكر بمناسبة العـدل :

انه ذات مرة أرادوا عمل ميدالية للامم المتحدة واقترحوا أن تحمل شعار « السلام والتقدم » فطلبت من المندوب المصرى فى الامم المتحدة السفير عبد الحليم بدوى أن يخبرهم بضرورة اضافة

شعار العدل أيضا ويطلب ذلك لأن العدل هو الاساس للسلام وهو الأساس للتقدم ونجح فى هذا وتم تغيير الميداليات بالفعل وأصبحت تحمل شعار « العدل والسلام والتقدم » •

ومعنى ذلك فى رأينا أن العدل هو الاساس اللازم للسلام الذى يمكن أن يحدث فيه التقدم •• فالسلام الذى يقوم على غير عدل هو سلام زائل ولا يمكن أن يكون أساسا قويا للتقدم لأنه يحتاج أصلا الى أساس آخر هو العدل •

كنت دائما على ثقة بأن الحل الشامل هو الحل العادل •• الذى يجب أن نقنع به الخصوم لأنه من الممكن أن نذهب الى المحكمة ونطلب ألف جنيه فتحكم المحكمة بنصف هذا المبلغ •• فنضطر نقبل كلمات القاضى وقراره لأننا أصلا تعارفنا على أن القاضى كلمته مقبولة ، وعلى انه يقضى بالأمر •• وذلك فى مجتمعنا البشرى •• وهذا القبول هو العدل •

فالحل الشامل الذى يعطى للعرب حقوقهم وما يقبلوه هو الأساس لاقامة السلام الحقيقى الذى يمكن على أساسه أن يحدث ما نستهدفه جميعا من تقدم ومساهمة فى ركب الحضارة العالمية •• وأنا هنا أعبر عن نفسى ولا أستطيع التعبير عن غيرى فيما اختلفت عليه وجهات النظر ولأن التعبير عن رأيى الشخصى أمر صعب •

كما اننى أعتقد أن الحل الحقيقى لمشكلات المنطقة يجب أن يكون حلا مقبولا دوليا •

وهل استطعت أن تنفذ ذلك عمليا مع الرئيس السادات ؟

ــ عندما قرر الرئيس السادات أن أكون مبعوثه الى رئيس جمهورية فرنسا الرئيس « جورج بومبيدو » والى رئيس وزراء انجلترا فى ذلك الوقت « مستر هيث » وسافرت فعلا فى آخر عام

١٩٧٣ وجدت أن دول أوروبا تشعر بالاستياء لعدم اشتراكها فى وضع تصور لحل المشكلة دوليا •• وكان ذلك كما أوضح لى الرئيس « بومبيدو » ضرورة عملية وليس موقفا عاطفيا فقد قال : أنا صنعتى وأنا رئيس جمهورية فرنسا أن أخدم مصالح فرنسا ، وخدمتى لأى شىء آخر يتصل فى الواقع بصالح فرنسا ولذلك سوف أعفى نفسى وأعفيك من الكلام عن صلاتنا وصداقتنا — العالم حقائق — وأنا فيه مسئول عن رخاء فرنسا وتقدمها وفى عالم الحقائق رخاء فرنسا وتقدمها يحتاج الى اطمئنان •• الى سلامة •

وسلام بطن البحر الأبيض المتوسط أى الساحل الجنوبى الذى تقع عليه مصر واسرائيل وسوريا ولبنـــان والجزائر والمغرب وتونس وكل هذه الدول يعتبر استقرارها جزءا من تقدم فرنسا •

ولذلك أنا أريد السلام لهذه المنطقة وهذا التحليل الذى قال رئيس جمهورية فرنسا « بومبيدو » لم نسمعه من قبل •

وقال أيضا : ولكى أكون سليما اقتصاديا فى أعمالى لابد لهذه المنطقة أن تعيش مطمئنة سليمة حتى يمكنه التعامل معها ••

ولذلك أرى أنه لابد من سلام شامل فى هذه المنطقة سلام تقره ارادة العالم فاذا حكم على العرب بأن يتحقق لهم ثلاثة أرباع مطالبهم وليست مطالبهم كلها يكون هذا الكلام مقبولا ، لأنه صدر من القاضى الدولى ، ويجب أن نخضع له وننتهى بقبوله لأنه من القاضى ولا نطالب بما هو غير ممكن أى تحقيق مائة فى المائة من رغباتنا ••

ماذا كان يقصد الرئيس بومبيدو بهذا الكلام ؟

— كان يريد أن يقول : اذا كنا نريد أن نستعيد فلسطين من النهر الى البحر فهذا الطلب اذا نظرنا له منطقيا ودوليا يمكن أن نجد له مدافعين مهرة جـــدا •

وما حدث سنة ٤٨ ، ٦٧ يجب أن يصحح هذا ممكن جدا ..
لكن « بومبيدو » يريد أن يقول : ان هذا الكلام سيصطدم بعقبات صعبة جدا منها عقبات الوجود البشرى فى المنطقة الآن ، ووجود بشرى لآخرين خرجوا من المنطقة .

والعالم سيقول مثلا : يرجعوا الى حدود التقسيم ..

وهذا الكلام يأتى شخص ينتقده لكنه يقبله لأنه فرض من الحاكم المعترف به من الامم المتحدة والعالم كله ..

الفرض الدولى للحل يمهد لقبوله حتى عند الذى يرى انه يستحق أكثر ..

وبالتالى يعطيه الشرعية اللازمة للقبول الدولى ويعطيه الامكانية اللازمة للقبول العربى والقبول الاسرائيلى والقبول اليهودى ... الـخ .

وكما يقبل المتخاصمون أمام المحاكم فأنا أريد أن أقـول أن الحل الشامل ينبغى أن يكون حلا دوليا وهذا الكلام قد يبدو بسيطا انما له أبعاده وأعتقد انه لن يتم سلام حقيقى يشعر به أولادنا بعيدا عن الحرب والقتل والقتال كل فترة وأخرى ويطمئن به الا اذا كان الحل حلا شاملا ومقبولا فى المنطقة وفى العالم .

وحـدة العـرب

كيف يرى د. الزيات العالم العربى حاليـا ؟

ـ العرب يمكنهم أن ينقذوا أنفسـهم ويمكنهم أن يهلكوا أنفسهم ذلك لأن العالم العربى فيه الآن امكانيات تنمية تحتاج الى رأس المال وتحتاج الى القدرات البشرية وكلها موجودة داخـل العالم العـربى .

وبالتالى العالم العربى كوحدة قادر على أن ينهض بنفسه الى مرحلة التقدم اذا استعملنا امكانياتنا بصورة رشيدة •• فالقدرات البشرية موجودة والموارد موجودة ولو تعاملنا بكل ذلك مع العالم الخارجى كوحدة اقتصادية يمكننا التأثير فى الساحة الدولية •• يمكن جدا أن نتعامل مع العالم الخارجى ونحن وحدة متماسكة اقتصاديا على الأقل من خلال مفهوم واضح للعمل المشترك •

وككتلة •• كسوق •• كمجموعة يمكننا أن نتعامل مع العالم الخارجى غربه وشرقه ونؤثر فيه اذا حدث ذلك فاعتقد اننا يمكن أن نصل الى مرحلة عظيمة من التقدم •• أما اذا بقينا كل دولة فى امتنا العربية تتعامل بمفردها مع العالم الخارجى •• فهذا من شأنه أن يؤخر التقدم العربى بسبب اهدار عامل الزمن وعامل الموارد المتاحة •

ومن المحزن أن يظل هناك فى العالم العربى حتى الآن من لا يدرك حقيقة أن تقدم العرب لن يكون الا باتحادهم وبمعرفة مواطن القوة الذاتية لهم مجتمعين فى أى شكل من أشكال التوحد •• ولأن تقدم أى دولة فى المنطقة لن يكون الا اذا تقدمت المنطقة كلها ••

استقالة

سبق أن قلت أن عملك فى الخارجية انتهى بعد أكتوبر ١٩٧٣ •• هل اتخذت خطوات عملية بهذا الشأن ؟ وماذا كان مصيرها ؟

— لقد عرف فى ذلك الوقت اننى تركت وزارة الخارجية لكى أكون مستشارا لرئيس الجمهورية للشئون الخارجية ••

ولكننى فى الحقيقة قدمت استقالتى يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ لرئيس الجمهورية الرئيس محمد أنور السادات الذى رفض الاستقالة وكلف صديقى السفير حافظ اسماعيل بابلاغى ذلك •

وما هى الدوافع الحقيقية لهذه الاستقالة ؟

ــ انا وجدت انه فى آخر أكتوبر ١٩٧٣ ــ كيسنجر كان له رأيه الذى يقول أن سياسة الخطوة خطوة هى التى تحل المشكلة وهذا فى اعتقادى أمر طيب لا اعتراض لى عليه •• أى على سياسة الخطوة خطوة لكن بشرط واحد هو أن أعرف ما هى غاية السعى والمطاف والخطوة خطوة إلى أين ؟

وسياسة الخطوة خطوة معناها معالجة المشكلة خطوة خطوة وليس معالجة المشكلة كلها مرة واحدة ••

وكيسنجر كان يقول لو أن الولايات المتحدة حاولت أن تحل المشكلة مع الصين مرة واحدة لعجزت نهائيا لأنها كانت ستجد نفسها أمام معنى هل سنعترف بالصين الوطنية أم بالصين الشعبية •• فيحدث الاصطدام والتوقف لكن أخذت المشكلة معى الخطوة خطوة وبدأت امريكا فى انشاء مكتب لها فى بكين ثم أصبح المكتب سفارة ثم التحولات التى حدثت بعد ذلك ••

على كل حال أنا قلت أريد أن أعرف رأى امريكا فى الحل النهائى وليس رأى اسرائيل أريد رأى امريكا ؟ حتى أعلم المضمون الذى سنتفق عليه فى الحل النهائى ونبدأ التنفيذ خطوة خطوة فى حالة موافقتنا على مضمون هذا الحل النهائى الذى قالته امريكا لكن فى نفس الوقت قد يكون الحل النهائى مرفوض لنا وغير مقبول اطلاقا لابد من معرفتى بكل وضوح أن الخطوة خطوة هى محاولة جادة للوصول للمحطة الأخيرة النهائية بعد التغلب على كل الصعوبات التى ستقابلها ويتحقق فى النهاية الهدف المرجو منها والذى سبق أن وافقنا نحن عليه ••

باختصار كنت أود معرفة هل المقصود هو أن يحل الموضوع العربى كاملا ، أن يوجد حل شامل لكل مشاكل المنطقة أم لا •• ؟

لأن المنطقة لا يمكن أن تعيش وجزء منها فى سلام وجزء منها فى حرب ، لا يمكن اطلاقا أن يعيش الانسان وجزء منه حر ، وجزء منه مستعبد ، ولا يمكن أن تعيش المنطقة العربية وهى جسم غير متكامل كما أرى .

وقد حدث السلام فى جزء ولم يحدث السلام فى الجزء الآخر وهذا هو رأيى وقد أكون صائبا فيه أو مخطىء لكن ولكى أكون بالفعل مخطئا فى هذه الحالة على السيد الرئيس أن يستمر فى سياسته لكن بغيرى .

هل معنى ذلك انه حدث خلاف بينك وبين الرئيس السادات ؟

حل متكامل

كان تصورى اننا يجب أن نستغل ظروف انتصارنا فى ١٩٧٣ لكى نصل الى حل متكامل مرة واحدة فى المنطقة .. نتفاهم على الحل الكامل لأنه حتى لو أخذنا المسائل فى شكلها المادى اقامة مصنع مثلا .. اذا أردنا اقامة مصنع ضخم فى جزء من أجزاء المنطقة قام فيه السلام ، بينما أجزاء أخرى غير قائم فيها السلام فليس هناك ما يمنع من الأجزاء التى ليس فيها السلام أن تدمر الأجزاء التى بها السلام على كل حال يوجد هنا التشكك عند صاحب رأس المال .. والحذر هو ما يدفعه الى الهرب من هذا المكان .. لأن المنطقة متكاملة وليست منطقة أجزاء .. وهذا كان موقفى الذى يحدد رؤيتى للقضية سواء كان يتفق معى الآخرون أو يختلفوا .. المهم أننى كنت مقتنعا به .

هل يمكننا القول بأن سياسة الخطوة خطوة كانت وراء تجزىء انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية ؟

— أنا أتصور أن ذلك صحيح الى حد ما .. وما وصلنا إليه من نتائج يؤكد ذلك وأزمة — اليوم — مع اسرائيل هى أن الجزء

الذى يخص سوريا ويخص فلسطين لم يتم وكذلك الاردن • فيما يخص سوريا كان يجب أن ينطبق عليه ما ينطبق على مصر الأن الحدود الدولية قائمة ما بين سوريا بما فيها « الجولان » وبين فلسطين تحت الانتداب البريطانى التى أصبحت تعيش فيها اسرائيل الآن ، هذا الجزء تحدده حدود دولية قائمة استولت عليه اسرائيل •• لماذا تم ذلك ، لأنه لم يتم فى ١٩٧٣ محاولة لتحاشى سياسة الخطوة خطوة والتأكيد على ضرورة الحل الكامل الشامل •

والبعض يرد على كثيرا بأننى لو كنت أدرى أو أكثر معرفة بحقائق العالم العربى العسكرية والمادية لأختلف رأيى •• وقد يكون هذا صحيحا ولذلك كل ما فعلته أن طلبت من الرئيس السادات أن يعفينى من العمل فى وزارة الخارجية لأنه ليست عندى هذه المعلومات التى تحدثوا بها •

وعلى كل حال يمكن وجود شخص آخر يستطيع أن يقوم بهذا العمل كوزير للخارجية بدلا منى •• وبطريقة ترضيه وترضى السياسة المصرية فى ذلك الوقت •

معارضة

وهل كان ذلك يمثل قدرا من المعارضة لسياسة السادات فى ذلك الوقت ؟

— لم يكن عندى من الاحتجاج ما يدفع الى المعارضة لكن كان لدى من الشك ما يدفع الى عدم الاشتراك •• وأخشى أن يكون مرور السنين قد أوضح الآن اننا سنوجد السلام فى جزء من أجزاء المنطقة ولا نوجده فى أجزاء أخرى •• والمنطقة فى رأيى هى كل متكامل مع ما آخذه على الاخوة العرب من كثير الأخطاء •

مع اعتقادى أننا جميعا كل متكامل ولابد أن ينشأ السـلام فى المنطقة كلها وأن يكون شاملا لها لكى تستطيع أن تنصرف الى ما تنصرف اليه الامم المستقلة القيمة على نفسها والمساهمة فى التقدم البشرى واعادة صوت العرب فى اقامة الحضارة الانسانية كما كان فى الزمن البعيـد .

والحكم على الشىء يجب أن يكون من خلال حقائقه وأنا من أكتوبر ١٩٧٣ حتى فبراير — ١٤ فبراير بالتحديد عام ١٩٧٥ كنت مستشارا لرئيس الجمهورية للشئون الخارجية .

وقد فوجئت بأن مكتبى وأنا مستشار لرئيس الجمهـورية هو نفس مكتب الملك فاروق فى قصر عابدين وكان مكتبا عظيما وكان ذلك يعنى محاولة ارضائى معنويا أكثر منه كدافع العمل .. فقد كنت فى الحقيقة لا أمارس أى عمل .

أنا على كل حال أقول هذا الكلام ، ولم يعد عندى ما يكفى للحكم على ما تم من تطورات أو لكى أحكم على ما حدث .

وهل قبلت أن تظل هكذا فى منصب شرفى وفى مكتب فخم بلا عمل حقيقى ؟

— لا بطبيعة الحال .. فقد قدمت العديد من الطلبات للرئيس لكى يعفينى من هذا المنصب .. لكنه كان يرفض ..

وفى ١٤ فبراير عام ١٩٧٥ وصلت الى سن الستين وكان معنى ذلك أن أحال الى المعـاش .

وشـــاح النيـــل

وقد منحنى الرئيس السادات بهذه المناسبة وشاح النيل .. وهذا الوشاح يعطى فقط لرؤساء الوزارات وقد منحنى الرئيس اياه كنوع من التكريم ، لكن هذا التكريم لم ينعكس على عمـل أو على مسئولية حقيقية ..

وهذا ما أردت أن أوضحه وأنا أتحدث عن مكتب الملك فاروق وانه مكان جميل ودافىء ورائع لكن لم يكن داخلا فى السـياسة المصرية أو فى المسئولية المصرية الحقيقية عن العمل .. كان خارج الدائرة المسئولة .

قـــوة مؤثــرة

نسيت أن أقول انه لمـا طلب منى أن أعمل كمتحدث رسمى باسم مصر لاحظت أن الصحافة ووسائل الاعلام هى قوة من أكبر القوى تأثيرا فى العالم الذى نعيشه الآن القوة التى تقود الفكر البشرى هى الصحافة ووسائل الاعلام وفى الحقيقة زمان حينما كان يظهـر فيلسوف أو رجل كبير أو رسول — أو قطب من الأقطاب كان يصبح هو قائد الفكر ..

ثم بتطور الزمن وظهور المطبعة والتلفزيون الآن والاذاعة من قبله أصبح المراسل الصحفى والمراسل الاذاعى والتلفزيونى والكاتب الصحفى والجريدة والاذاعة والتلفزيون وسائل خطيرة جـدا .. لا مبالغة أن نقول اننا نعيش فى عصرها الآن .. وهى الحاكمـة الحقيقية .

لولا التليفزيون الأميركى ما انتهت حرب فيتنام ، دخول التليفزيون الاميركى الى البيت الاميركى الكل كان يستعرض حجم المأساة وهل هو صائب أم على خطأ فى اشتراكه فى هذه الحرب .. وهذا

الكلام ينطبق على كل الناس واسرائيل تعرفه جيــدا •• ولذلك تضع نفسها دائما فى وضع الــدولة المستضعفة المسكينة المعتدى عليها ، الدولة الصغيرة التى يحيط بها الذئاب من كل مكان ونحن كنا نساعد على ذلك اعلاميا ونفتخر بأننا ذئاب قوية جدا جدا •• وسوف نفعل كذا وكذا •• الــخ •

فى سنة ١٩٧٣ دخلت قوات اسرائيلية الى بيروت وذهبت الى أماكن عامرة بالسكان ودخلت الى البيوت وقتلت زعماء فلسطينيين فى فراشهم ثم انسحبت عائدة الى أماكنها آمنة سالمة •• وهذا العمل عندما نؤرخ لحرب ١٩٧٣ يجب أن نضع ذلك فى الاعتبار وانه هو بدء الحرب فى ١٩٧٣ لأن هذا العمل أزعج مصر جدا وأزعج الرئيس السادات الذى طلب منى الاتصال بوزير خارجية لبنان للتعرف على مسار تصرف حكومته ازاء هذا الحادث ، فوجدنا الموقف اللبنانى مترددا وطلبنا على الفور عقد مجلس الأمن وحينما عقدت الجلســة تحدثت فيها بصفتى وزيرا لخارجية مصر فى ذاك الوقت وطرحت القضية برمتها وطرحت مشكلة القرار رقم ٢٤٢ أيضا لاعادة النظر فيه وكان للصين موقف فى هذا الخصوص اذ كانت لا تدلى بصوتها وبالتالى أصبح عدد الاصوات بمجلس الأمن ١٤ صوتا فقط بدلا من ١٥ صوتا •• منهم دول مثل انجلترا أو فرنسا ودول مثــل النمسا ورئيسها كرايسكى من أصل يهودى ومنها استراليا وهى الدولة التى أرسلت الينا مستر « منزيس » سنة ١٩٥٦ •• المهم اننا تعمدنا أن نطرح القضية برمتها لكى يرى العالم كله اننا على حــق • •هذا وقد طفت بكل هذه الدول وقابلت جروميكو فى روسيا وطلبت منه أن نعرف الحد الأدنى من امكانيات الحــــل الدولى وقابلت كرايسكى ولا أنسى ما انتهت زيارتنا إليه وتعليماته لمندوبه فى الامم المتحدة أن يكون الى جانبا ولأول مرة استراليا تأخذ الموقف المساند بالكامل •

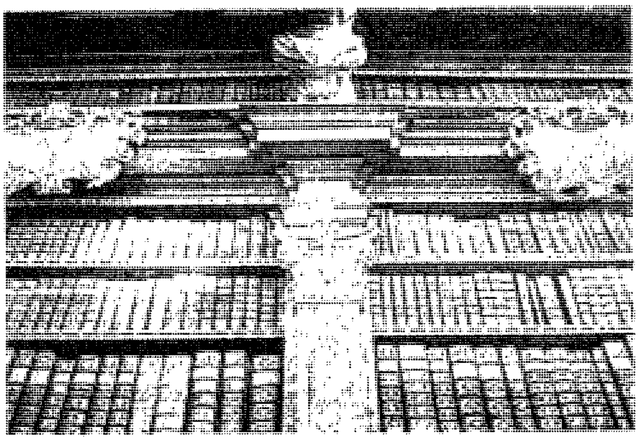
وقدمنا مشروعا جديدا يعدل القرار ٢٤٢ فى فقرتين رئيسيتين •• الفقرة الأولى كلمة « أراضى » الجلاء عن أراضى أو الأراضى ومشكلة الألف واللام ••

وطلبنا أن ينص القرار صراحة على الرجوع الى الخطوط التى كانت فيها القوات الاسرائيلية عام ١٩٦٧ يوم الخامس من يونية وبوضوح شديد ولم يعد هناك معنى للتلاعب هل هى الأراضى كلها أم مبدأ أراضى كما كانوا يقولون •• أصبحت المسألة شديدة الوضوح وضرورة الانسحاب من كافة الأراضى التى احتلتها اسرائيل يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وما بعد هذا التاريخ والفقرة الثانية والمهمة جـدا هى :

النص صراحة على حقوق الشعب الفلسطينى •• وهـذا القرار قدم ويجب ألا ينساه العالم العربى حتى يقوى مركزه فى أى مفاوضات أو فى أى مباحثات لأن مجلس الأمن وافـق عليه بالاجماع فيما عدا الولايات المتحـدة الأميريكية التى استعملت حقها فى الفيتـو وبالتالى لم يصدر القرار رسميا عن الامم المتحدة ، ولكنه ثابت ومسجل فى سجلات الامم المتحدة كرأى العـالم كله •• أوروبا الغربية ، أوروبا الشرقية ، اميركا اللاتينية ، آسـيا ، افريقيا ، العالم كله ، الضمير العالمى كله ممثل فى هذا القرار الصادر وفيه هاتان النقطتان وهو تحديد أن الجلاء هو الى خطوط ٥ يونيـة ١٩٦٧ وتحديد أن حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة يجب أن تتحقـق •

* * *

الباب السابع



الجانب الآخر للدكتور الزيّات
فى الفن والثقافة والأدب

موجـــز :

* نجــاح المسرح الشــعرى يرد على اتهام الجمهور بأنه « عاوز كــده » ..

* الصحة الثقافية تؤدى إلى نهوض الوطن وتأكيد حريته ..

* التخلى عن الفصحى واستعمال « العامية » فى المسرح خطأ فادح ..

* مشكلة القراءة لدينا ليست بسبب ارتفاع الأسعار ولكن بسبب تغير القيم ..

* الثقافة ليست مسئولية المؤلف وحده فالمتلقى له دور ..

* جمهور التليفزيون يميز العمل الجيد ويطلب المزيد منه ..

أزمــة الثقـــافة

على جانب آخر من شخصية الدكتور محمد حسن الزيات يكون ذلك الوجه المثقف المحب للثقافة العاشق للفن •• ولهـذه الحياة الزاخرة بالفكر والفسفة والأدب •• عن هذا الوجه كان السؤال :

نحن نسمع كثيراً الآن عن أزمة فى الثقافة وإدانة لهذا العصر ولهذا الجيل من المثقفين ••

فما رأى الدكتور الزيات فى هذه القضية ؟

ـــ اذا كان هذا مبعثه الرغبة فى الوصول الى الأحسن أو التطور نحو الأرقى •• فهذا « كويس » لأن الرضى عن الواقع تعطيل عن الطموح لكن أظننا بالغنا شيئا ما فى هذا التصور لأنه بالفعل يوجد مجهود ثقافى كبير فى البلد •• وأنت ذكرت « الوزير العاشق » فى المسرح وأنا كان لى حظ مشاهدتها(*) وأعجبت بأشياء كثيرة جدا فيها •

أولا : أعجبت بالدولة التى تسمح بتمثيل هذه القطعة الرائعة من الأدب ، حقيقة بغير أى مصادرة أو تخوف أو تردد فى سـماع ما فيها من انتقادات •• وخلافه •

ثانيــا : ان هذا يمثل عودة لاحياء المسرح الشـعرى الذى افتقدناه منذ عصر أحمد شوقى ـــ والشاعر فاروق جويدة ـــ شاعر شاب استطاع أن يجتهد ويجتذب انتباه مشاهديه « واللى بيقولوا الآن أن رواد المسرح أصبحوا من طبقات معينة وعايزين حاجـات

(*) التقيت فى قاعة العرض بمسرح السلام بالقاهرة بالدكتـور الزيات وحرمه أمينة طه حسين وتبادلت معهما التحية ، وبالصدفة كانت السيدة جيهان السادات تشاهد العرض أيضا .

معينة .. فان هذا المسرح الجاد يرد عليهم » .. أو يضع النور فى الظلام ضد الاتهامات الموجودة عن الجمهور المصرى أو عن اتجاهاته ورغباته « أو انه عايز كده » .

وثالثـــا : الأداء ــ أداء الممثلين والمخرج أيضا ــ التمثيــل كان بالصدق والاخلاص لابد أن أؤكد اعجابى الشــديد بالســيدة الفنانة سميحة أيوب والسيد الفنان عبد الله غيث(*) والمغنية الشابة عزة بلبع ، وكل الممثلين الموجودين سواء فى الخير أو الشر ولنا أن نتصور أن تمثيل وصدق وصوت وأداء سميحة أيوب مثلا خرج بنا عن التأمل فى المنظر ، وكان يخاطب مباشرة القلب والوجدان والعقل ــ فلم نعد نتخاطب بالعين .. ولا نشاهد المنظر فقــط بل أصــبح الأداء شيئا يتجاوزنا الى مخاطبة العقل والقلب مباشرة .. لقد كان ذلك شيئا عظيما أعجبنى .

الاوبـــــرا

قلت له : وما رأيك فيما تقدمه دار الاوبرا من أعمال كلاسيكية ؟

ــ قال : اذا انتقلنا الى هذا الجانب من حياتنا الثقافية المعاصرة فقد كان لى لقاء مع سهرة موسيقية رأينا فيها الفنان « يوسف السيسى » يؤدى موسيقى كلاسيكية معروفة ، لكن يؤدى أيضا قطعة لعزيز الشوان الفنان المصرى .. قطعة موسيقية لا نقول انها تقل عن الموسيقى العالمية .. لا أريد أن أقول انها من روائع الموسيقى العالمية بالفعل .

واريد أن أقول أن الصحة الثقافية هى التى تؤدى الى قيام الوطن والى قيام حضارته وقيام حريته .. هذه امور مترابطة جدا ولا تحتاج الى جــدال .

(*) رحل الفنان عبد الله غيث عن دنيانا قبيل صدور الكتاب .

واذا كان المصريين والمثقفين أن يعتبوا أو يلاحظوا أو ينتقدوا الحياة الثقافية فى مصر فهذا حقهم ، لكن لا يجوز لهم أن يروا الليل بدون رؤية النهار •• ولا يجوز لهم رؤية الاسود بغير الأبيض •• لأنه إذا سيطرت علينا حالة اليأس يكون خلاص ، الأمر انتهى •

أنا تسايف إذا كان عندنا ما يدعو الى انتقاده •• فأنا أرى أيضا ما يدعو الى الاعجاب به والتقدير اه •• وأنا لست ناقـدا مسرحيا ولا أيضا من نقاد الموسيقى •• انما هذه امور الواحد يطلع منها وهو كبير الأمل فى مصر ليس فى الثقـافة فقط •• ولكن فى مصر كلها •• وفى مصير مصر كلها •• لأن البلد السقيم لا يستطيع أن يؤدى شيئا صحيحا انما اذا كنا بنؤدى ما يعجب (انت عارف قصة جحا وحماره وابنه — دى قصة من أروع القصص لأن الانسـان لا يستطيع أن يرضى كل الناس) فيه عندنا فى الميدان الثقافى من يحاول أن يرضى شـكل معين — رغبة معينـة — ومن لا يرضى الآخرين •• أنت لو ذهبت لبلد مثل نيويورك تجد فيها ما يرضى جميع العناصر •• بكل اختلافها بين أعلى طبقات الثقافة وأكثرها إنحطاطاً •

اللغـة العربيـة

وفى رأيى أن الاستغناء عن اللغة الفصحى فى المسرح واستعمال العامية خطأ فادح •• وهذه فرصة للحديث عن قضية اللغة العربية الفصحى وتحويلها الى اللغة العامية على بعض مسارح الـدولة •• وهذا يعتبر من الأشكال غير المقبولة وتحدثت فى ذلك الى السـيد سمير سرحان المسئول عن الثقافة الجماهيرية أيامها ••

عبد القادر المازنى كان ينطق اللغة العربية والعامية •• ولكن ليس بهذا الشكل •• انها فصحى تقترب من العامية ••

إن اللغة العربية الفصحى ليست هى لغـة الهم والغم ٠٠ واخطار اللغة العامية ٠٠ أبرزها فى رأيى هذا الخطر السياسى ٠٠ لأنه اذا تحولت البلدان المختلفة الى ما يناسب لغتهم العاميـة ويحاولون توصيلها أو ترسيخها سيحدث عندنا فى يوم من الأيام كما حدث فى أوروبا ٠٠ تصبح اللغة اللاتينية لغات متعددة ومتفرقة وكثيرة جدا وهذه اللغات المتعددة المتفرقة تفرق شعوبها ٠٠ واللغة العربيـة بقيت معنا منذ أكثر من ألف وأربعمائة عاما وليسـت بها صعوبة مثل اللغة الإنجليزية ٠٠ ليس عنـدنا مثل هذه الصـعوبة لا توجد عندنا فروق منذ بدء اللغة العربية قبل العصر الاسلامى فى الجاهلية حتى الآن يمكن للشخص المتعلم أن يقرأ وأن يفهم ويمكن للشخص الموجود فى أى بلد عربى أن يفهم ويقرأ أو يعجب بما يكتبه كاتب فى بلد عربى آخر أو فى المغرب مثلا ٠٠ وليس من حقنا أن نضيع ذلك ٠٠ هذا شىء هام جدا وأى عمل قد نتج عنه تفرق فى الثقافة العربية عمل يحسن تجنبه ٠٠

ولكن طبعا الدفاعات كثيرة جدا لمن يكتبون العامية منها الواقعية وما الى ذلك ٠

ولكن اللغة العربية الصحيحة يجب أن تكون هى المسيطرة على الثقافة بمعنى أن لها اليد الطولى واليد العليا ، وهذا غـرض سياسى الى جانب انه غرض ثقافى ٠

ثم ما هو الفرق بين النقل الفوتوغرافى للحياة اليومية والنقل الفنى؟ الأول أن تنقل الشارع بما يأتى به من عامية والى آخره ، والثانى أن تنقل هذا كله الى مستوى آخر ٠

* * *

القـــــراءة

ورغم أعبائى السياسية فأنا لا أعمل ٢٤ ساعة مثلا •• ومن الممكن أن أذهب للمسرح لكن من مدة طويلة لم أذهب اليه كما اننى لمأجد من قبل المسرح الذى يستحق أن أراه •• وعندما رأيت مسرحية « الوزير العاشق » سعدت بهذه الرؤية وبهذه المشاهدة ، واذا كانت حياة الانسان فى ٢٤ ساعة تتسع للاكل والشرب والنوم فلابد أن تتسع أيضا للقراءة والقراءة خارج العمل والمكتب يجب أن تتســع للقراءة الثقافية والمسرح الثقافى •

كنت فى طفولتى فى دمياط اذهب لأحد الناس الطيبين اسمه « الشيخ على القاضى » فى الشارع التجارى وأقوم بأخذ عدة كتب منه وأدفع له مقابل القراءة قرش صاغ فى الاسبوع كله •• وبعد الانتهاء من القراءة أذهب اليه وأعطيه الكتب وآخذ كتبا أخرى بالقرش صاغ •• وهكذا كانت هناك طرقا كثيرة للقراءة ومتنوعة وكنا نبحث عن الكتاب والثقافة باهتمام بالغ حتى بالمصروف اليومى ممكن اشترى به الكتاب •• المسألة أو الحقيقة ليست فى تغــيير أسعار الكتب فقط وارتفاع الأسعار لا يهم •• انما فى تحول القيم •• المهم ما هى قيمة الثقافة والقراءة عند الناس •• وهل هــذا الشخص موجود الآن ؟

الطفولة أيامنا كان الشخص يتميز بثقافته •• فى عهد سابق كان يتميز بعلمه الدينى مثلا ، ثم أصبح يتميز بثقافته ووعيه لمــا حوله من قراءاته •• فهل الانسان الآن يتميز فى مجتمعنا بما يقرأ أو بما يعلم •• أم يتميز بما يملك •• وما هو موجود فى جيبه ؟

هذا التحول فى القيم •• نقل المال من يكون وسيلة الى أشياء أعلى ، الى أن يصبح هو نفسه غاية •• هذا شىء هام من جهة التحول من جهة المجتمع الذى نعيش فيه •

المنافســــة

شيء آخر .. دخول المنافسة القوية جدا الكتاب ..

فى الثلاثينات كتب استاذى العميد د. طه حسين رحلة فى الصيف واكتشف أن هناك راديو كيف يكتب ؟ كيف سمع وعلم أن هناك شيء اسمه الاذاعة الصوتية .. واه فيها ملاحظات : هذا الاكتشاف أنا عشت ما قبل الاذاعة وما بعد الاذاعة والاذاعة دخلت بيوت الناس كلها واجتاحت الحدود الدولية ، وأصبح من الممكن أن تدخل اذاعة اميركا أو روسيا أو ايطاليا الى القاهرة أو بلادنا فى كل مكان بغير اذن وبغير تأشيرة .. دون طلب لأنه لم يعد من الممكن ايقافها عند حدود الدول ثم جاءت الاذاعة المرئية « التليفزيون » .

واذن أنت تشاهد الآن .. ان العالم كله يعيش على المسلســـلات وأن الناس لا تخرج من بيوتها فى وقت معين حتى ترى ماذا حدث فى تتابع حلقات المسلسل .. للبطل أو البطلة وهذا ليس شــيئا يخص مصر وحدها ولكن فى الخارج مسلسلات تفضل عايش فيها مع أسرة فيها منازعات وخناقات وحب وقتل وزواج وكره وطلاق سنوات طويلة مدة طويلة جدا .. هذا فى العادة يشاهد فى وقت تكون فيه سيدات المنازل يعملن .. يفتحن مثلا على الاوبرا ويتفرجن عليها فى التليفزيون .

ومن هنا قل اهتمام الناس بالثقافة لأنها لم تعد هــذا الشيء المميز للمواطن .. أصبح عنده ما يميزه أشياء أخرى .. التميز المالى .. التميز بالمكانة .. النجاح التجارى ، النجاح الاقتصادى .. الــخ .

هذه أمور تختلف عن ذى قبل .. والكتاب داخــل الدائرة الثقافية أصبحت له منافسة أخرى ومنافسة قوية جدا ولا أقــول فقط الاذاعة المسموعة أو المرئية ، ولكن أقول أيضا الكاسيت أصبح

الآن فى أى مدينة محلات بيع الكاسيت أكثر كثيرا من محلات بيع الكتب .. هذه حقيقة علينا أن نعترف بها .

قلت له : وما الحــل فى تصــوركم ؟

ــ قال : لو نظرنا لارتفاع سعر الكتاب فى الواقع نجد أن الكتاب دائما كان شراؤه عبارة عن عملية كمالية .. حتى أثناء فترة رخص الأسعار .. كان أيضا رغيف الخبز رخيصا الى آخره ..

وفيه فرق حتى الآن أن يكون الكتاب كماليا وأن يكون معجزا صعب المنــال .

واذا كان الكتاب سعره مرتفع فلابد أن تنشأ عندنا صــناعة الكتب التى يسمونها بالخارج كتب مطبوعة على ورق أقل تكلفــة وبشكل أكثر انتشارا وتباع مع باعة الكتب ..

وأعتقد أن « أخبــار اليــوم » أخرجت مثل هذه السلسلة .. ولابد أن نكثف ونكثر من المكتبات التى تعير الكتب .. كما كنت أنا أستعير الكتاب فى طفولتى بقرش صاغ واقترح أن يكون هنــاك دور للثقافة فى ذلك مثــلا .. لمــاذا لا يتعاون النــاشر والمؤلف والمسئول فى قصور الثقافة فى المحافظات فى تزويد هذه القصــور بالكتب بغير ربح مثلا .. وتعطى الفرصة للقراءة ميسرة .. والكتاب موجود ومن الممكن الاستعارة بعد ذلك .. حتى لو كانت بثمن لكن قليل ومقبول ومعقول ..

وأنا أرى أن المسألة فى قضية الكتاب وارتفاع سعره .. غير ذلك استكمالا لما قلته : أرى انها قضية الكتاب وما يكتب فيه .. وليس فقط صعوبة الشراء لارتفاع الأسعار الحالية للكتاب ..

كتب قيمــة

أهم شىء هو ما يكتب فى الكتاب ..انه مثل الرحيق .. القراءة والكتاب مجهود واحد بيدرس ويعمق ويستخلص نتيجة دراسته وبعدين هذا كله يتكون داخله عصير .

والأصل : كيف اشترى كتابا له قيمتــه ؟

وليس كيف أشترى كتابا رخيصا ؟

الكتب القيمة .. كيف نصل اليها .. وقبل أن نصل الى أزمة الكتاب لابد من النظر فى أزمة أخرى هى أزمة الكاتب .

ونجد أن السؤال المطروح هو : هل يجهد الكاتب المعاصر نفسه فى التحصـــيل ؟

هل يتكون داخله من حصيلة ما يقرأ وما يدرس ما يستحق أن ينقله الى القارىء ؟

ثم كيف يصل الى القارىء .. ؟

وحقيقى لدينا أزمة فى ارتفاع الأسعار الخاصة بالكتب وذلك لأن أسعار الورق مرتفعة جدا لكن هناك أزمة قبل هذا .. وهى ماذا يوضع فوق هذا الورق من تأليف الكتاب ؟

الأزمة عندنا أولا أزمة المؤلفين ثم أزمة الكتاب ونعود الى معنى هل يكتفى المواطن بالاستماع والنظر دون القراءة ..

شىء مهــم

ولكن هنــاك مؤلفون لهم كتب قيمة ولهم تاريخهم وتراثهم الثقافى المعروف ..

هذا صحيح .. ولكنهم قلة .. والسبب فى ذلك أو أحد أسباب

ذلك أنه لم يعد الآن فيه جائزة فى المجتمع للكاتب المجد ترفعه الى الصفوة كما كان الحال قبل ذلك •• بمعنى انه فى الماضى عندما كان يظهر أحد الشعراء فى قبيلته البدوية مثلا •• كانوا يحتفلون به •• وهذا يعكس ما كان للشعر من مكانة كبيرة فلان الشاعر سـوف يعبر عن قبيلته ببراعته ، بعد كده جاء دور الكاتب بحكم أنه كاتب يصبح الكاتب الكبير عباس محمود العقاد أو كذا أو كذا ويصبح هو نفسه قيمة وما يكتبه قيمة ويحس بذلك أنه قد وصـل الى مكان الصدارة بين الصفوة هذا شىء مهم جدا •

الآن •• هل المجتمع عندنا يجل الثقافة والمثقفين يجل الكتـابة والكتاب فى الثقافة وليس فى السياسة •• هل يجعلهم فى مكـان الصفوة ومكان الصدارة حتى يحترم أو يجيد ؟

أن يصل كل كاتب الى هذه المكانة أم لا ؟ هذا هو السـؤال والإجابة عليه تحتاج الى جهد أكثر ووقت أكثر انما الآن يمكن القول أن الصفوة فى المجتمع لم تعد وسائل الوصول اليها هى الاجادة أو القدرة على التعبير والثقافة واظهار سحر الكتابة لأنه سـحر الحقيقة الوصول اليه بتعلم وسائله وتلقى أصوله من ألف كتاب ، من ألف لغة ، من ألف مكان •• قصدى من أماكن متعددة لا أدرى •• يمكن يكون شىء من الأمل فى الحياة التى حولى •• ولكن أنا شايف ان الثقافة لم تعد من وسائل الوصول الى مكان الصفوة فى المجتمع ••

وأنا من خلال ترأسى للجنـة الثقافة والاعلام داخـل مجلس الشعب تمنيت التبصير باسم الشعب ويكون عمل اللجنة الحفاظ على الدستور خاصة المادة التى تقول كل الحقوق مصدرها الأمة •• ولو وصلنا الى هذا المعنى نكون وصلنا الى مكانة كبيرة جدا ••

الدور الذى تلعبه الثقافة والاعلام الآن من أخطر الأدوار كما يتردد والنهاردة نحن ننزع لغة الحضارة فى المكاتب .

التليفزيون لا يربى .. انه يفسد .. القيم تضيع .. المثل تضيع .. الاخلاقيات ضائعة ..

وما هو دور لجنة الثقافة والاعلام فى مجلس الشعب بهذا الصدد ؟

— أقول لك اننا ونحن فى مجلس الشعب أعددنا عدة جلسات استماع فى داخل لجنة الفكر والثقافة والاعلام قبل أن نحكم على الأمور .. نريد أن نتعرف ، لا نريد أن نقول بما نحس به ولكن نريد أن نقول بما نعرفه ونستنتجه من التعامل مع كل المشتغلين فى مجال الثقافة وهذا هو دور لجنة الثقافة والاعلام بالمجلس قبل أن نتعامل مع المسئولين عن الثقافة يجب أن نتقابل مع الذين يشتغلون بالثقافة ولهم هموم يريدون أن يطرحوها .

المشتغلون بالثقافة فى الصحف والمجلات الفنية والاذاعة والتليفزيون والسينما والكتب تقابل الجميع تستمع اليهم ثم تضع يدها على مكمن الداء وتقترح الدواء .

وبالمناسبة احب أن أحكى لك حكاية ونحن نتحدث عن الفنون المختلفة .. عن الخط العربى وأين هو الآن .. سعد باشا زغلول فى يوم من الأيام طلب منه أن يكتب كلمة .. وقدموا له قلما وورقا فكتب هذه الجملة : خط هذا القلم جميل فى غير يدى ..

وخط سعد باشا زغلول (كان سيئا) وأنا لا أتشبه بسعد باشا زغلول هو كبير طبعا ، ولكن أنا خطى أسوأ من خط سعد باشا زغلول وكنت أتمنى انه يصحح لى هذا الخط وأنا صغير وحتى لو كنت أكتب الآن بخط سىء .. فانه بيطلع فى الجرنال وسينشر عكس

المكتوب بمعنى أن الخط اذا لم يكن جيدا ممكن يؤدى الى عكس المعنى المقصود •• ولكننى أريد أن نفهم أن الثقافة تبدأ منذ الصغر ومن كل هذه الأشياء الصغيرة والبسيطة ••

وفى المدارس الأجنبية مثلا يبذل الجهد الكبير جدا •• قبل التعلم والتعليم •• مثلا دراسة شكل الحرف كيف تكتب بشكل جميل •• ونحن صغار كنا نمسك بالقلم البسيط وهو قلم من الغاب •• كانت محاولات من أجل ايجاد الخط الجميل ، لكن التوجيه مطلوب بشكل دائم •• الآن لم نعد نتكلم عن الخط العربى أو الكتابة العربية الصحيحة والسليمة •• أصبح الآن « الكومبيوتر » هو المسيطر وحروف معروفة وشكلها معروف •• انتهى عهدنا وعهد الخط العربى •• هل أصبح شيئا قديما ولا أيه •• ؟

ويستطرد د• الزيات بحماس شديد قائلا :

مرة كنت فى مطار شهير فى تركيا وجدت لوحة جميلة جدا عبارة عن خط عربى والأتراك كان لهم قدم وساق وتقدم كبير فى الخط العربى ، لكن الكومبيوتر الآن يعلن أن الخط العربى فى حاجة الى انقاذ •

الكمبيوتر

بمناسبة الحديث عن الكمبيوتر •• هل ترى سيادتكم انه اضافة أم نقصان ؟

ــ أقول لك •• زمان كان يقال أن الامى هو من لا يعرف القراءة والكتابة •• الآن فيه تعريف آخر •• وهو أن الامى هو الذى لا يعرف لغة الكومبيوتر ••

الكومبيوتر أصبح هو اللغة المقروءة فى مجالات العلم والتعليم فى مجالات الصناعة فى مجالات كثيرة ، وصل الآن الى كل بيت وأصبح

فى متناول الجميع ويكفى انه يختصر ما يمكن أن نصـل اليه من الحساب فى ساعة مثلا الى ثانية فقط ، وما ندخره فى ذاكرتنا يزاحم بعضه بعضا أصبح هو يدخره فى ذاكرته دون مزاحمة تقليدية •• إنما يبقى كل ذاكرة لها سعة معينة ومعروفة ••

نحن على مشارف عصر جديد •• بل دخلناه بالفعل ••

أين من هذا العصر أن نجلس ونكتب فى خط جميل •• هناك اصطدام الآن ، اصطدام للقيم دون أن يكون منها قيمة عليا وقيمة سفلى دون أن يكون هناك خير وشر ، هناك الآن قيم متصارعة على حياة الانسان ووقته وعلمه وأدائه •• وهذه القيم جميعها •• مختلفة عما كانت فى الماضى ••

حفيدى الآن يدير الفيديو بطريقة أنا شخصيا لا أعرفها وأنا لا أريد قتل القديم علشان الجدد أو معاداة الجدد بسبب القديم ولكن كيف نحافظ على الجانبين ونجعل لكل منهما قيمة ومكانة فى الحياة •• هذه هى القضية •

السـينما والمسـرح

قلت له وما رأيك فى السينما والمسرح التجارى ؟

— قال : شاهدت مرة فيلما سينمائيا جميلا •• ولكنه كان مجرد أحداث عادية مثيرة ولما قابلت المخرج قلت له : أين مجهودك المعروف وأين أفكارك ؟ قال لازم أعرف من الجالس فى الصالة الآن ؟ أنا كمخرج أو فنان نفسى أعمل عمل كويس ولكنى أيضا مضطر أن أكون تاجرا فى نفس الوقت وإلا فسيقضى على وتبور تجارة المنتج •• وهذا كلام خطير •• هو يعطى للناس ما يطلبونه ابتعادا عن المعنى الجليل للثقافة •

أما المسرح التجارى فارتفاع أسعار التذاكر يفرض جمهـورا

معينا .. هذا الجمهور لابد أن تقدم له وجبة تشبعه وتشبع ذوقه مقابل ما يدفعـــه ..

ومن الذى سوف يدفع ويدخل المسرح ؟

اذن ما يقدم يكون لهذه الفئة .. الثقافة ليست مسئولية الكاتب فقط .. انما هى أيضا مسئولية القارىء أو المشاهد وليست مسئولية المؤدى سواء كان ممثلا أو موسيقيا أو غير ذلك ، انما هى مسئولية المستمع أيضا والمتلقى ومسئولية الحالة الاجتماعية التى تمر بهـــا الأمـــة .

وعندما أقول مسئولية الثقافة عند المشاهد والقارىء والمستمع الدليل على ذلك عندما شاهدت مسرحية « الوزير العاشق » وكانت القاعة ممتلئة عن آخرها .. هذا دليل كاف على أن الجمهور المصرى يقبل على العمل الجيد .

شـــكسبير وليالى الحلمية

على جانب آخر لا يمكن مثلا أن تأتى بشكسبير وتعمله مسلسل تليفزيونى لابد أن تنزل به الى واقع الحياة الموجودة سرعة القافلة دائما يجب أن تضبط على سرعة أقل .. يجب أن تكون الواقعيـــة هى أساس العمل التلفزيونى وللاسف المخرج والمؤلف كلاهما يفترض أن الجمهور كله يريد بضاعة بسيطة ولا أقول رديئة ، لكن وصول بضاعة جيدة مثل « ليـــالى الحلمية » وقبول الناس لها .. تدل على أن هناك ظلم للجمهور فالجمهور يميز العمل الجيد ويقبل عليه ويرغب فى المزيد منه .

ويجب أن نستجيب لرغبـــات المشاهدين ونرتفع بمســـتواهم بقدر الامكان .

فالأدب والثقافة فى جميع العصور لهما رسالة محددة هى

الرقى بمستوى الناس وهناك حكاية معروفة جدا عن أبى تمـــام الطائى كان يقدم شعره الى بعض الخلفاء ولابد أن يمـــر على الناقدين ••.

أبو تمام وقف على باب الخليفة مرات ومرات ولم يقبـــل شعره •• وأخيرا قبل ودخل وخرج وقابل الناقد الذى كان يمنعه من الدخول فقال له : لماذا لا تقول ما يفهم •• ؟

ورد أبو تمام : وأنت لماذا لا تفهم ما يقال ؟

المشكلة واضحة •• هل يجب على القارىء •• على الجمهور أن يبذل المجهود الكافى لكى يفهم العمل الجيد الصعب ؟

أم يجب على القارىء والكاتب والمصنف والمؤلف النزول الى المستوى العامى فى لغته وفى أسلوبه وفى قضاياه •• وما هو المطلوب ؟

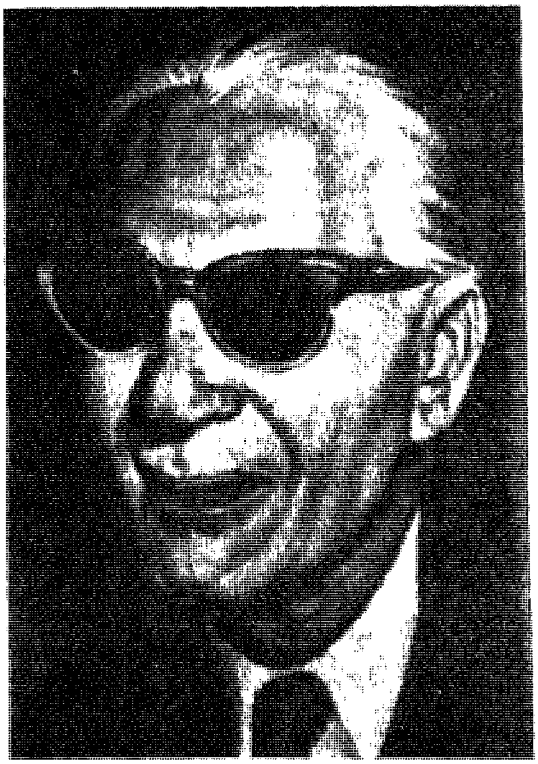
هذا الموضوع ليس بسيطا •• لأن الجمهور حينما يبذل هذا الجهد لابد أن يكون عنده الاهتمام الخاص والحب الخاص للثقافة •

اللى فينـــا مكفينـــا

ليس معنى أن تكون الثقافة جادة أن تصبح مصدر نكد للناس ففى مرة وأنا فى مصيف رأس البر كان يوسف بك وهبى بيعرض أحد أعماله فيها •• أحد العمال الدمايطة ذهب الى رأس البـــر بتحويشة الاسبوع يريد أن يسعد ويضحك ودخل مسرحية يوسف وهبى وعندما شعر أن دموعه تتساقط وقف فى تلقائية بســـيطة قائلا : « يا يوسف بك •• يا يوسف بك •• اللى فينا مكفينا » •• !

* * *

الباب الثامن



الزيّات مدافعاً عن طه حسين

❋❋ آراء دكتور طـــه حسين :

حول التجديد والعروبة والاسلام والتعليم كانت مثار نقاش طويل خلال حياته •• ولم يزل البعض ، حتى الآن ، يستعيد هذه النقاشات ويوجه اتهامات شتى له ، ليس أقلها أنه مع الغرب ضد الشرق !!

❋ وقد أجرى هذا الحوار الذى نشر فى لندن(❋) •• مـــع الدكتور محمد حسن الزيات بصفته زوج ابنة طه حسين ومن أقرب الناس إليه بالإضافة الى شخصية د• الزيات المرموقة كمفـــكر وكسياسى وكأديب تمتزج الدبلوماسية عنده بالأدب والثقافة •• وقد عرف « العميد » عن كثب ورافقه فترة طويلة ، فى هذا الحوار تحدث د• الزيات عن مواقف صهره طه حسين من ثقـــافة الشرق والغرب ومواقفه من الأزهر ، وكذلك مواقف الأزهر منه •• وبعض ذكرياته مع عميد الأدب العربى •

❋ ❋ ❋

❋ كتب د• طه حسين الكثير حول التجديد الأدبى مما أثـــار حفيظة الكثيرين عليه ، وبعضهم لم يزل حتى اليوم يحاول النيـــل من هذه الشخصية الأدبية الكبيرة ، من خلال معرفتك بطه حسين ومرافقتك له ، ما هو رأيك بالتهم الموجهة إليه ؟

ـــ من حسن الحظ أن الدكتور طه حسين ليس فى حاجة لأى مدافع عنه ، لأنه ما زال يعيش معنا ، يدافع عن نفسه بما كتبه • فلو تناقشنا نقاشا علميا وقرأنا فى كتب طه حسين وقلنا ما قاله عن

(❋) مجلة المجلة ـــ لندن العدد ١٩١ والعدد ١٩٢ ـــ ١٩٨٣ •

التجديد ، لوجدناه قد قال أن التجديد غير مطلوب لذاته وإنما هو مطلوب إذا كان نافعا • فالقديم لا يترك لأنه قديم والجديد لا يؤخذ لأنه جديد • وإنما القديم يترك اذا كان قد أصبح غير صالح والجديد يقبل اذا كانت قد أصبحت له فائدة معينة •• وهناك قصة هندية عن رجل كبير مستور الحال كان تاجرا للبطيخ وعنده ثلاثة أبناء • فوزع عليهم ثلاث بطيخات ونصحهم بالمحافظة عليها فاعتقد الابن الأكبر أن والده قد أصبح مخرفا واندهش من طلبه فكسر البطيخة وأكلها • أما الابن الأصغر فقد قال هذا والدى وقد أعطانى نصيحة فلابد أن أتمسك بها ووضع البطيخة فى « دولاب » الى أن فسدت فتركها فى المكان نفسه اتباعا لنصيحة والده كما فهمها ، أما الابن المتوسط فقد أكل البطيخة ، لكنه أخذ البذر وزرعه فى الأرض •• وبالتالى حافظ عليها مدى الحياة ، هذا الابن الأوسط هو المجـــدد الذى فهم أن المحافظة على القديم حتى لو أصابه العطب شىء غير مطلوب وإن اهمال القديم يقطع الصلة بينه وبين جذوره ويجعله فى مهب الريح حتى يضيع وإنما الأوسط هو من يضع القديم فى الأرض فيخرج جديدا دائما وهذا ما أعتقد أنه كان رأى طه حسين • وعلى كل حال فإن حياة طه حسين أمامنا • فلماذا لا نعود اليها • لم يتخل طه حسين عن القديم طيلة حياته كما اعتنى بالجديد أيضا •

* كيف كان طه حسين يوزع وقته فى القراءات ؟

— الى آخر وقت كان لابد لطه حسين أن يقرأ فى كتب التراث • وكان يخصص ساعتين لمدة ستين يوما لقراءة التراث لم يتخلف عن هذا أبدا وفى الوقت نفسه لم يتخلف عن قراءة الأدب الحديث من جميع مصادره • فلم يكن المنهج الوحيد لديه هو المنهج الفرنسى مثلما يهاجمه البعض • وإنما كان يريد كل النوافذ التى تؤدى الى ثقافات جيـــدة تأتى لتدخل على الثقافة الموروثة وتتفاعل معهـــا • لا تفريط فى القديم لقدمه ولا « فتنة » بالحديث لحداثته • بل كان

يطالب الانسان العربى أن يؤمن أنه وريث حضارة ضخمة جدا وصاحب فضل كبير جدا على الغرب • حضر طه حسين فى أحد المرات اجتماع اللجنة الثقافية الجامعة العربية فى المملكة العربية السعودية وقال لهم ان كل واحد منكم يستطيع آن يطالب أى أميركى أو فرنسى بثقافته لأن هذا الأميركى أو الفرنسى أو الانجليزى لم يحصل على هـذه الثقافة إلا بفضل ما أعطيت أنت وأجدادك له من الحضارة الاسلامية التى أثرت فى إنشاء الثقافة المعاصرة ، وبالتالى نحن نطالب ببضاعة أصلها من عندنا وهم قد أخذوها فمن حقنا أن نشارك فيها الآن •

أما توزيع وقته فكان ساعات للقراءة العربية وساعات لقراءة الآداب العالمية ، فيقرأ قصة جديدة من الصين أو اليابان أو انجلترا وكانت الأداة لذلك هى اللغة الفرنسية • فكانت الفرنسية هى الأداة وليست المصدر فالمصدر هو الحضارة المعاصرة كلها اينما كانت •

أما الصحف والمجلات فكان يقرأ يوميا عناوينها كلها • ثم يتوقف من العنوان عند شىء فيقرأه بالكامل •• وبالتالى لم يكن ينقطع عن العالم المعاصر اليومى ولا ينقطع عن العالم القديم الذى يمتد الى جذور التراث •• الصباح كان لقراءة الصحف والمجـلات والرسائل •• والساعة الثالثة للقراءة العالمية وحوالى السابعة قراءة فى التراث العربى • والمساء للزوار • وكان يفتح الراديو باستمرار للاستماع إلى القرآن الكريم • كان عنده راديو صـغير مؤشره باستمرار على محطة القرآن الكريم منذ انشائها ولم يتحرك مؤشر الراديو عن هذه المحطة اطلاقا ••

* هل كانت السيدة سوزان هى التى تقرأ له ؟

— كانت القراءات قد أصبحت واجبا • هو لم يكن يحب أن يضع عليها واجبات بهذا الشكل لذلك كانت هناك قارئة فرنسية تقوم هى بمهمة القراءة له •

* والى أى مدى صحة اتهام طه حسين بأنه كان يميل الى الغرب أكثر من الشرق ؟

ـــ تهمة طه حسين فى هذا المجال هى انه كان يدعو الى أن نكون جزءا من الغرب وليس جزءا من الشرق . هذا اتهام صحيح اذا قسناه بمسألة « لا تقربوا الصلاة » فالذين يذكرون هذا الكلام لا يذكرون بقية ما قاله أو لا يشرحونه إما لعدم متابعة ما قال ، أو لمجرد التقاط نقاط للطعن فى طه حسين .. !

فى كتاب طه حسين « مستقبل الثقافة فى مصر » يذكر أن القول بأن مصر جزء من الشرق البعيد كلام غير صحيح ويحدد أن الشرق البعيد هو الصين واليابان والمنطقة المحيطة بهما . ويقول أننـــا لسنا جزءا من هذا العالم الثقافى . ليس لأن هذا العالم الثقافى سىء أو جيد وانما لأننا فى الواقع لسنا جزءا من العالم الثقافى فى الشرق البعيد . وكلمة « البعيد » هذه يذكرها باستمرار . أما ثقافة البحر المتوسط التى تبدأ من مصر القديمة وتتضمن اليونان وتمتد على سواحل البحر المتوسط شماله وجنوبه وشرقه وغربه .. فعندما ننضم لثقافة البحر الأبيض المتوسط أو نصبح جزءا منها فنحن جزء من الثقافة العربية وليس العكس فالساحل الجنوبى للبحر المتوسط يشمل المغرب الأقصى ـــ الجزائر ـــ تونس ـــ ليبيا ـــ مصر ثم الى الشمال ـــ الشام بما تتضمن « لبنان ـــ سورية ـــ فلسطين حتى سواحل تركيا » .

لكن سواحل البحر الأبيض الثقافية ليست سواحله الجغرافية . ليست حدود الماء ولكن حدود الانتماء الثقافى . فاذا كانت هنـــاك ثقافة البحر المتوسط فى لبنان فهى موجودة أيضا فى سورية وممتدة الى العراق . وطه حسين نفسه يتكلم عن ثقافة البحر المتوســـط كما ظهرت فى بغداد . فسواحل البحـــر المتوســـط والتى نسميها الحدود الثقافية للبحر المتوسط ممتدة لتشمل العالم العربى . انتمائنا

الذى يذكره طه حسين لحضارة البحر المتوسط هو انتماء المنشىء والمستفيد • انتماء المنشىء فى مصر القديمة وفى أيام الدولة الأموية والدولة العثمانية • هذا الانتماء واضح • ويتحدث عنه بأنه الشرق القريب • ويذكر فى بداية كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » أننا جزء من الشرق القريب ويضيف أننا لسنا جزءا من الشرق ويقصد الشرق البعيد • لذلك فإنه من الظلم أن ينسب اليه ما لم يقل وما لم يفكر فيــه •

وبهذا فإن دعوة طه حسين بأننا جزء من ثقافة البحر المتوسط ودعواه بأننا لسنا جزءا من ثقافة الشرق البعيد أى اليابان والصين هما صحيحان بدون شك والاختلاف فيهما اختلاف فى الحقائق يسقط بنفسه • واذن الادعاء بأنه قال أننا جزء من حضارة البحر المتوسط ثم الفهم من ذلك أننا لسنا جزءا من حضارة الشرق الأدنى ، كلام غير صحيح لم يقل به • وبالتالى لا يحتاج الى دفاع •

ومن يقرأ كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » جيدا سيقتنع أن كلامه حول أننا لسنا جزءا من الشرق المقصود به الشرق البعيــد وأن كلامه حول أننا جزء من حضارة البحر المتوسط لا يعنى أننا جزء من حضارة « نيس » و « كان » فقط بل من حضارة الشــام والعالم العربى •

* بعضهم يتهم طه حسين بأنه ضد العروبة ؟

ـــ لدى طه حسين دون شك شعور مصرى قوى جدا • لكنه عندما كان يتحدث عن نفسه وعن عائلته كان يقول أن أسرته أصلها قبائل عربية وصلت الى صعيد مصر • فالطريق من القاهرة الى أسوان يمر على عدة مدن تحمل اسم « بنى » مثل « بنى سويف » والمقصود بكلمة « بنى » أبناء قبائل عربية معينة استقرت فى هذه الأماكن وأنا أعرف أن طه حسين كان ينسب نفسه الى الرســول

عليه الصلاة والسلام • ولا أعرف ما اذا كان قد كتب عن هــذا الانتساب أم لا • لكنى أعرف هذا النسب وأنه كان من ناحيــة الأم • فإذن هو يعرف أن دماءه عربية •

وهل انتماؤه الى مصر يمنع انتماؤه للعرب ؟ هل انتماء أى مواطن للقاهرة يمنع انتماؤه لمصر ، وهل الانتماء لمصر يمنع الانتماء للعالم الاسلامى ؟ طه حسين شديد المصرية منذ كان شابا يكتب الشعر الملىء بحب مصر • المتعطش لخدمة مصر • وغير صحيح أن انتماءه لمصر كان يمنــع انتماءه العربى • كان الدكتــور محمــود عزمى يتحدث عن عــالم العربيــة • وليس العــالم العــربى • أى أنه كان يتحــدث عن عــالم اللغــة العربية • لأن فى حقيقــة الأمر ما الذى يربط الشامى بالمغربى مثلما يقال ، هو اللغة العربية • واذا سألنا من هو محامى اللغة العربية فى القرن العشرين ووجهنــا هذا السؤال لخصوم طه حسين وليس لاصدقائه أو تلاميذه فانه لن يكون هناك شك أن اجابتهم ستكون ان محامى اللغة العربية فى القرن العشرين هو الدكتور طه حسين • فهو محامى اللغة العربية بمعنى المحاماة أى المشادة مع خصوم موجودين • فقد خاصم طه حسين الذين طالبوا باللغة العامية سواء كانوا من أقصى اليمين أو أقصى اليسار • حارب اللغة العامية بدعاوى هامة جدا أهمها أنها تفرق بين الشعوب العربية وتجعل الجزائرى فى يوم من الأيام فى حاجة الى مترجم اذا قرأ انتاج العراقى • فهو يرى اذن ضرورة بقاء التفاهم والتعامل بين شعوب العربية • وهذا يرد على التهمة السابقة من أنه لم يكن يحب العرب • بينما هو يطالب بأن تبقى اللغة العربية فصيحة حتى لا تنقطع الصلة بين العربى من أقصى المغرب مــع العربى من أقصى المشرق •

وفى العهد الحديث فى مصر ، كان بعض اليساريين يرون أن اللغة العامية ضرورية وهامة لابراز شخصية الطبقات الكادحة لكنه

حارب هذه الدعاوى أيضا . فهذه الدعاوى ليست عنده من القوة بحيث يتم الالتفات اليها عندما يكون المطلوب هو الدفاع عن اللغة العربية والعالم العربى المرتبط باللغة العربية الفصحى . وعندما كان يدافع عن اللغة العربية لم يكن يدافع عن ارتباطات جغرافية فقط . بل كان يدافع أيضا عن ارتباطات تاريخية . بمعنى أنه لم يكن فقط قول أنه يريد أن يفهم المواطن فى « القيروان » المواطن فى « بغـداد » لكنه أيضا كان يريد أن يفهم الانسان العربى الذى يعيش فى القرن العشرين العربى الذى كان يعيش فى القرن العاشر . فهو يريد ألا نقطع الصلة بيننا وبين التراث العربى العظيم فلو تحدثنا الآن بالعامية فاننا سنحتاج فى يوم من الايام لما يحتاجه الانجليزى اليوم اذا أراد أن يقرأ كتابا لاتينيا قديما حيث يحتاج لمتخصص فى التراث . وهذا شىء غير مرغوب فيه فى رأيه وفى رأينا أيضا .

إذن لقد حارب طه حسين الذين طالبوا باللغة العامية محاربة أعتقد أنه قدر له فيها الانتصار . حارب زميله وأستاذه الذى يحبه جدا وهو عبد العزيز باشا فهمى ، عندما طالب باستعمال الحروف اللاتينية ، حربا شعواء فى مجمع اللغة العربية فسقطت حجة من كانوا يريدون أن يسقطوا الحروف العربية ويستعملوا الحـروف اللاتينية .

ودفاع طه حسين عن اللغة العربية يجعله فى الواقع أكبـر محام عن اللغة العربية . وهو محامى يستعمل حجة ضرورة بقاء العالم العربى متحدا جغرافيا ومتواصلا تاريخيا . فكيف يقال بعد هذا أنه لم يكن يحب العرب .

لقد أحب طه حسين الناس لأفكارهم ورفض أن يحب الناس لعنصريتهم . فهو قد أحب اللغة العربية . أحب العالم العربى . أحب التراث الفكرى العربى . وبكل تواضع بالنيابة عن طه حسين

لا أعتقد أنه يوجد شخص واحد خدم اللغة العربية الفصحى ودافع عنها مثل طه حسـين .

* لكن هل صحيح أن طه حسين كان معاديا للازهر ؟

— الأزهر شامخ وله جذور . الأزهر أثر فى العالم كله . وفى يوم من الأيام كانت الجامعات الاوروبية رجعية جدا بينما كانت الجامعات التى كانت ينتشر منها النور الى العالم كله هى الأزهر والجامعات الاسلامية .

ولأن الأزهر عظيم وقديم فقد دخلت فيه بعض فترات الركود التى تركت آثارها عليه . من يحب الأزهر هو الذى يطالب باصلاح هذا الركود . ومن لا يهمه أمره يتركه ويشاهده كما يشاهد الهرم . أثرا من الآثار الباليـة .

الذين أحبوا الأزهر والتعليم بحق ثاروا فى فترات متعاقبة وكثيرة مثل محمد عبده وتلاميذه وغيرهم ممن يريدون اصلاح الأزهر من الداخل . ولو كان طه حسين حيا لدافع هو بنفسه ورد عـلى هذه الأسئلة ولوجدنا فى كتاباته كيف زار الأزهر بعد أن كبر وقلبه يخفق للازهر ويحاول أن يسمع الهمهمة الموجودة فى السـاحة . وعندما وجد أن تقاليد الأزهر لم تعد موجودة حزن كحزن المحب على شىء لم يكن يتصور أن تتغير طبيعته عما كانت عليه .

أنا لا أعتبر طه حسين قد عادى الأزهر . بل اعتبر أنه أحب الأزهر حبا أكبر من الناس الذين خضعوا لتقاليده . فالمحب لشىء من الأشياء هو الذى يريد أن يكون على أحسن ما يكون من الكمال . والذى يكره أن يكون فيه أى عيب والذى يحاول أن يزيل هذه العيـوب .

الطريقة الأزهرية أصبحت طريقة تقليدية غـير قادرة على

استيعاب المعلومات الحديثة • فالأزهرى لم يكن يدرس الهندسة مثــلا • علما بأنه فى وقت من الأوقات كان من أساتذة الأزهــر « الحسن بن الهيثم » أمام علم البصريات فى العالم •

ما أريد أن أقوله هو أن طه حسين كره من الأزهر أن ينــزع مكانته العلمية بحكم القدم وبحكم العصور المتخلفة وأراد له أن يعود الى مجده والجامعات المصرية الحديثة هى فى الواقع محاولة للوصول الى الأزهر مثلما كان فى عصره الذهبى • وبالتالى أنــا لا أوافق على دعوى ان طه حسين كان يكره الازهر • بالعكس كان يحب الأزهر وما كان يرويه عن الأزهر من قصص فيها فكاهة أو فيها جد تعبر عن حبه له • كان معجبا جدا بأن درس الأزهر يبدأ مع الفجر ويستمر حتى المغرب • وهذا يوضح أن الأزهرى كان يعطى نفسه للعلم • وعندما كان طه حسين شابا قادما الى المدينة للدراسة فى الازهر كان يريد أن يلقى نفسه فى بحر العلم ، ويذكر فى « الأيام » أنه كان يتصور أن للعلم بحرا له وجود سيلقى بنفسه فيــه •

ولا يستطيع أحد أن يحكم على الحب أو الكراهية • لكن من بعيد أعتقد أن طه حسين لم يكره الأزهر ، بل أحبه وأحب اصلاحه • والمؤلم أنه عندما أقيم الاحتفال الأخير فى الأزهر لم يذكر اســم طه حسين كأحد الخريجين •

❋ من أين جاءت هذه المواقف للازهريين من طه حسين ؟

— طه حسين رفض طريقة الأزهر فى التعليم كما كانت فى عهده ، وكان واضحا جدا فى هذا وذكر بعض الأمثلة التى كان فيها انتقاد شديد مما أحرج البعض •

❋❋ لم يحدث أن آثار كتاب الخلاف فى الرأى مثلما آثار

كتاب طه حسين « فى الشعر الجاهلى » الذى أعاد طبعه بعد عام بعنوان « فى الأدب الجاهلى » .

بدأ الدكتور محمد حسن الزيات الحديث عن كتاب « فى الشعر الجاهلى » قائلا :

— الكلام عن كتاب « فى الشعر الجاهلى » هو كلام عن الاسلوب العلمى . فمن الأساليب العلمية الاسلامية النظر فى كل شىء بغير تأثر برأى سابق أو عقيدة سابقة . وهذا ما فعله طه حسين وأثار الناس فى ذلك الوقت . لكن لو نظرنا الآن الى جميع الجامعات ومعاهد الدراسات فى مصر وفى العالم العربى كله . بل وفى الجامعات الأجنبية التى تدرس اللغة والثقافة العربية والاسلامية . وسألنا أنفسنا وباخلاص : هل يوجد باحث واحد لم يستفد من كتاب « فى الأدب الجاهلى » ؟ لكانت الاجابة بالقطع لا . الى درجة أنه فى « العام الماضى صدرت من الكتاب الطبعة التاسعة عشرة »(*) . فما زال الناس يقرأونه ويحتاجون إليه . بالتأكيد لا يقرأه العامة على « البلاج » . وانما يقرأه من يستفيد منه فى أبحاث سواء من حيث المنهج أو من حيث الأفكار التى جاءت فيه .

وهذا ينطبق على كتاب آخر نشره وهو ما زال شابا فى سن الخامسة والعشرين ، وهو كتاب « مع أبى العلاء » الذى ما زال حتى اليوم مقروءا ومدروسا .

. . . .

. . . .

* قيل بعد هذا أن تأليف د. طه حسين لكتبه الاسلامية المعروفة كان أقرب الى درء الشبهات بعد كتابه « فى الشعر الجاهلى » .

(*) العام ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٢ م

ـــ هذا كلام لا يقبل • ترجع مرة أخرى للغة العربية و « لغرام » دكتور طه حسين بها حيث كلمة « حب » لا تكفى •

أولا : أن طه حسين قال أنها لغة حية صالحة للعصر الذى نعيش فيه وأعطى لنا دليل صلاحيتها للعصر باستعمالها فى فنون الأدب المختلفة • فكان عنده أدب المقالة • ثم فكر فى أدب القصص • ثم فكر فى أدب البحث التاريخى • ثم فى فن جديد من فنون الأدب مثـــل « جنة الشوك » الذى يقول فى مقدمته : انه قاصد متعمد يحاول تطويع جميع فنون الأدب اللغة العربية لجميع فنون الأدب ، ومن الفنون التى تناولها ، فن السيرة ، بدأها بسيرته الذاتية « الأيام » • ثم سيرة الرسول ﷺ فى « على هامش السيرة » وامتد بذلك الى سيرة عثمان بن عفان ، وسيرة على بن أبى طالب • وكان عنده مخطط أن يكون كتاب « الفتنة الكبرى » أربعة أجزاء وليس جزأين •

إذن هو كان يريد أن ينشىء أدبا عربيا فى السيرة • ثم لا يسأل المؤلف أو الأديب أو الموسيقى عما جعله يؤلف قطعة موسيقية بذاتها •

* البعض يتهم طه حسين بأن دعوته الى أن يكون التعليم كالماء والهواء قد أدت الى نتائج سيئة فما رأيك فى هذا الاتهام ؟

ـــ رأى طه حسين فى التعليم هو ركيزة حياته • فهو فقد بصره لأن من حوله لم يكونوا متعلمين • ونشأ فى بلد محتل من أجنبى وفى رأيه أن أهل هذا البلد لو كانوا متعلمين لرفضوا الاحتلال وعملوا على ازالته • كانت الأمراض منتشرة والوباء منتشرا والناس يموتون مثلما مات شقيقه بالكوليرا • والسبب أن الناس غير متعلمين • فعدم التعليم أدى الى ضياع بصره وحياة أخيه واستقلال بلده وعـــدم التعليم أيضا جعل الناس يتحدثون عن الاســـلام والدين بشـــكل خرافى مثلما الحال فى البيئة التى نشأ فيها •

منذ البداية قال لا صلاح لكل هذا إلا بالتعليم • وأن عقول الناس لن تصح إلا بالتعليم • ولن تصح الحياة الاجتماعية للبشر ويتساوى الناس فى الحقوق والواجبات إلا بالتعليم ولن تصح الحياة السياسية لأمة وتطرد الاحتلال وتطلب الاستقلال وتضطلع بشئون نفسها إلا بالتعليم • بل ان الديموقراطية لن يكون لها معنى إلا اذا كانت ديموقراطية المتعلمين • فإن يمارس مواطن الانتخاب معناه أن يفكر ويستعمل عقله وكفاءاته الذهنية • كيف يكون له ذلك وهو غير متعلم ؟ بدون التعليم تصبح الديموقراطية خرافة وسخرية فمحاولة الوصول الى طلب العلم كانت عقيدة طه حسين • لكن هل يحصل على هذا العلم ناس معينون دون آخرين •

منذ أيام كنت أسير فى الشارع جاء شخص وصافحنى • وقال لى الناس يقولون أن طه حسين جعل التعليم مهزلة وفى رأيى أن هذا غير صحيح • ففى وقت من الأوقات لم نكن نملك المال • وكنت فى الطابور فى المدرسة ونادوا على اسمى مع آخرين كى نترك المدرسة لأننا لا نملك المصروفات • هذه حادثة لا يمكن أن أنساها بما فيها من اذلال نفسى وعقلى • ثم أضاف : لو لم يكن طه حسين لما استطاع أبى أن يجعلنى أحصل على شهادة المدرسة الثانوية ثم الجامعية •

ويستطرد الزيات قائلا : فى كلية الآداب وضع طه حسين نظاما أسماه « نظام الامتياز » • فى هذا النظام كان الطالب المتفوق فى الصف الثالث يلتحق بقسم « الامتياز » وليس بالقسم العادى • فى هذا القسم يدرس مادة لاتينية ومادتين آخرين • فيصبح مميزا عن زملائه الآخرن • ثم يحصل كل منهما على « الليسانس » لكن هذا « ليسانس » ممتاز وهذا « ليسانس » عادى • اذن هو يعرف أن هناك شخصا ممتازا وآخر عاديا • ويعلم أن النتائج ليست متصلة دائما بالبداية • وانه عند زرع عشرين شجرة فى أرض عادية مع

وجود كمية الرى نفسها وتعرض الشجر الشمس نفسها ستنمو واحدة طويلة وأخرى قصيرة ، شجرة مستقيمة وشجرة غير مستقيمة • وكذلك الانسان • لكن من حق كل الناس أن تبدأ بداية واحدة • فى السباق فى أى مكان هناك خط يبدأ منه الجميع • الى أين ينتهى كل شخص ؟ هذه مسألة متعلقة بما فيه من صفات • منهم الجاد ومنهم غير الجاد • منهم المثابر ومنهم غير المثابر • ولا يستطيع انسان أن يتحكم فى النتائج • لكن المهم أن يبدأ الجميع بفرص متماثلة •

* اذن طه حسين كان يدعو الى تكافؤ الفرص ؟

ــ فى مناقشة لطه حسين مع وزير المعارف « أحمد نجيب الهلالى » وردت عبارة « تكافؤ الفرص » • هذه العبارة لخصت الفكرة • وهى ضرورة أن يبدأ الجميع بفرص متكافئة • وأن يواصل كل شخص بعد هذا بمجهوده وبطبيعته • فلا يخرج الانسان ويجد نفسه نجارا ، لأن والده نجار • طه حسين يريد أن يكون النجار متعلما والسائق متعلما والانسان فى كل مهنة متعلما •

ولطه حسين قصة يرويها عن مصطفى النحاس باشا مع الأمير محمد على ولى عهد مصر فى أيام الملك فاروق • فقد عاد الأمير محمد على من أوروبا وزاره مصطفى النحاس رئيس الوزراء وقتها لتهنئته بسلامة العودة • فسأله ما الذى سمعته عن رغبة طه حسين فى أن يتعلم كل الناس ؟ فقال له مصطفى النحاس خير يا سمو الأمير • فقال محمد على : لو حدث هذا فمن الذى يخدمنى هنا فى القصر ؟ فرد النحاس باشا ، هل كانت الخدمة فى أوروبا جيدة ؟ قال : كانت الخدمة ممتازة • أتمنى أن يصبح لدينا خدمة مثلها فقال : الذين كانوا يخدمونك فى أوروبا هم من المتعلمين • وهذا ما سيحدث فى مصر أيضا •

معنى هذا أن طه حسين لم يكن يريد أن يجعل المجتمع المصرى

كله شكلا واحدا أو لونا واحدا • وانما أن يكون مجتمعا حيا تتفاعل فيه كل الكفاءات • فمن لديه هواية الغناء يصبح مغنيا • ولا نقول له لا ، يجب أن تكون مثل كل الناس • المهم أن يبدأ الجميع من فرص متكافئة ثم يتفرعون فى حياتهم بعد هذا الى الفـــروع التى يريدونها والتى يجيدونها • ولم يكن رأى طه حســـين أن يدخل الجميـــع الجامعة • لكنه لم يكن يريد حرمان أحد من دخول الجامعة بحجة أنه لا يملك المال أو انه ليست لديه الوساطة • فكان يريد أن يتمتع كل مواطن بالفرصة المتكافئة نفسها مع الآخرين •

نحن الآن فى الطريق الوسط • فكل شخص تعلم الآن أصبح محفورا فى ذهنه أن العلم يساوى شهادة • والشهادة تساوى الوظيفة والمركز الاجتماعى فى الحياة • هذا ما كان موجودا أيام الانجليز • فالذى كان يحدث فى ذلك الوقت هو أن الشخص طالما التحق بالتعليم اذن فلقد انتقل من طائفة الفلاحين الى طائفة الأفندية • ثم يحصل على الشهادة الكبيرة التى يصبح بها جزءا من المجتمع الحاكم • هذا هو الحال فى الماضى • لكن هل التعليم الآن يؤدى الى أن يترك الانسان الطبقة التى كان ينتمى اليها ويدخل طبقة أخرى • هـــذا كلام انتهى • من يشكو الآن فان شكواه هى من شكل انتقالى • وبعد فترة فان من يحصل على « الليسانس » أو الدكتوراه سيحصل عليها من أجل راحته النفسية والعلمية وليس راحته المادية وينطلق بعد هذا فى العمل الذى يريد سواء تجارة أو حتى سباكة أو أى مهنة أخـــرى •

فالتعليم لم يعد جواز السفر من طبقة فى المجتمع الى طبقـــة أخرى • ولم يعد ميزة الحاكم عن المحكوم الذى ينبغى أن يبقى جاهلا حتى يبقى محكوما لأن التعليم لم يعد رخصة يعطيها الانجليز لمن يشاركون فى حكم الجهلاء الذين يجب أن يبقوا جهلاء • فهذا أمر غير مقبول مصريا وانسانيا • فالعلم الذى طلبه طه حســـين

للمجتمع لم يطلبه كى يجعل كل المجتمع حكاما ، بل طلبه لكى يكون المجتمع حكاما ومحكومين متعلمين ، أى عادلين الأن العلم يدعـو للعدل ، فلا يجعل المظلوم مظلوما لأنه جاهل ، ولا يجعل الظالم ظالما الأنه عالم ، وانما يجعل كل من الحاكم والمحكوم متمتعا بالعلم وقادرا على الحياة والتعاون بكرامة العلماء .

* يقال ان هذه الدعوة جعلت التعليم ضحلا أو متخلفا ؟

ـ كل أب فى الدنيا يقول لأبنائه ان أيامه كانت أفضل من أيامهم . الانسان ينسى دائما ويظن أن تعليمه كان أفضل ممن جاء بعده وهذا غير صحيح . فالأطفال الصغار الآن يدرسون علوما لم نكن نعرفها نحن . وحتى لو كان التعليم قد أصبح ضحلا ولابد من الدروس الخصوصية . فهل هذا هو ذنب طه حسين . لقد طلب طه حسين أن يكون التعليم كالماء والهواء . فهل ذنبه أن الهواء قد صار فاسدا والماء صار ملوثا . هو طلب الماء الصافى والهواء النقى .

المرأة فى الجامعة لأول مرة

* هل كان طه حسين متهما أيضا بالبدء فى تعليم المرأة فى الجامعـــة ؟

ـ طه حسين كان مسلما وفقهيا بالقرآن أكثر من خصومه . وأى قارىء للقرآن يجد المذكر والمؤنث مكررا فيه باستمرار . المسلمون والمسلمات . المؤمنون والمؤمنات . رغم انه اذا وجد المذكر والمؤنث فان التعبير بالمذكر يكفى . وهذا ما استعمله طه حسين لدخول الفتاة الجامعة ، حيث قال أن كلمة يدخلها « المصرى » معناها المصرى والمصرية لأن النحو العربى يجعل جمع المؤنث على جمع المذكـــر يكفى فيه جمع المذكر .

لكن القرآن حتى مع وجود ذلك كان يكرر ذكر (المســلمون

والمسلمات) • وطه حسين الذى كان يؤمن بالتعليم كان يؤمن انه لا يجب أن تبدأ تربية الطفل على يد سيدة جاهلة • والأم هى المثل الأعلى للطفل • والمرأة هى نصف المجتمع • وعدم تعليم المرأة معناه تعطيل ٥٠٪ من المجتمع المصرى وكان يرى أن المرأة لابد أن تتعلم وتصل فى العلم الى أقصى ما تسـمح لها به امكانياتها • فتكافؤ الفرص لا يكون بين الذكور فقط •• وانما بين الانسان بشكل عام •

فى الماضى كانوا يعتقدون أن الجامعة لا تتعدد فتكون فى مصر جامعة واحدة فى القاهرة • لكن طه حسين أنشأ الجامعات الاقليمية فى الاسكندرية وأسيوط وعين شمس • وكان ادخال طه حسين ومعه لطفى السيد وزملائه الفتاة المصرية الى الجامعة المصرية ثورة كاملة •

وأصبح تأثير طه حسين أبقى على الزمن من حياة طه حسين نفسه • ففى وقتنا هذا تقام جامعة فى الامارات دون تفكير فى طه حسـين ، فى حين لم يكن من الممكن انشاؤها قبل طه حسين • ولو انشأوها لما ادخلوا فيها أية فتاة لكنى الآن عندما زرت جامعـة « العين » فى الامارات وجدت الفتيات فى الجامعة • اذن هذا العمل كان الحبة الصالحة التى تنبت سنبلة •

* * *

وفــاة طــه حســـين

يقــول الدكتور الزيات :

فى فجر اليوم الثامن والعشرين من شهر اكتوبر عام ١٩٧٣ بتوقيت نيويورك طلبنى مدير مكتبى فى وزارة الخارجية بالقاهرة السفير محمد شكرى لينعى الى د. طه حسين ..

كنا فى اليــوم الثانى والعشرين من أيام الصراع العســكرى والسياسى الذى بدأ فى السادس من أكتوبر ، العاشر من رمضان ، وكان مطار القاهرة مغلقا أمام طائرات المدنيين ولكن القاهرة أبلغتنى أن طائرة عسكرية مصرية ستنتظرنى فى مطار روما فركبناها ولم يكن فيها من الركاب سواى أنا وزوجتى وابنتى « منى » ..

وتحركت الطائرة ثم حلقت وأرسلت البصر من نافذتها الى حقول ايطاليا جرداء بعد موسم الحصاد ، والى جبالها وقد أبيضت قممها بعد ابتداء موسم الثلوج ثم لم أعد أرى وقد أصبحنا فى سماء البحر الأبيض المتوسط ، سوى الماء والسحاب فأغلقت عينى استدعى اليهما النوم دون أن يستجيب وتزاحمت على جفنى المغلقين خواطر الحرب والسلام وفقد واحد من أعز الناس ..

ورحت أتذكر تلك الرحلة التى بدأتها فى أول الصيف بالقاهرة وانتهت الى بكين ، وزرت فيها موسكو وبلجراد ولندن وفيينا وباريس ثم بنيويورك ، فى جهاد للوصول الى العدل أساسا للسلام الكامل الذى لن يدوم السلام على أساس سواه وأرى هذه الرحلة بما صاحبها من صراع تقارب الآن نهايتها واتساءل كيف يكون الختام .. ؟

وتتزاحم على جفنى المغلقين فى نفس الوقت صورة من حياة الرجل الذى ينتظر جثمانه فى أحد مستشفيات القاهرة وصــولنا

لتشييعه الى مثواه الأخير والذى حرمتنى هذه الرحلة من أن أراه قبل النهاية المحتومة •• وقلت « انا لله وانا اليه راجعون » ••

وتذكرت كيف ذهبت أودعه فى غرفة نومه قبل سفره الى ايطاليا فى أول الصيف واعتذر عن مصاحبته لوداعه بالاسكندرية كعادة كل عام لانشغالى ••

عـدد الجامعيين

قال لى : ماذا يشغلك وماذا يفعل وزير الخارجية فى القاهرة ؟ ماذا يفعل كل المسئولين فى مصر ؟ وفى العالم العربى ، وقد مضى على احتلال أراضينا سبعة أعوام ؟ •

قلت : ان القاهرة تردد بيت الشعر الذى تعلمته أنا منك وهو : « ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم » فسكت لحظة وارتفعت هامته وسأل فى جد شديد ، واذن لا نسافر هذا الصيف قلت : بل نسافر فى حفظ الله ، وتعود مستريح الجسم مطمئن النفس والضمير •

وساد صمت قطعه بالسؤال عن عدد الجامعيين الذين تـم تجنيدهم فى القوات المصرية المسلحة ••

وفى الثالث من أكتوبر عام ١٩٧٣ وصلت الباخرة « اسبيريا » الى الاسكندرية تحمل طه حسين وزوجته عائدين من رحلة الصيف ، وفى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ عرف طه حسين أن جيش مصر قد تحدى ما جمع العدو له من قوة لترهبه وتقهره وتضطره الى ذل الاستسلام وأن جيش سوريا يقوم بنفس التحدى ••

ولست أشك فى أن طه حسين قد تخيل الجيش المناضل وهو يضم الشباب المتعلم الذى سبق أن سأل عن عدده ، تخيله يحارب وهو يدرك لماذا يحارب وبماذا يحارب ولم يحارب •• لست أشك فى انه تخيل من بينهم شباب جامعته الأولى ، جامعة الأزهر ، وشباب

جامعته الثانية جامعة القاهرة ثم شباب الجامعات التى أنشأها هو ، جامعة الاسكندرية وجامعة عين شمس وجامعة أسيوط تخيل شباب هذه الجامعات يحاربون الى جانب اخوانهم الذين لم يحصلوا على ما حصلوا عليه هم من التعليم ، ولكنهم يساوونهم فى الاخـــلاص والعزيمة والتصميم ..

فمنذ سمع طه حسين بشاعة مصرع زميله أحمد ضيف فى الحرب العالمية الأولى ، التى لم يكن لمصر فيها ناقة ولا جمل ، ومنذ قتل ابن أخته فى الحرب العالمية الثانية ولم تكن مصر عند ذاك طرفا فيها ، وطه حسين يسأل نفسه ألن تحارب مصر دفاعا عن نفسها هى ، ولخلاصها هى ؟ ولقد كان يدرك مع ذلك أن للحرب ضحايا من البشر ويعرف آلام الامهات الثكالى وجزع الآباء واليتامى .. وهو لا شك قد تساءل هل يستطيع الانسان يوما أن يتغلب على نفسه فيردها عن العنف ويروضها على الايمان بالقانون ويعلمها أن تحترم ما تلوكه ألسنتها من عبارات ميثاق الامم المتحدة ..

* سألته : هل كان طه حسين يؤمن بدور الأمم المتحـــدة أو بميثاقهـــا ؟

— قال : لقد آمن هو بهذا الميثاق ، قبل أن تحـــرر وتعلن نصوصه فقد كتب نصوصا مشابهةفى خطاب الكتاب المصريين الى نادى القلم الدولى اعلانا لموقفهم أثناء الحرب العالمية الثانية ولرؤيتهم لعالم ما بعد تلك الحرب .

ولكنه كان يشك دائما فى قدرة الدول على أن تعيش بهـــذا الميثاق وطبقا لأحكامه ، وأدرك دائما .. أن القوة تغرى بالعدوان فلا يكد العنف الا العنف ، ولابد أن تمضى سنوات وسنوات وأن تقع الكوارث بعد الكوارث حتى تبلغ الانسانية مرحلة الرشاد .

* * *

جائزة حقوق الانســان

* وماذا عن الجائزة التى منحتها له المنظمة الدولية ؟

ــ كنت أجلس فى مقعدى بالجمعية العامة للامم المتحدة عندما أقبل الاستاذ عمرو موسى ليخبرنى أن الامم المتحدة قد اختارت طه حسين بين العشرة الذين ستمنحهم المنظمة الدولية جائزة حقوق الانسان ذلك العام ، وأن رئيس الجمعية العامة سيبرق اليه يهنئه بالجائزة ويرجوه الحضور الى نيويورك فى شهر ديسمبر ١٩٧٣ ليتسلمها بنفسه •• وقد وصلت البرقية فقرأتها السيدة « سوزان » عليه وهو فى الرمق الأخير ، وكانت ابتسامته الخفيفة هى آخر حركة له قبل أن يلبى نداء مولاه •

* نعود للحديث عن وفاة العميد ؟

ــ نعم •• فى « رامتان » فى الدار التى خلت من صاحبها ، استقبلت الاستاذ يوسف السباعى وزير الثقافة والدكتور صوفى أبو طالب وكيل جامعة القاهرة فى ذلك الوقت •• وكان يوسف السباعى يرى أن يبدأ تشييع الجنازة من جامع عمر مكرم حيث توجد الجماهير التى يمكن أن تشارك فى تشييع جنازة الدكتور طه حسين ، ولكنى كنت أفضل أن يبدأ تشييع الجنازة من بيته الذى أحبه ، من جامعة القاهرة •

وبالفعل •• وافقنى يوسف السباعى على هذا الرأى •• وتجمع المشيعون فى قاعة الاحتفالات الكبرى فى جامعة القاهرة حيث لم يكن بها موضع لقدم ، وتحرك موكب الجنازة يتقدمه نائبا رئيس الجمهورية السيد حسين الشافعى والدكتور محمود فوزى ومؤنس طه حسين الذى عاد من باريس رغم صعوبة المواصلات •• والى جانبهم ومن خلفهم رجال الدولة وممثلو الدول الأجنبية وأساتذة الجامعات المصريون وغيرهم ، ورجال القلم والاعلام والطلاب من تلاميذه ومريديه ••

مظاهرة شـــعبية

ولم يكد الموكب يخرج من حرم الجامعة حتى انضمت اليه جماهير الشعب ألوفا مؤلفة اكتظت بهم الشوارع من أول بـــاب الجامعة وفوق كوبرى الجامعة حتى مسجد صلاح الدين حيث كان سيتم الصلاة على الجثمان ، ولقد تحولت جنازة العميد الى مظاهرة وطنية شعبية عارمة تضج بالهتاف لمصر •

لقد سمعت أحد البسطاء من أبناء الشعب المصرى العريق يقول لولده وهما يشاركان فى تشييع الجنازة : « أنت ـــ يا بنى ـــ تبكى طه حسين لأنك تعلمت منه وقرأت له وسمعت أحاديثه فى الاذاعة » •• أما أنا يابنى فلم أتعلم من طه حسين ، ولم أقرأ كتبه ولم أسمعه يتحدث فى الاذاعة الا نادرا ومصادرة •• ولكنى أشعر انه أقرب الى قلبى من أبى بل أنا أقرب اليه من أى أحد •• ثم ينخرط فى البكاء ويقول لولده :

« ان طه حسين هو الذى مكننى منذ ثلاثة وعشرين عاما ـــ من تعليمك وهذا أنت قد حققت لنفسك ولاسرتك من الثقافة والكرامة والخير ما حققت » ••

« أبكيه ـــ يابنى لأن الله تعالى أكرمه بالعلم فلم ينس محاربة الجهل وأغناه فلم ينس المعوزين ، وأسعده فلم ينس من الأرض من المعذبين » •

❋ وماذا عن كتابك « ما بعـــد الأيام » ؟

ـــ فى مقدمة « ما بعد الأيام » تجد اننى أعرض لذلك اللقاء الأول بينى وبين د• طه حسين فى صيف عام ١٩٣٤ وكذلك لقـــائى الأخير به فى خريف ١٩٧٣ وبين هاتين المرتين تسعة وثلاثون عاما

راقبت فيها كفاحه الطويل الذى حاولت أن أسجل صورا منه فى هذه الفصـــول •

لقد لجأ تاليه فى عام ١٩٣٤ وأنا على عتبة الحياة الجامعية ، أعانى ما يعانيه الشباب فى تلك السن من حيرة وقلق ، ورأيته آخر مرة فى خريف ١٩٧٣ وأنا وزير لخارجية مصر أعانى ما كانت شعوب العرب تعانيه من الأسى والضيق والغضب الشديد •

فى المرة الأولى تركت طه حسين وقد ألقى فى نفسى الســـكينة وملأ قلبى بالأمل والطموح وأنار لى طريق المستقبل بحديثه عما يجدر بالشباب أن يتطلع إليه من غايات تتجاوز مطامع الناس عادة فى اتساع الرزق وارتفاع الجاه •

وشهدته فى المرة الأخيرة راسخ العقيدة فى أن النصر مكتوب لمن آكن بحقه وبنفسه وجاهد جهاد الصادقين المخلصين ليخلص أمته مما أخضعت له من القيود ، وليستخلص لها حقها من غاصبيه •

الضـــمير المنشـــغل

تركته فى مقابلتى الأولى له خلف مكتبه فى جريدة « الوادى » جلس مهيبا مرتفع الرأس ، لضحكته العريضة فى الغرفة رنين وصدى وانى لأعلم الآن أن الذى ألقى فى نفسى السكينة وملأ قلبى بالأمل وأنار لى طريق المستقبل كان فى ذلك الوقت نفسه « يستقبل الحزن مع ضوء الشمس ويعتشره طوال النهار ، ثم يستقبل الهم مع ظلمة الليل ، ويقضى معه ساعات الاحلام ، يضطرب بين بيت حزين وبين دار للعمل — هى دار جريدة الوادى — يريد اليأس أن يتخذها مسكنا ومستقرا ، لا يعرف كيف المخرج ويكاد يستسلم لكيد الكائدين ومكر الماكرين ، وعندما تركته آخر مرة فى غرفة نومه فى خريف سنة ١٩٧٣ كان المرض قد ألح على جسمه فأضعفه وأضناه ، ولكنه

كان مشغول الضمير بأزمة بلاده ، مهموما بهموم شعبه ، قــوى الثقة والايمان بأن العدوان لابد مهزوم •

تسعة وثلاثون عاماً عرفت فيها طه حسين ، رأيته يناضل طوالها لغايتين ، لا يرضى حتى يصل اليهما ويصل اليهما معه كل الناس ، الغاية الأولى هى الحرية وهى عنده أساس الكرامة والمسئولية للامة والفرد ، والغاية الثانية هى العلم — وهو عنده أساس النهضة فى ميدان الثقافة وميدان السياسة وميدان الاجتماع وميدان الاقتصاد — فى غرفة نومه ، فى صيف ١٩٧٣ كان يسألنى عن عدد متخرجى الجامعات الذين انضموا الى زملائهم المجندين فى جيش مصر لأنه — فيما يظهر — كان يرى أن العلم هو أساس النهضة العسكرية أيضــا ••

طه حسين فارقت روحه جسده عندما فارق اليأس روح مصر ولم تفارق جسده الروح ، كما قال توفيق الحكيم ، حتى فارق اليأس روح مصر حتى اقتحم شباب مصر ما أقيم فى وجه بلاده من عقبــات ••

اختار الله طه حسين الى جواره فى الثامن والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ ولنا فى ذلك الوقت شباب محارب فى الصحراء ، سمعوا نعيه وهم لا يزالون يرابطون فى خنادق سيناء ، فكتب واحد منهم وهو المقاتل « عبد الصبور منير » أبياتا الى طه حسين من سيناء يقول فيهــا :

بــين يــدى والصــــدر
تقول قطعــة الســـــلاح
ان الذى علمها الكفــاح
يستشــهد اليــوم هنــاك

وهكذا يرى المقاتل عبد الصبور منير أن « العالم الضرير » الذى كان قد لزم بيته قبل حرب أكتوبر بسنوات ، هو الذى علم الكفاح لقطعة السلاح ..

كما يرى انه هو الذى كان جديرا أن يبارك ما قامت به أيدى المحاربين من حمل للسلاح وما كانت تضمره قلوبهم من العمل بعد النصر لاعادة بناء البلاد .. يقول عبد الصبور منير : « ان كل شىء فى سماء الوطن الجميل ، محمل بما منح طه حسين الجيـــل من الأصالة والعزة والفكر » واذا كان طه حسين أعطى لبلده هذا العطاء ، فان قصة حياته نفسها كانت أيضا من أجمل ما خلف لهذا الجيل من أجيال العرب ولمن يليه من الأجيال لما فيها من مثل عليا تحتذى فى تحدى أصعب العقبات وتحقيق أبعد الأهداف .

* قلت له : كيف يمكن للشعوب العربية أن تستفيد من تجربة غنية مثل تجربة طه حسين ؟

ـــ قال : بمناسبة هذا الكلام احب أن أذكر على أن العلاقة بين مصر والعرب لا يمكن على الاطلاق تجاهلها ونستطيع أن نلقى نظرة عامة على العالم نجد أن قوى هذا العالم جميعها تبدأ بحرف « يو » ومعنى ذلك أنها اتحادات تتكـــون من مجموعات صغيرة مثلا لو كان هناك لولاية « كاليفورنيا الأمريكية » حكومة كاليفورنيا الحرة .. فما قيمتها ؟ القمة هى فى وجود اتحاد هـــو « الولايات المتحـــدة الأميريكية » وهذا ما ينطبق على الاتحاد السوفييتى كذلك ..

نحن فى عالم تتحد فيه المجموعات الكبرى وهذا حال المجتمع الدولى ـــ يبدأ من العائلة نفسها ثم القطر الواحد ولابد أن تجتمع كل الاتجاهات التى لها القدرة على أن تتعامل معا .

بيـــــــان

اذكر فى عام ١٩٧١ أن تقدم الرئيس الاميركى نيكسون الى الكونجرس ببيان عن الحـالة الدولية •• وتحت عنـوان الشرق الأوسط ــ ولاحظ أن هذه التسمية كان يقصد بها المجموعة العربية •• أكد نيكسون على أن دولها أصبح لديها رأس المال الكافى للتنميــة والعناصر البشرية القادرة على العمل ، كما أكد فى التقرير الذى قدمه الى الكونجرس على انه باجتماع هذين العنصرين الجديرين ــ ترتفع هذه المنطقة من منطقة الدول النامية الى منطقة الدول المتقدمة ••

كـلام نظـــــرى

ولكن هذا الكلام كان نظريا •• إذ تصـــور الرئيس نيكسون انه يمكن أن يتحقق التكامل والتكافل فى المنطقة أو تصور مستشارو الرئيس فى ذلك الوقت أن هذه المنطقة ما دامت توجد مساحة تجمعها يمكن أن تتكافل وأن لديها العناصر الكافية للخروج من دائرة الدول النامية وهذا لم يحدث لأن التكافل مثل التكامل لم يتحقق ، الأمـــر الذى يرتبط بالثقافة حيث تبدو مستويات التعليم فى الواقع ليست متساوية أو متكافئة أو متناسقة ••

والتعليم هو أساس النهضة كما أكد على ذلك طه حسين •• اذن لكى نستفيد من تجربة طه حسين لابد أن توجد لدينا كعرب مياه واحدة فى النمو الثقافى والنمو الاقتصادى معا •• ولابد أن نتطلع جميعا الى الوقت الذى تتكافأ فيه تلك المياه ويصبح فيه التجمع ضرورة لازمة يمليها علينا الواقع وليس التاريخ فقط •

ولو أردنا أن يكون لنا مستقبل فلا بديل من أن يكون لنا نفس تصور الرئيس الاميركى نيكسون عام ١٩٧١ بشرط استعمال خير المنطقة واستعمال القدرات البشرية فيها لصالحها وبالتالى نستطيع أن نتعامل مع باقى دول العالم على قدم المساواة ••

هذا الكلام ذكرته من عام وأعلنته وأذكره الآن وأؤكد عليه •• وعلينا وكما ذكرت كثيرا فى أكثر من مناسبة أن نعى ذلك فى عالمنا العربى وأن نصل الى هذا المعنى •• وأنا أثق جدا من أن طريقنا هو هذا الطريق مهما كانت الظروف والتيارات ، فلابد أن ينتهى بنا الحال الى اتحاد وتجمع كلمة العرب فى أى وقت من الأوقات •• وبأى شكل من الأشكال •• والأمل عظيم وكبير فى عودة وحدة العرب واتحاد كلمتهم ومواقفهم وبتماسك هذه المواقف •

حرب أهلية

* وماذا عن دور الجامعة العربية فى هذه المسألة •• ؟

ـــ صمت قليلا ثم قال : تصور اننى جئت من أفريقيا أو استراليا وعرفت أن الجامعة العربية تجتمع الآن لكى تنظر مثلا فى حرب الخليج ـــ كمثال ـــ سأنظر الى اللافتات الموجودة على مقاعد أعضاء الجامعة ـــ سنرى لافتة باسم ليبيا ، وحين أتأمل موقف ليبيا سأجد أن هذه الدولة تتعاون مع ايران فى هذه الحرب وسأجد لافتة أخرى باسم الاردن كمثال أيضا ـــ وأعرف انها تتعاون مع العراق وايران والعراق متحاربتان معنى ذلك وجود حرب أهلية فى داخل جامعة الدول العربية •• فكيف ولماذا اذن توجد جامعة عربية مع وجود هذه الحرب الأهلية بداخلها •• ؟ ومن يسمح بوجودها وكيف يمكن أن يستمر ذلك ؟

الجامعة العربية ومنذ بدايتها عرفنا انه لابد أن تكون قراراتها بالاجماع وبالتالى أعطى حق « الفيتو » لكل دولة عضو بها سواء كانت دولة كبيرة أو صغيرة وهذا الشىء كان يبدو معقولا عندما كان من الممكن أن يقتنع الناس ونحن نتحدث عن الصالح العام للعرب وأن الضرر أو الألم لا يصيب دولة لوحدها ، بل والعرب جميعهم فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ العرب المتحاربون لم يستغلوا منافعها وحدهم ، بالمقابل فضرر حرب ١٩٦٧ لم يقتصر على الخاسرين وحينما نصل

الى ذلك يتحتم تقدم الوعى ، وتقدم العلم الذى نادى به الدكتور طه حسين وتطبيقه فى كل عالمنا العربى ..

وعلينا أن نعرف ما اذا كانت الجامعةالعربية قد جاءت بخير أم لا ؟ علينا أن ٠أخذ بداية استقلال الدول العربية .. فكم كان عدد أعضاء الجامعة الأول مرة وكم العدد الآن ؟ ســنجد أنه توجــد حركة — وميثاق الجامعة العربية وضع أساسا باعتماد مبدأ التوافق حتى لا يحدث اختلاف بين الحكومات ..

ولا يستطيع أحد أن ينكر فضل الجامعة العربية وميثاق هذه الجامعة الذى وضع قبل ميثاق الامم المتحدة وفى لحظة انصهرت فيه مواد الميثاق ووقفت كهيكل متكامل .. أما ميثاق الامم المتحدة فقد ظهر ووضع بعد الحرب وانصهرت فيه مواده واذا أردنا أن نعدل حرفا من ميثاق الأمم المتحدة فسيسقط الميثاق كله والأمر نفسه ينطبق على ميثاق الجامعة العربية ..

حقيقة سياســية

السؤال هو كيف نتعايش مع ميثاق الجامعة العربية ؟

هذه مسألة تكنيكية ومسألة الاجماع تتضمن حقائق سياسية فكيف مثلا تجبر دولة عربية على أن تنفذ ما يريده غيرها من الدول .. تصور مثلا أن قرارا قد صدر يلزم الدول العربية بقطع العلاقات مع جنوب افريقيا — فكيف يكون الحال لو رفضت احدى الدول العربية تنفيذ هذا القرار ؟

هل يكون الحل هو اخراجها من الجامعة العربية ؟

فى ميثاق الامم المتحدة يوجد « الباب السابع » الذى يحدد كيفية التعامل مع أى دولة عندما تخرج عن قرار أو رأى الامم المتحدة ؟ وهو مقاطعة اقتصادية لاجبارها فورا على الانصياع للقرار — وربما بالقوة التى يمكن أن تتشكل من جيوش الدول الخمس الكبرى الموقعة على الميثاق ولكن العالم كله عجز عن تنفيذ قرارات الامم المتحدة بالقوة — وأعتقد أن العالم العربى سيعجز عن اخضاع أية دولة لا تريد الموافقة أو الانصياع لقرار المجموعة العربية ومن الضرورى أن يكون الاجماع موجودا وأن تكون الحكمة العملية موجودة فى انه لا يمكن أن تخضع دولة بالقوة ما دام لها استقلالها وفى كل الظروف ليس شرط الاجماع هو السبب فى غياب وحدة العرب وانما فى عدم الاجماع نفســه ••

ان عودة مصر الى اجتماعات مؤتمر القمة الاسلامى بالكويت — مثلا — أمر أسعدنا فى حينه ، فالتجمع العربى هو الشىء الحقيقى الذى يجب أن يكون هدف الوطنية العربية نحو مستقبل أفضل ••

وفى اعتقادى أن عودة الأمور الى شكلها الطبيعى داخــل جامعة الدول العربية ، لابد أن ننظر اليه بموضوعية ••

* * *

الباب التاسع



قالوا ..
فى الدكتور الزيّات

وداعا فقيد دمياط ومصر والعالم

الدكتور محمد حسن الزيات(*)

رحل عنا معلم الأجيال الذى أعطانا من بحر علمه الكثير والذى وهبنا حبه وعطفه بقدر لم نأخذه من أحد ..

رحل عنا علم من أعلام مصر عامة ودمياط خاصة قطاعا عرفناه يتغنى بدمياط نحن اليه العالم بأسره من أدناه الى أقصاه ويذكرها بالخير ويتباهى أمام العالم بأنه ابن من أبنائها .. رحل عنا الدكتور الزيات الذى أحبه أديب مصر الكبير المرحوم الدكتور طه حسين خاصة دون أحد وأعطاه قطعة منه تقاسمه الحياة كما لمس فيه من قلب كبير يحب أبناء وطنه .. رحل عنا الرجل الانسان الوالد الحنون استاذنا ومعلمنا وحبيب قلوبنا الدكتور محمد حسن الزيات الذى أعطى دمياط كل حياته والذى أحبها وأحب شعبها حبا عظيما حتى آخر نفس من أنفاسه الذكية الطاهرة . لقد عايشت هذا الرجل الانسان عن قرب ووجدت أن قلبه الكبير ينبض بحب دمياط وأبناءها وكان لا يدخر جهدا أن يتكلم معنا جميعا فى كل لقاء شامخا عظمة تاريخ دمياط وشعبها وفضل دمياط على أبناءها ونسبه تسمية قراها ومدنها وكيفية تعاملنا مع أهلها المحبين للخير المؤمنين دائما بالله سبحانه وتعالى .. رحل عنا الرجل الذى عمل مع المحجوب شهيد مصر وعمل مع حبيبنا جميعا ورأينا من ملائمتهم ميناء دمياط حقيقة رائعة بعد أن كان حلما نحلم به ورأينا منهم جامعة دمياط تولد وتكبر وتعطينا ولأولادنا العلم ، المستشفيات والمدارس وتطوير سنترال دمياط وسائر الخدمات العامة فى كل محافظة دمياط . الأكثر من ذلك بناء الانسان الدمياطى العظيم الذى

(*) الأديب مصطفى الأسمر — عضو اتحاد كتاب مصر .

يقدس العمل من أجل وطنه لقد أحبنا محمد حسن الزيات الانسان الدمياطى الذى اعترف العالم كله به عالما كبيرا ومجاهدا عظيما من أجل قضايا وطنه العربى كله لقد أحبه الله لأن عباده أحبوه واختاره فى شهر الرحمة والمغفرة شهر رمضان الكريم ليكون ضيفه فى جنته ان شاء الله اننا نعاهد روحك الطاهرة يا زيات أن تكون كما أردت لنا أن نكون أبناء مخلصين لوطننا مصر عامة ودمياط خاصـــة وأن نسير على دربك وعلمك الذى تعلمناه من بحر وأعطته لنا راضيا .. فالى رحمة الله وجناته الى أن نلقاك وان لله وأنا اليه راجعون يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبـــادى وادخلى جنتى .

* * *

وترجــل الفــارس ..

محمــد حســن الزيــات

راحـــلا عنـــا ..(*)

ببـالغ الحزن تلقت الأوساط الثقافية والسياسية فى مصـر والعالم العربى رحيل العالم الجليل والسياسى البارز محمد حسن الزيات تغمده الله بوابل رحمته .

والدكتور الزيات كما كان متواضعا فى حياته كان متواضعا فى موته .. فقد كان رحمه الله بعيدا عن المظاهر الاحتفالية بسـيطا فى كل شىء .. فى مظهره وفى حياته وفى حديثه وكأنه قد خرج لتوه من مدينة دمياط . ولكن فى نفس الوقت كان حكيما قوى الحجـة واسع الثقافة والاطلاع ، وعندما يتحدث كنت أظن نفسى أمـام مرجع عظيم يحتفظ بالدليل الوثائقى لكل ما يقوله فى أى مجال من مجالات السياسة والثقافة والأدب والفن .

فى الصيف الماضى قرأ رحمه الله كما قرأت أنا أيضا فى جريدة الأخبار فى شهر يوليو من العام المـاضى بأن جامعة الاسـكندرية ستقيم مهرجانا للاحتفال باليوبيل الذهبى لها وأن الدكتور الزيات سيتسلم جائزة التكريم باسم عميد الأدب العربى الدكتور طـه حسين نظرا لكون الدكتور طه حسين رحمه الله أول مدير لجامعـة الاسكندرية وأن المرحوم الدكتور الزيات زوج ابنه الأديب الكبير الدكتور طه حسين . ورأيت أيضا فى نفس العدد فى الأخبار صورتى واسمى باعتبارى خريج جامعة الاسكندرية ، وأنه سينالنى التكريم

(*) د. عيسى درويش ـــ سفير سوريا بالقاهرة .

من جامعتى الموقرة ، ويرن الهاتف فى المنزل وكانت محدثتى على الطرف الآخر الزميلة الكريمة الدكتورة لوتس عبد الكريم رئيس تحرير مجلة « الشموع » تقول لى : ان الدكتور الزيات يريد السفر الى الاسكندرية ، ما رأيك أن نسافر معا ونصطحب الدكتور الزيات معنـــا ؟

ولم أتردد فالسفر مع الدكتور الزيات متعة لا تعادله متعة .. وبعد قليل كان الدكتور الزيات وأنا فى المقعد الخلفى من السيارة ، وتكرمت الدكتورة لوتس بترك سيارتها لترافقنا مصرة على مرافقة أستاذها الراحل العظيم والاسمتاع لحديثه بالرغم من الآلام التى كان يعانيها فى ساقه واضطراره لملازمة المنزل وحرصه على الحضور وكان كريما ومجاملا مظهرا كل السعادة بمرافقتنا وقد كان محدثا طيلة المسافة وأصدق القول بأننا انتقلنا من روض الى روض فى جنات فكره المتدفق المعطاء .

عندما سألت الدكتور الزيات عن المكان الذى ينزل فيه قال لى بأسلوبه المحبب خذنى معك سأنزل حيث تنزل .. وهكذا رفـــض رحمه الله أن ينزل فى بيوت أقاربه وأصدقائه ومحبيه وهم كثير فى الاسكندرية ، ونزل حيث نزلت فى الفندق .. ولازمتـــه أياما فى الاسكندرية .. شعرت أنها ساعات كان دقيقا فى مواعيده فى الافطار والغداء والعشاء . وكان كريما على بما استمتعت به من حديث فى التاريخ وما مر عليه فى الامم المتحدة فى أيام العرب الصعبة وكذلك ما قابله من ملوك ورؤساء ووزراء وما كتب من كتب ومذكرات . وقد لفت نظرى أن تلامذته من أساتذة جامعة الاسكندرية الذين قابلوه كانوا يحبيونه بكل معانى التقدير والاحترام الذى يقابل بها الاستاذ من تلامذته وزملائه . وكان تواضعه وأدبه وأخلاقه ظاهرة للعيان .. حتى أنهم أصروا على بقائه وأقاموا له الاحتفالات والمحاضرات مما اضطرنى بحكم مشاغلى للعودة الى القاهرة وحدى على أمل اللقاء ..

رحم الله الدكتور الزيات •• فلقد كان يشكو من الوحدة فى آخر أيامه وبعد رحيل زوجته أمينة طه حسين رحمها الله • وكان يقول لى •• أشعر بالضيق لأنى أسكن المنزل فى الزمالك والاولاد يقيمون فى المعادى •• وأريد بيع البيت لأنتقل للعيش معهم •• وكان يتكلم بمزيج من الحب والألم •• كان يريد أن يجمع شمل الاسرة بعد أن شعر باشتداد الحنين الى العواطف التى تعودها من زوجته وأولاده وسرق الزمن والعمل منها ما سرق دفع بها أغلى أيام الحياة سفرا واغترابا فى سبيل الوطن والانسان •

وكما كان يرغب الدكتور الزيات فى أن يمارس حياته من القلم والورق وبعيدا عن الضجيج •• وبدون انذار أو اعلام لأحد •• اختاره قدره أن يرحل عنا بصمت وكأنه أراد أن ينسحب دون أن يكلفنا عناء وداعه ولو بكلمة واحدة أو خطوة نخطوها نحوه قبل الوداع الأخير • فأغمض عينيه راجعا الى بارئه عز وجل •• وقد ترجل عن فرس العمر كما يترجل الفرسان الشجعان ••

رحم الله الدكتور الزيات وألهمنا الصبر لفقده وعوض الله مصر الحبيبة وأهله ومحبيه عنه خير عوض وعظم أجره وأحسن مثواه •• ويا حبذا لو اقيم للفقيد الراحل حفل تأبينى فى القاهرة أو فى مسقط رأسه •• أو فى احدى الجامعات التى درس فيها أو قام بالتدريس فيها •• تكريما وتعظيما لهذه الشخصية العظيمة •

* * *

محمد حسن الزيات

صاحب رؤية سياسية

ونموذج دبلوماسي فريد(*)

كان الدكتور محمد حسن الزيات رجلا واسع الأفق الى أبعد الحدود التى ندركها •• وكان أيضا بعيد النظر الى أبعد مما تدركه أبصار جيلنا من آفاق •• وكان يجمع الى هذين الخلقين اللذين أوشكا على الانقراض قدرتين أخريين انقرضتا بالفعل •• كانت له ذاكرة قوية منظمة الى الحد الذى تحرص فيه على ألا تستوعب المعلومة الجديدة فحسب وإنما تستأذنك دقيقة أخرى لتضعها فى موضعها المناسب من تلافيف الذاكرة فى مخه الكبير •• وكانت له أيضا قدرة رائعة على الالمام بالتفصيلات المتعددة الجوانب المختلفة للقضايا المتشابكة •• فى الموضوع الواحد ••

هذه هى أبرز قدرات هذا الرجل العظيم الذى انتقل الى رحمة ربه سبحانه وتعالى بعد حياة حافلة بالعطاء ، وحافلة بالهدوء النفسى والصفاء النفسى والسعادة النفسية •• ثم أخيرا الرضا النفسى العميق •

أما ملمس هذا الرجل فقد كان عجيبا الى أبعد الحدود الى الحد الذى يصفه خيرا منى الوزير محمد حافظ اسماعيل الذى تزامل معه فى كثير من المواقع طيلة عهدى الرئيسين الراحلين عبد الناصر والسادات حتى توجت هذه الزمالة قبل وأثناء حرب أكتوبر حيث

(*) د• محمد الجوارى •

كان الزيات وزيرا للخارجية وحافظ اسماعيل مستشارا للامن القومى للرئيس السادات .

يقول حافظ اسماعيل فى معرض حديثه عن الدكتور الزيات :
« ولم يكن الدكتور محمد حسن الزيات غريبا على ، فقد التقينا فى مطلع الخمسينات فى واشنطن ، ثم جمعنا ديوان وزارة الخارجية بعد عشر سنوات والدكتور الزيات يجتذبك دون أن تدرى ، فترتاح اليه أو لا ترتاح .. ولكنك تظل على احترام له . فهو المثقف من قمــة رأسه الى أخمص قدمه .. وقد عهدته حاد الذكاء ، حاضر البديهة .. يتمتع بروح الفكاهة .. وتختلط سخريته بجديته ووضوحه بغموضه .. حتى ليتوه الانسان إن كان يؤيده أو يعارضــه ولكنه أبــدا يستحوذ على إعجابك » .

ما بعــد الأيــــام

وإذا كان لابد من أن ننقل للقارىء بعض الفقرات التى تصور أسلوب محمد حسن الزيات كأديب ، فلنطالع كتابه « ما بعـــــد الأيام » الذى جعله تكملة لكتاب طه حسين « الأيــــام » والذى يمثل طرازا جميلا من أدب التراجم الذى تختلط فيه الترجمة الذاتيــة بترجمة محورية أخرى ، ثم هو مع ذلك حريص على التاريخ الموثق الدقيق وحفى فى الوقت نفسه بالعبارة الأدبية القصيرة وقادر على تحريك الأحداث لتعبر له عن المعنى الذى يراه فى أروع من أن تعبر عنه الكلمات وحدها فهو يلجأ للأحداث نفسها لتعبر عن معانيه وكأنه لا يفعل شيئا غير القص .. وهو نوع من الثقة الجميلة بالفــكرة الذاتيــة ..

* * *

مكانته فى السياسة المصرية

وربما يصعب علينا اليوم تخيل حجم الجهد الذى بذله الدكتور محمد حسن الزيات كوزير للخارجية قبل حرب أكتوبر وقد مضى من التاريخ عشرون عاما على هذا الزمان .. ولكنى أحب أن أدل القارىء على كتاب « أمن مصر القومى » لحافظ اسماعيل وهو يلخص فيه مناقشات مجلس الوزراء فى ابريل ١٩٧٣ فترينا قراءة هذا الكتاب المحايد كيف كان الزيات يجاهد مثلا حتى فى مجلس الوزراء ليبرز معنى من قبيل أن مصر المستهدفة وليس « النظام الاشتراكى » .... وكان الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية أبرز المتحدثين ، كان تقديره أن المستهدف الآن هو « مصر » .. وليس النظام الاشتراكى . وأبدى أنه لا يوافق على « الاختيار بين مصر الخاضعة عسكريا ، ومصر المسيطر عليها اقتصاديا » . وأن الوقت يمر لمصلحة « مؤامرة الصمت السياسى والعسكرى » ، وأن علينا الدفاع عن أجيالنا القادمة .

و« عن الحلول السياسية ، قال انه ليس هناك حل يوائم بين السيادة والأمن فيما عدا الحل المرحلى .. الذى يراه شاه ايران أنه سيصبح — فى حالة تنفيذه — الحل النهائى . اذ أننا نعيش بين الهزيمة والنصر » .

وفى تقديره كان كسر وقف اطلاق النار تحركا لمصر والعــرب « فالعالم العربى يدرك أنه معلق بمصر » وأن أوروبا ستتحرك دفاعا عن مصالحها .. كما ستضطر للتحرك حفاظا على هيبتها . فضياعها ضياع للوجود السياسى الامريكى وسيتحرك السوفيت بينما تقترب الحرب من منطقة الخليج .

وفيما بعد تركه الوزارة بأكثر من ١٥ عاما سئل الدكتور الزيات

فى حديث صحفى عن خلافه مع الرئيس السادات عندما تـرك الوزارة فكان جوابه :

« فيما يختص باستقالتى من الوزارة نان أساسها أن لى الحق أن أرى الأمور السياسية حسب رؤيتى لها من ضرورة الحـل الشامل والعادل للجميع ولكن هذا الحق لى تابله واجب آخر وهو افتراض أن رئيس الدولة عنده من المعلومات ما ليس عندى ، وهو بذلك أقدر على الحكم فاذا كانت المعلومات التى عندى تؤكد لى أن السياسة المقترحة غير سليمة ، فعلى أن أترك مكانى . ولكن ليس لى أن أفترض أن المعلومات التى عندى هى نفس المعلومات التى عند رئيس الدولة وبالتالى فله حق رسم سياسته ، وعلينا أن ننتظـر نتائج السياسة التى يتخذها .

هـو .. وطـه حسـين

هذا إذن هو « محمـد الزيات » خريج الآداب النابه الذى أصبح مدرسـا جامعيا فى مرحلة مبكرة فى جامعة ناشئة هى جامعة الاسكندرية وبدأ يكتب بعض مقالات فى المجلات التى كان يصدرها أو يرأسها الدكتور طه حسين ، ويتصل فى ذات الوقت بالبيئة الثقافية فى أرفع مستوياتها سواء عن طريق شقيقه الاستاذ عبده حسـن الزيات مدير تحرير كوكب الشرق والوادى أو والد زوجته الدكتور طه حسين .

ولكنه فيما يبدو يخلو الى نفسه فيؤثر أن يبتعد عن خضـم الحياة العامة فى وطنه ليتعمق التفكير فيما تعترك به هذه الحيـاة من حوله ، ويؤثر الانخراط فى السـلك الدبلوماسى الذى بدأ فى ذلك الحين يتسع لينضوى فيه شباب جامعى نابه من ذوى الأصـول المصرية الأصيلة .. وحين يروى السفير القطاطرى فى كتابه « مراحل

تكون السلك الدبلوماسى » نجده يضرب المثل على هذه المرحلة بالألقاب الجديدة (أى أسماء العائلات) التى بدأت تأخذ مكانا فى قائمة الدبلوماسية المصرية التى كانت تكاد تكون تقريبا حكرا على الأصول الأجنبية والشركسية والتركية ومن أطرف ما يمكن أن نتأمله من هذه الألقاب لقب الدكتور الزيات والسفير الفطاطرى نفسيهما .. هذا بائع الزيت أو تاجره .. وهذا صانع الفطير أو بائعه !!

ويقودنا التأمل خطوة أخرى لنجد أن هذه الفترة واكبت أيضا فترة انخراط العنصر المصرى فى الجيش المصرى حين التحقت به بعد معاهدة ١٩٣٦ الأجيال التى خرجت بعد ذلك فى ٢٣ يوليو لتحكم هذا البلد من خلال ثورة يوليو ١٩٥٢ .

كان محمد حسن الزيات اذن بحكم « التاريخ الطبيعى » هو النظير الأمثل لرجال الثورة فيما بين الدبلوماسيين .. ولكن .. محمد حسن الزيات كأبرز أبناء جيله من الدبلوماسيين لم يأخذ مكانه المرموق فى صناعة السياسة المصرية أو فى صياغة الدبلوماسية المصرية الا فى مرحلة متأخرة عن مكانة نظرائه من العسكريين فى المجالات التى تولوا شأن الكلمة الأخيرة فيها (كعبد الحكيم عامر فى القوات المسلحة وزكريا محيى الدين فى الداخلية وكمال الدين حسين فى التربية والتعليم وحسين الشافعى فى الشئون الاجتماعية وعبد اللطيف البغدادى فى الشئون البلدية وصلاح سالم فى الارشاد القومى) . .ولكنه مع ذلك ظل قريبا بل وقريبا جدا من الموقع الوزارى على نحو ما سنقرأ فى تسلسل تاريخه المفصل فى المناصب الحكومية والدبلوماسية .

وقد شاءت ظروف الثورة أن تستعين على وزارة الخارجية فى أولى عهدها برجلين من خيرة رجال السلك الدبلوماسى من الجيل السابق على الدكتور الزيات ، قضى أحدهما شهورا معدودة — وبقى

الآخر مع الثورة قرابة ربع قرن ، وهما المغفور لهما الاستاذ أحمد محمد فراج طايع والدكتور محمود فوزى ، وقد دفعت الثورة باثنين من العسكريين الى المكانة المتقدمة فدفعت أولا بحسين ذو الفقار ليكون نائبا للوزير (الدكتور محمود فوزى) •• ثم بمحمود رياض ليكون وزيرا للخارجية من ١٩٦٤ وحتى بدايات عهد السادات وليظـل الدكتور محمود فوزى فى موقع أرفع من موقع الوزير نائبا لرئيس الوزراء ومساعدا لرئيس الجمهورية ثم عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا ثم رئيسا للوزراء ونائبا لرئيس الجمهورية •

وحين شرع الرئيس السادات تحت مظلة الشرعية الدستورية بعد الشرعية الثـورية يبحث بين الدبلوماسـيين المخضرمين كان « الزيات » واحدا من اثنين تراهم الدولة خير من يقوم لها بهذا العبء •• وعين الدكتور « الطبيب » مراد غالب السفير المصرى العتيد لدى الاتحاد السوفيتى وزيرا للخارجية بينما عين الدكتور محمد حسن الزيات وزير دولة للاعلام •• وما هى الا شهور حتى أسندت الخارجية الى الدكتور الزيات •• وكانت هذه الشهور لحسن حظه هى الشهور السابقة مباشرة على حرب أكتوبر !!

وحين كانت حرب أكتوبر تتهيأ الأن تضع أوزارها كان أنـور السادات يبدأ السير فى خط جديد مواز لخطوط كثيرة كان يمضى فيها بذكاء شديد ، وكان اسماعيل فهمى وزير الخارجية يأخذ طريقه الى نيكسون فى الولايات المتحدة ليبدأ خيطا يتواصل مع خيوط أخرى ليشكل مرحلة هامة من تاريخ هذا الوطن •

وعلى حين انتهت علاقة الرئيس السادات يرحمه الله مع كل من سلف الدكتور الزيات (الدكتور مراد غالب) وخلفيه (اسماعيل فهمى ثم محمد ابراهيم كامل) بنهايات قرب الى القطيعة التامة كارتداد طبيـعى لحدة الخـلاف فى الرأى بين الرئيس ووزراء

الخارجية !! فإن علاقته مع الدكتور الزيات مضت ربما بحكم شخصية الزيات وثقافته فى منحنى آخر فقد عين مساعدا لرئيس الجمهورية بقرار جمهورى يسبق فى رقمه المسلسل قرار تعيين خليفته وزيرا للخارجية .. ثم بقى فى هذا المنصب الى أن بلغ الستين أو شيئا من هذا القبيل .. ومنح مع ذلك أرفع الأوسمة .. ولم يجد بعد ذلك غضاضة أبدا فى أن يدخل معترك السياسة المحلية فى عهـد الرئيس حسنى مبارك يخوض انتخابات المجلس التشريعى ، وأن يتولى رئاسة عدة لجان من لجانه !!

هـذا إذن هو محمـد حسن الزيات « نموذج فريـد بين الدبلوماسيين جميعا فى جيله .. أسبقهم جميعا الى منصب رئيس هيئة الاستعلامات ووكيل الخارجية وأكثرهم حظا فى هذا المجال ..

رابع السفراء التسعة الذين أتيح لهم أن يرأسوا الدبلوماسية المصرية (من خلال منصب وزير الخارجية) على مـدى تاريخها الطويل وفى عهد الثورة : (طايع ـ فوزى ـ رياض ـ غالب ـ الزيات ـ فهمى ـ كامل ـ عبد المجيد ـ عمرو موسى) وهو خريج الآداب وخريج اكسفورد الوحيد بين هؤلاء جميعا ، وهو أيضـا الوحيد الذى تولى وزارتى الاعلام والخارجية ، وهو أيضا الوحيد الذى مارس الحياة البرلمانية . وهو أيضا الوحيد الذى مارس الحياة الحزبية على مستوى القواعد الأقليمية .

* * *

الزيــــات

شـــخصية دميـــاطية عالميــة(*)

خسرت مصر علما من أعلام السياسة الخارجية العالمية والعربية والمصرية ، وخسرت محافظة دمياط ابنا من أبرز أبنائها وأعــزهم عليها ، ومن أكثرهم ارتباطا بها ، وجهادا فى سبيلها ، وذلك بوفاة الاستاذ الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق •• لقد ذكرت الصحف المصرية والعربية وكذلك الاذاعات الاجنبية تاريخ الفقيد الدبلوماسى وعددت مناقبه طيلة يوم اعلان نبأ وفاته ، وقد عرفته اذاعة صوت أمريكا بأنه الدبلوماسى المحنك ، سريع البديهة ، قوى الحجة ، صاحب قدرة غير عادية فى الدخول الى قلب محدثه •• ولابد أن اسرائيل تذكره ويعرفه ساستها وبخاصة أبا ايبان الذى دارت بينه وبين الفقيد مساجلات ومناورات فى مجلس الأمن وفى الأمم المتحدة فى الفترة من أكتوبر ١٩٧٢ الى أكتوبر ١٩٧٣ وقد تحقق النصر العظيم الذى أسهم فيه بجهد كبير •

لقد كان الدكتور الزيات يؤمن بالدبلوماسية الشعبية •• كان وهو يمثل مصر فى ايران ، وفى الهند ، ثم ممثلا لمصر وللامم المتحدة فى الصومال ، يتعامل مع القوى الشعبية والأحزاب السياسية ، يجمع بينها ويستفيد من وجودها فى الشارع السياسى من أجل خدمــة القضايا التى كان يعمل من أجلها ، ولقد ساعده على ذلك سعة اطلاعه ، واتقانه للعديد من اللغات ، وحدة ذكائه ، وجلده على العمل ، ووقوف زوجته بجانبه •

(*) أخبار دميــاط ، العدد ١٦٨٨ ، ٨ مارس سنة ١٩٩٣ • زكريا محمد الحزاوى رئيس تحرير أخبار دمياط •

لقد كان الدكتور محمد حسن الزيات صداقات شخصية وصلات متميزة مع كثير من الشخصيات العالمية ، فقد أظهر صدام حسين تقديرا خاصا له فى كل مباحثات أجريت معه سواء رسمية أو شخصية ، ومن هنا تنبأ بنية صدام غزو الكويت قبل وقوع ذلك بفترة •• تحترمه الفصائل الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات وتحترم آراءه وأفكاره ، وتربطه صداقة شخصية وعائلية بالرئيس الامريكى السابق بوش •• وله مكانة خاصة فى محافل الأدب والسياسة الهندية ، ولذلك أختير عضوا فى لجنة التحكيم لمنح جائزة أنديرا غاندى للسلام ونزع السلاح والتنمية مع جوليوس نيريرى رئيس جمهورية تنزانيا السابق وبرونو كرايسكى مستشار النمسا السابق ، وعين عضوا بأكاديمية المملكة المغربية ممثلا لمصر مع سنجور رئيس جمهورية السنغال السابق وادجار فور رئيس وزراء فرنسا السابق •

أما محافظة دمياط فقد بقى مرتبطا بها طيلة حياته ، لم ينفصل عنها فى أى وقت •• وهو يعمل فى أماكن مختلفة من العالم ، وانما كان يزورها بين الحين والحين ، يشارك فى اللقاءات السياسية ، ويلقى المحاضرات ، ويبصر بالحقائق العالمية •• وعندما أراد الرئيس حسنى مبارك أن يستفاد بجهوده فى العمل السياسى قبل أن يكون أمينا للحزب الوطنى الديمقراطى بمحافظة دمياط ، ويومها حصل لدمياط على عربات السنترال التى أنقذتها من العزلة عن مصر والعالم ، ودافع عن ميناء دمياط ، وأسهم فى توسيع قاعدة التعليم الجامعى بالمحافظة •• وكان أثناء عضويته بمجلس الشعب مجمعا للهيئة البرلمانية للمحافظة التى استطاعت أن تحقق الكثير من المكاسب العامة •• وأن تكون صوتا قويا معبرا عن مصالح جماهير دمياط •

نظلم الفقيد حين نعدد مناقبه فى مثل هذه العجالة ، لكننا فقط نذكر لعلم من أعلام محافظة دمياط بعض جهده وجهاده ، ونضرب المثل على وفاء ابن هذا الاقليم لأهله ولمحبيه ، ونسجل أن دمياط لن تنساه أبدا •

لمحـات من الذكريات الغاليـة(*)

جوانب شخصية الدكتور محمد حسن الزيات متعددة ومتنوعة ، لأنه موفور المواهب ، غنى بالقدرات ، ولذلك يحتار المرء من أين يبدأ ، والى أين ينتهى فى الحديث عنه ، لأننى أشعر اننى لو بدأت الحديث عن جانب من قدراته أو مواقفه التى عرفتها عن قرب ورأيت أبعادها التى لا يستطيع الالمام بها عابر سبيل ، أحتاج الى عشرات الصفحات ، ولا أجمع شتات فكرى فيها ، لأن الرجل عميق الفكر ، ذاخر بالمعارف والمعلومات ، ومواقفه فى كل قضية أو موضوع عابر ، تستحق الدراسة لأنها تكشف عن مدرسة عبقرية نبيلة يتحكم فيها ، ويضرب النموذج والمثل .

موسـوعة من العـلم والمعرفة

لقد كان الدكتور الزيات دائم الاطلاع على أمهات الكتب التى تصدر فى العالم ، فهو يخصص جانبا فى كل يوم لقراءة الصـحف والمجـلات العربية والأجنبية ، ويستطيع بإلمـاحة على سـطور صفحة الجريدة أو المجلة أن يعتصر الرحيق الذى فيها ، ويدخله فى كمبيوتر عقله ليمتزج بالمعلومات المختزنة فيه .. وكم جلسـت اليه وبادرنى بقوله .. هل قرأت هذا الخبر ؟ فأجيبه بالايجاب .. فيسأل .. وما رأيك فيه ؟ ! وأحاول أن أحلل أو استنتج فاذا به يأخذنى الى منعطف آخر ، لا يقول فيه فكره وتحليله فقط ، وإنما يضع مجموعة من الحقائق والوقائع التى يوثقها بتواريخ أو أرقام

(*) محمد عبد الوهاب شبانة الأمين العام السابق للاتحاد الاشتراكى العربى بدمياط والأمين العام المساعد للحزب الوطنى وعضـو مجلس الشعب السابق ونقيب المعلمين بدميـاط .

أو نتائج قائمة وشاهدة ، وأجدنى قد حصلت على مجموعة من المعلومات الجديدة والأفكار الناضجة ، كما أخرج بنتائج يمكن أن أتميز بها على أقرانى فى مثل هذا المجال •• إنه أستاذ كبير ••

وهذه الحصيلة الرائعة من المعلومات والمعارف لا تقتصر فقط على مجال السياسة لكنه صاحب باع واسع فى الثقافة الأدبية ، فهـو يحفظ من الأدب العربى الكثير من روائع الأبيات والقصائد الشعرية ، ويذكر روائع الحكم ، بل إنه لا يقف عند حفظ بدائع الأدب العربى القديم — وهو صاحب ذاكرة قوية ، بقى محتفظا بها الى أن ودع دنيا الناس — والذى كثيرا ما كان يستشهد به بدقة ، وفى بلاغة معجزة ، وإنما أيضا يحفظ من الحكم والأمثال الكثير •• منهـا اليونانى ، والاغريقى والفارسى ، وغـيرها من الآداب والفنـون الحديثة ، ويحدثك عنها مستشهدا بها فى دقة وبلاغة •• وأذكر فى رسالة له وصلتنى وأنا أعمل فى ليبيا فى أكتوبر ١٩٧٦ معلقا على خبر نشر فى احدى الصحف اليومية بأن وزير الخارجية فى عام ١٩٧٦ ، كان بطل الدبلوماسية يوم أن كان وزيرا للخارجية فى أكتوبر عام ١٩٧٣ •• وهذه ليست الحقيقة •• كتب يقول : (هناك قصة يابانية عن جريمة قتل ، يرويها شهودها ، ويرويها ضحيتها ، ويرويهـا القاتل ، كل لا يعدو الحقيقة ، لكن كما رآها هو •• وما أدق الفرق بين الرواية والرواية ، وما أعمق احساس القارىء بالمأساة عندما يرى أن الصدق نفسه له صوره المختلفة) •

لا شك أن هذه القدرات والمواهب أصيلة فيه ، وبالطبع كان لصلته باستاذه الدكتور طه حسين أثر فى حرصـه على التحصـيل المتنوع والمتعدد المشارب ، مع استمرار ممارسته لمـا يقرأ ويسمع ويرى •• وأعتقد أن من أسباب امتلاكه لثروة كبيرة من المعلومات زوجته الأستاذ أمينة طه حسين ، وهى الأديبة ، والقارئة والمثقفة بشكل مبهر ويدعو الى الاحترام ، الى جانب أنها شخصية اجتماعية

على أعلى مستوى ، تحتفى بالضيف ، وتحسن استقبال الصـــغير والكبير .. حضرت لقاءات للدكتور وزوجته أكثر من مرة ، ومنها مرة كانت قد انتهت لتوها من قراءة فصل من فصول أحد الكتب الفرنسية ، واذا بها تخاطب الدكتور الزيات قائلة : أرأيت يا عطية كيف عالج الكاتب كذا وكذا فى هذا الفصل .. وتوجز له ما قرأت ، وأحيـــانا يناقشها ، وأحيانا ينصت فقط وأراه مع صمته يختـــزن المعلومة ليضيفها الى معارفه الكثيرة ..

والقراءة فى حياة هذه الأسر عنصر أساسى وهام .. وما زرت الدكتور الزيات وكانت زوجته معه ــ سواء فى القاهرة أو رأس البر أو دمياط أو الناصرية ــ إلا وجدت فى يد كل منهما كتابا يقرأه ، وغالبا ما يكون من أحدث ما أصدرته المطابع فى العالم لأن زوجته تجيد سبع لغات وهو يجيد خمس .. ولقد كان أول مصرى ، بل أول عربى يحصل على كتاب (اسرائيل سنة ٢٠٠٠) وكان وقتها فى زيارة لأمريكا ، وقد قرأه ثم كلف وزارة الخارجية المصرية بترجمته الى العربية ، وسلم للرئيس السابق أنور السادات ، وعندما تحدث عنه فى مؤتمر عقد فى الكويت عام ١٩٧٣ دهش الحاضرون واستفسروا عن الكتاب وتاريخ صدوره .

ليست الكتب وحدها هى مصدر معلومات الدكتور محمد حسن الزيات ، وانما كان الى جانب ذلك من هواة الرحلات ، والتعرف على الأشياء والأحداث على الطبيعة ، ولذلك فانه فى فترات عمله بالولايات المتحدة الامريكية زار جميع ولاياتها ، ومدنها الكبـــرى ، وعرف خصائص وطبائع وعادات أهل هذه المدن والولايات ، كما أنه كان كلما زار بلدا فى عمل رسمى حاول أن يتعرف على مشاكله وكيف يمكن الربط بينها وبين زيارته أو العلاقات بين البلدين .. ليس هذا فقط ، لكنه فى النصف الثانى من السبعينيات قام بعدد من الجولات فى بلاد أوربا الشرقية ، وكما قال لى : ذهبت اليها بعيدا عن المنصب ،

والمقابلات الرسمية ، وتجولت فى أرجائها لأتعرف على حياة شعوب هذه البلاد على الطبيعة حيث أنه يقدر أن حكام مثل هذه البلاد لا يطلعون ممثلى الدول الا على كل ما هو جيد ، ويخفون العيوب والمثالب ، وقد ذكر لى عن ملحوظة استرعت انتباهه ، وهى أن أغلب هذه الدول تهتم اهتماما بالغا بتربية وتعليم الأطفال ، وهو أمر لم يكن يتوقعه فى النظام الشيوعى •

تحمل المسئولية بأمانة وحماس

الصومال قضية شخصية :

اذا تولى مسئولية أى عمل يخلص فيه غاية الاخلاص ، ويعتبر الوصول الى أفضل النتائج فيه مسئولية شخصية ، ويشعر بالسعادة فى تأدية الواجب فى المهام الصعبة ، ولعل من أبرز المواقف التى تؤكد ذلك أنه قبل العمل وزيرا مفوضا لمصر فى المجلس الاستشارى للامم المتحدة فى الصومال عام ١٩٥٧ بدلا من المرحوم كمال الدين صلاح الذى أغتيل فى أحد شوارع العاصمة مقديشو ، ولم يكن الأمن مضمونا من جهة ، ومن جهة أخرى كان مخططا تخويف المصريين من التواجد فى الصومال فى هذه الفترة ليخلو الجو للاستعمار للبقاء فيه أطول فترة ممكنة ، ويعرف جميع الذين عملوا فى الصومال فى هذه الفترة من المصريين أن الرجل تهم مهمة شاقة للغاية ، لأن فصائل الصوماليين كانت متفرقة ، وكان أغلبها مرتبط بقوى أجنبية لا تريد لهذا البلد أن يستقل ، ولا أن يكون له علاقة بمصر بخاصة ، والأمة العربية بعامة •• ولقد أمكن عن طريق التحرك الواعى أن يزيد عدد المبعوثين المصريين الى هذا البلد سواء من رجال الأزهر ، أو من رجال التعليم وانتشروا فى جميع أرجاء الصومال ، ولقد كان لارتباطهم بالدكتور الزيات شخصيا أكبر الأثر فى شحذ هممهم وتفانيهم واخلاصهم فى العمل رغم قسوة الظروف هناك •

كان له علاقات شخصـية ووثيقة بزعماء الأحزاب والقبـائل المختلفة ، وكان يزورهم فى مواقعهم ، سواء فى أقصى الشمال أو أدنى الجنوب ، ويتعامل معهم بما يقربه منهم ، وقد أصبح الجميع يثقون فيه ويقدرون حكمته فى تصريف الأمور ، ولذلك فقد لعب دورا هاما فى عدم تمزق الصومال بعد استقلاله المبكر فى أول يوليو ١٩٦٠ ، اذ علم أن بعض القبائل فى الشمال تريد أن يكون لهـا الاستقلال فى ادارة المنطقة التى يعيشون فيها — وهو ما يحـدث الآن — وكانت الحكومة المركزية المشكلة حديثا فى مقديشيو ترفض ذلك •• واستشعر الرجل أن الجهود التى بذلت فى سبيل استقلال الصومال تحاول أصابع خفية أن تنسفها وأنها تعمل لإعادة الصومال الى التبعية والاستعمار ، أو على الأقل تمزيق أوصاله من الداخل ليمكن السيطرة عليه •• وهنا سافر الدكتور الزيات بنفسه الى منطقة الشمال والتقى بزعماء القبائل ، وأوضح لهم الظروف التى تحيط بهم ، وأهمية المحافظة على الاستقلال عن طريق الوحدة الوطنيـة ونكران الذات •• وبقى معهم أياما محدودة لكنه كان يواصـل العمل فيها ليلا ونهارا الى أن أمكن جمع شملهم تحت لواء عـلم الصومال الموحد ، وأن يطبق نظام الادارة المحلية فى الأقاليم النائية •• وعندما عاد الى القاهرة والتقى بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وعرض عليه تحركه مع رؤساء القبائل فى شمال الصومال ، قال الرئيس له : لقد أحسنت صنعا ، وكنت موفقا غاية التوفيق أن سارعت وذهبت بنفسك عند بداية استشعارك بالخلاف لأنك لو انتظرت أسبوعا مثلا حتى تهدأ النفوس — كما يقولون — أو طلبت أن يحضر اليك هؤلاء الزعماء ، ما أمكن جمع الشمل ومنع الانقسام ، لأن بريق السلطة لمن يجلس على الكرسى أو المتطلع اليه ، خطـير للغاية ، ولا يسمح بتنازلات من أى طرف بسهولة •

لقد تبنى قضية الصومال ، وكأنها جزء من بلده ، فقد حرص على أن يتعلم أبناؤها اللغة العربية لكى يتعلموا أصول الدين ويتقنوه

ـ وكانت نسبة عدد المسلمين الى السكان ٩٥٪ ـ وبتعلم اللغة العربية ، وبانتسابهم الى الاسلام ، وقربهم من الوطن العربى ، يجعل بلدهم جزءا من الوطن العربى •• وقد كان دائما يردد اقتناعه بتوجه الدكتور طه حسين فى أن تعلم اللغة العربية عنصر أساسى وهام فى تعلم الدين الاسلامى وانتشاره •• وقد بقى الدكتور الزيات على صلة بالصومال والصوماليين الى آخر أيام حياته ، ينشغل به ، ويفكر له ، وكأنه بلد ثان له •• وعندما نشبت المعارك فى السنة الماضية بين الفصائل الصومالية وراح ضحيتها آلاف المواطنين ، وخربت البنية الأساسية للبلاد ، وسألته : لماذا وصلت الأمور الى هذا الحد المفجع ، قال : لقد تأخر التدخل لمنع هذه الصراعات فى بدايتها ، لقد كان يجب أن تتحرك الأمة العربية ، والجامعة العربية بشكل مباشر لدى جميع الأطراف لمنع وقوع الصراع من أصله •• إن الصومال دولة فى الجامعة العربية ، وموقعها هام بالنسبة للامة العربية ، ومع ذلك فان الحلول تكمن فى الاتصال المباشر بأطراف النزاع وبخاصة زعماء القبائل ، ولا ينبغى أن تترك لقوى أجنبية ترى فى الصومال مصالح أخرى لها •

بوش وفوائد الديون :

وموقف آخر من أجل مصر وعلاقتها بالولايات المتحدة الامريكية ••

لقد كان الدكتور الزيات صاحب رصيد كبير من العلاقات الشخصية والأسرية بكثير من الشخصيات العالمية ، ومن بين هؤلاء الرئيس الامريكى السابق جورج بوش ، كما كان لسيادته والسيدة حرمه علاقات شخصية بالرئيس بوش وزوجته من قبل أن يشغل موقع رئيس الجمهورية وأيضا فى الفترة التى لم يكن يشغل فيها الدكتور الزيات أى منصب رسمى فى مصر •• زار الدكتور الزيات أمريكا لالقاء محاضرات فى احدى جامعاتها ولاجراء بعض الفحوص الطبية ، وأثناء زيارته لبوش فى بيته تحدث معه عن المشكلة التى

تواجه الحكومة المصرية فى علاقتها مع أمريكا وتتلخص فى أن فوائد الديون المستحقة على مصر كل عام بالدولار يصعب تدبيرها من ايراداتها من مصادرها التى تدر عليها العملات الأجنبية ، وهو أمر يضغط على دولاب الحياة وعلى خطة التنمية فى مصر ، وربما هدد ذلك الاستقرار فيها ، فأمسك بوش بقلم ، وفتح مذكرته الشخصية وقال : حدد لى وسيلة الحل الممكنة والتى يمكن أن أسهم فيها ، فقال الدكتور الزيات : ان الولايات المتحدة تدعم مصر كل عام بمنحة قدرها مليار دولار ، يعطى أغلبها على هيئة معونات وسلع ، فماذا لو دفعتها بالدولار ليمكن أن تكمل عليها مصر قيمة المستحق من فوائد الديون السنوية .. إن ذلك يحل المشكلة ، ويجعل الادارة المصرية تتمكن من تصحيح أوضاع قديمة .. ورد بوش بإن ذلك يتعارض مع قانون المنح التى تقدم للدول المختلفة ، وسيكون سابقة تحتاج الى موافقة الكونجرس الامريكى .. وبعد :نقاش مركز وعلمى ، اقتنع بوش ، ووعده بأن يبذل قصارى جهده لدفع مبلغ ٥٠٠ ألف مليون دولار عمله تسدد من فوائد القروض ، وعلى مصر أن تدبر أمرها فيما يتبقى وهو ما يقدر بحوالى ٧٠٠ ألف مليون دولار .. وبالفعل نجحت هذه الجهود ، ونفذ هذا الوعد .. وهذا موقف يدل بشكل واضح مدى اخلاصه لبلده وتبنيه لقضاياها الملحة ، وأنه لا يترك فرصة تسنح إلا ويغتنمها من أجل تحقيق الخير لها .. إنه الاحساس بالمسئولية الوطنية والأمانة فى تأدية الرسالة .

دمياط فى وجدانه

الارتباط الدائم :

بقى الدكتور محمد حسن الزيات محبا لبلده دمياط ، بل عاشقا لترابها رغم أن أصدقاءه المقربين المقيمين فيها كانوا عددا محدودا ، لكنه كان دائما يحن الى دمياط .. الى شوارعها ، والأماكن القديمة .. الى أكلها ، وجوها .. الى ذكريات بقيت فى أعماقه

•• كان يحن اليها سواء كان فى أمريكا أو أوربا أو آسيا أو افريقيـــا ويتحسس أخبارها من الصحف أو من كل قادم منها •• ولقد كانت أول علاقتى بسيادته عام ١٩٥٩ فى الصومال فى أول لقاء معه حين عرف أننى من دمياط ، وأننى أكتب فى جريدة أخبار دمياط الاقليمية — وقد بقى يخصها بمقالات فى مناسبات مختلفة طوال حياته — ويومها طلب منى أن أقدم له كل عدد يصلنى بالبريد الجوى الأن وصول الجريدة بالبريد العادى يستغرق وقتا طويلا ، وقد كنت اتفقت مع صاحب الجريدة وسكرتير تحريرها أن يرسل لى الأعداد التى أكتب فيها مقالات بالبريد الجوى •• بدأت الصلة هكذا عن طريق دمياط وأخبارها ، ثم استمرت وتوطدت ، وأصبحت أعتز أن يقول عنى اننى بمثابة أخيه الأصغر ، وأسعد أكثر عندما كان يصل الى دمياط ويبعث فى طلبى لنجلس فنتحدث فى أمور كثيرة أهمها التطورات السياسية وبخاصة المتصلة بمصر ••

لقد حرص على أن يكون باسم اسرة الزيات منزل فى دمياط ، وآخر فى الناصرية ، تأكيدا لارتباطه بالمحافظة •• وكان كلما كتب الى رسالة وأنا فى خارج مصر يتحدث عن دمياط ، وأقتطف بعض عبارات من رسالة وصلتنى منه وأنا فى ليبيا بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٧٦ •• يقول (حضرت الى دمياط ، وقد وجدت الشمس ساطعة ، ودميـــاط دفء كلها ، دفء جو ، ودفء وداد •• ووقفت ببحر رأس البـــر هذا المساء ، وهو نائم بأمواجه النعاس ، مطمئن مسترخ مستريح ، من أدرى أين رأسه وأين أطرافه ، سوى أننى أعرف أنه يصل ما بين هذا البلد وبين بلدك الذى تعيش فيه ، وبلاد أخرى ، تذكر صحف هذا الصباح أن هناك تفكيرا فى أن نلتقى للتعاون •• والله المسئول أن يجعل تعاوننا على البر والتقوى !) •

* * *

مشوار العمل السياسى فى دميـــاط :

عين أول رئيس للهيئة العامة للاستعلامات بعد يونيو ١٩٦٧ ، وكان نشاطها يمتد داخل مصر وخارجها ، وقد حرص فى هذه الفترة أن يكون فى دمياط بين الوقت والآخر ، وكان يلقى الأضواء أولا بأول على جهود مصر فى اعادة بناء القوات المسلحة بعد نكسة يونيو ، وكذلك موقف القوى الكبرى تجاه قضية الصراع العربى الاسرائيلى ، ولقد حظيت قيادات الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة بعدد من هـــذه اللقاءات دعما للتثقيف الذاتى الذى يمكنهم من الالتقاء بالجماهير ، وتقديم المعلومة الصحيحة لهم ..

وفى هذه الفترة أيضا بدأ نشاطا جماهيريا شعبيا على أساس أنه كان المتحدث الرسمى باسم مصر ورئيسها فى المحافل الدولية ، وهو اختيار صادف أهله ، لأن هذه الفترة كانت تحتاج الى السياسى المحنك ، والى المتحدث القادر على اختيار العبارات ، بل الكلمات بدقة وعناية ، ويملك القدرة على التصرف والاستنباط والاســـتنتاج العلمى ، وقد كان الدكتور الزيات كذلك .. فى هذه الفترة رشـــح نفسه من خلال لجان الوحدات الاساسية جماهيريا فى تشـــكيلات الاتحاد الاشتراكى ، وقد نجح من القاعدة حتى وصل الى عضوية المؤتمر القومى العام .. وفكر يومها فى ترشيح نفسه لعضوية اللجنة المركزية فطبعا لم يكن ممكنا أن يرشح أحد نفسه ضده ، لقيمته الشخصية ، ولموقعه المسئول ، ولكن عندما عرض الأمر على الرئيس الراحل جمال عبد الناصر طلب ابلاغ الدكتور الزيات بأن يتـــرك الترشيح لغيره ، فهو أحد المسئولين عن السياسة العامة للدولة ، ويعرف أسرارها ، كما سيكون لسفره أثر كبير فى عدم الانتظام فى حضور اجتماع اللجنة ، وبذا تحرم دمياط من ممثل لها ، اذ كان مقررا أن يمثل دمياط فى عضوية هذه اللجنة واحد فقط عن الفئات وآخر عن العمال والفلاحين .. غير أنه لم يقطع صلته بالتنظيم

السياسى وقتها ، وكان يشارك فى ندواته ولقاءته الجماهيرية ، ويطلع الناس على تفسيرات الأحداث •

وعلى ذكر العمل السياسى ، فلم يكن ذلك بالنسبة له هدفا يسعى اليه أو يؤهل نفسه له ، ولقد بعث الى فى رسالة كتبها يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٦ ــ وأنا أعمل فى ليبيــا كما سبق أن ذكرت ــ قال (الحقيقة أن رئيس الوزراء طلب الى أن أقبل الانضمام الى اللجنة المركزية لمنبر الوسط ، وأن أكون سكرتيرا المحافظة (دميــاط) ، وان شئت مرشحا ، ولكنى اعتذرت عن ذلك كله ، ولا أدرى أخيرا فعلت أم لم يك خيرا ؟ !) ، وقد كان فى هذه الفترة يحس بمرارة وألم لأنه لم يقدم له سببا لخروجه من وزارة الخارجية فى أواخر عام ١٩٧٣ ، وهو الذى بذل جهودا خارقة للتعريف بقضية مصر واعتداءات اسرائيل عليها ، وحق مصر فى استخلاص أرضها من أيدى المحتل ، وقد بقى يجوب جميع بقاع الدنيا ليكسب تعاطف الصغير والكبير لدرجة أن وزير خارجية انجلترا وصل الى القول له •• لقد أغتصبت أرضكم ، فهــل تريدون منا استخلاصها لكم •• قال : لا •• قال : اذن أذهبــوا واستخلصوها •• لقد دخل لص شقتك وجلس فيها ومنعك من دخولها ، هل تجلس فى شقة أخرى وتقول للناس أخرجوا هذا اللص منها ، واجبكم أن تبذلوا جهدا لاستخلاص أرضكم ، ووصل الدكتور الزيات الى ما يريد ، لكننا عندما نفعل ذلك ستقفون الى جانب المغتصب وتدعموه وكانت الاجابة •• اطلاقا •• هذا حقك ولن نمنعــكم من الحصول عليه لأن اسرائيل ركبها الغرور •• فعل ذلك كله وقيل بعد ذلك أن الفاعل والبطل وزير آخر ••

أمــين الحزب الوطنى :

فى عام ١٩٨٣ قبل أن يكون أمينا عاما للحزب الوطنى بمحافظة دمياط ، بعد أن استطاع ابن دمياط البار المهندس حسب الله الكفراوى أن يقنعه ، وأحسب أن ذلك كان أمرا صعبا ، فقد قضيت معه أياما

وليالى نقلب هذا الموضــوع ، ونبحث مدى اســتعداده على تكييف نفسه لتحمل أعباء العمل الجماهيرى الذى يحتاج الى صبر ، والى التعامل مع المواطن العادى بأسلوب غير ذلك الذى تعود عليــه سنين طويلة ، اذ أن المواطن العادى تشغله مصلحته الشخصية عن أى شىء آخر ، وهو لا يمل أن يقص حكايته التى يكفى أن تعرض فى جملتين ، يقصها فى ساعة أو زيد ، ويعيد فيها ويكرر ، ولابد أن يعطيه المستمع كل حواسه ، وأن ينفعل لها فورا ، وربما يصر على حلها قبل أن يقوم من مقامه والا خرج ساخطا غاضبا ، وأنا أعرف أن تركيبة الدكتور الزيات لا تعرف ذلك ولم تتعود عليه ، فقد رأيته فى أروقة جامعة الدول العربية يتحدث مع رؤساء الوفود العربية من وزراء الخارجية العرب بجمل أشبه ما تكون بلغة البرقيات ، هم يفهمون ، وهو يقصد الهدف اما بكلمات صريحة أو بتلميح بليغ ، وكم جلست اليه أحاوره بنفس هذا الأسلوب ، وأذكر أنه بعد توقيع معاهدة السلام مع اسرائيل قال لى .. لقد وجدت الناس فى القاهرة يوزعون الشربات ، قلت : نعم الناس فى فرح لأنهم حسبوا أن ذلك سيعود بالخير العميم عليهم ، فبادر بقوله .. الســلام لمن .. إن السلام كالحرب طريقه ليس سهلا .. هكذا يعلق على موضوع كبير بجملة ، وأحيانا ببيت من الشعر ، أو بحكمة قديمة وهكذا .. المهم أمكن للمهندس الكفراوى بأسلوب بارع أن يقنعه بقبول منصب أمين عام الحزب الوطنى للمحافظة ، ولولا حبه للمهندس الكفراوى ما كان يمكن أن يتم ذلك بســهولة .. وكان ترشيح الدكتور الزيات لهذا العمل يرضى عنه الرئيس حسنى مبارك الذى كان يقدر الرجل ويحترمه ولقد رأينا ذلك ولمسناه ، علاوة على أنه كان يرتبط بعلاقات شخصية بالقوى السياسية المختلفة ، وممثلى الأحزاب على مستوى الجمهورية والمحافظة ..

عند مقابلته للرئيس حسنى مبارك لبحث امكانية اشتراكه فى العمل الشعبى ، حاول الدكتــور الزيات أن يعتذر موضــحا أنه

لا يستطيع أن يتفرغ كل الوقت فى دمياط حيث له ارتباطات خارجية ، وله أيضا ارتباطات بالقاهرة وفى مقدمتها ارتباطاته الأسرية ، يضاف الى ذلك أن دمياط فى حاجة الى اصلاحات فورية ولشعبها كثير من المطالب •• قال له الرئيس : نريدك معنا تحمل يدا من القفة التى فيها أحمال البلد كله •• فقبل فورا ، لكنه طالب بعض المعاونة من الأجهزة التنفيذية ، وتحدث مع الرئيس عن تليفونات دمياط الفاسدة ، والتى لا تمكن أحدا من الاتصال بأى بلد فى مصر ، ناهيك عن بلاد العالم الأخرى ، وقد تهالكت أجهزتها تماما ، فأصدر الرئيس توجيهاته بحل عاجل الى أن يتم الحل الشامل والثابت ، وفعلا وصل الى دمياط بعد توليه أمانة الحزب مباشرة وحدتان فى سيارتين لتقوما مقام السنترال القديم ، ووحدة ثالثة لمصيف رأس البر ، وشعر الناس بأن الحال قد تبدل الى حال آخر متطور •• واستمرت جهود الدكتور الزيات لتطوير هذه الخدمة الهامة والحيوية بالنسبة لمحافظة يقوم عملها وحياتها على النشاط الصناعى والتجارى ، فقاد مجموعة أعضاء مجلس الشعب للمحافظة للسعى لدى وزارة النقل والمواصلات الى أن أمكن بناء سنترالين جديدين حديثين لدمياط ورأس البر ودخل الخدمة بأضعاف الطاقة التى كان عليها •

كما وقف الدكتور الزيات الى جانب اتمام ميناء دمياط ، وهو مشروع قومى من جهة ، وفيه احياء لتاريخ دمياط ميناء مصر الأول من جهة أخرى ، كما اهتم بانقاذ مسجد عمرو ابن العاص •• ولقد بقى موضوع اصلاح وترميم هذا المسجد يشغل فكره منذ زمن بعيد ، وسعى فى سبيل ذلك بكل ما يملك من قوة ، وهو يذكر دائما أن هذا المسجد هو ثانى مسجد بنى فى مصر ، وأنه تحول الى كنيسة ، ثم عاد مسجدا ، ثم تحول الى الكاتدرائية أيام استيلاء جيوش لويس التاسع على دمياط فى عام ١٢٤٩ م ، وقد أقيم فيه حفل تعميد ابن ملكة فرنسا زوج لويس التاسع ، وعندما هزمت الحملات الصليبية

وخرجت جيوشها الى لا عودة ، أعيد المبنى مسجدا الى أصله ..
ويذكر سيادته أنه رأى ناقوس الكنيسة الضخم فى متحف بهولندا .

ان الدكتور الزيات يعشق التاريخ ، ويهتم كثيرا بتاريخ دمياط ، وكان يذكر الأسر البارزة فى دمياط وقراها ، وكم قابل شخصا من أحدى قرى دمياط وسأله عن اسمه بالكامل ، ثم بادره هو نفســه بتعريف والده وعمله السابق وهكذا ، ثم يتحدث عن القرية التى كان يعيش فيها هذا الشخص .. وفى المؤتمرات الشعبية كان يذكر الناس بأن محافظة دمياط لم يكن فيها الا مدرسة ابتدائية واحدة — على النظام القديم — وأن من كان يريد أن يدرس فى المرحلة الثانوية عليه أن يذهب الى القاهرة أو المنصورة ، ولذلك فقد اهتم بتوسيع التعليم فى المحافظة ، وفاتح الرئيس حسنى مبارك فى ذلك غير أن الرئيس يرى أنه ليس من المصلحة التوسع فى الجامعــات وانما الأفضل تحسين الأداء فى الجامعات الحالية ، وتدعيمها بالامكانيات .. ومع ذلك فقد أمكن باتصالاته فتح مجالات جديدة للتعليم العالى والتوسع فى الكليات الموجودة .

الدكتــور الزيــات خــارج مصـــر

لقد كان الدكتور الزيات شخصية محترمة ، تنال تقدير كل من أتصل بها أو عمل معه ، وكان ودودا ومجاملا ، كان لشخصيته الدولية وزنها ، ومن المناسب أن أذكر مواقف سمعتها منه أو رأيتها معه ، وأكتفى بمقتطفات منها ..

بعد أن ترك وزارة الخارجية ، سافر الى أمريكا لالقاء محاضرات فى جامعة كاليفورنيا ، وأراد أن يعرض نفسه على أحد كبار الأطباء المشاهير .. وبينما هو جالس فى انتظار حضور الطبيب ، وحلول دوره .. مر الطبيب فلمحه .. وبعد دقائق جاءت المرضة لتسأل عنه ، واصطحبته الى غرفة الطبيب المشهور ، فوقف الرجل على

كرسيه وبادره بالأسف الشديد ، قائلا له : معذرة فان المرضة ليس لديها وعى عام لأنها لم تعرف شخصية دولية مثلك ، ورد له قيمة الكشف •• وعبثا حاول الدكتور الزيات مكتفيا بهذا الترحيب والتقدير ، وأصر الطبيب قائلا •• دعنا نعبر عن تقديرنا لرجل دولى ••

وعندما انتهت انتخابات مجلس الشعب الأخيرة ، ولم يوفق الدكتور فيها •• استضافة الرئيس بوش فى أمريكا لمدة عشرين يوما ، وأدخله المستشفى لاجراء فحوص طبية ليطمئن عليها ، وكأنما قال لقد أخطأ الناس لكننا لا نزال نقدرك •

وفى يوم من أيام رمضان عام ١٩٨٥ دعى الدكتور الزيات مجموعة أعضاء مجلس الشعب عن المحافظة لتناول طعام الافطار فى فندق ماريوت بالقاهرة ، على شرف مائدة أقامها أحد كبار الناشرين اللبنانيين ، وحضرها كبار كتاب مصر ، وقد كانت حفاوة الرجل بنا بالغة ، وقد جلس معنا ابنه ليرحب بنا أغلب الوقت ، وكان الرجل فى كل مرة يقول : انكم مع عملاق السياسة الخارجية العربية •• الرجل الذى قبل عميد الأدب العربى أن يزوجه ابنته ، وجود الرجل معنا شرف لنا جميعا •

وأعرف أنه من الشخصيات التى كانت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ترحب بالجلوس اليها ، وبمناقشة قضايا الدولة معها ، وأنه لعب كثيرا دور حمامة السلام بين المنظمة وبعض الجهات العربية فى أوقات توتر العلاقات بينهما •

* * *

فى يـوم الوفـاء والإنتمـاء(*)

للراحـل الدكتور محمـد حسـن الزيـات

اننى فى هذه الذكرى •• وقد تعودت أن أكون عطيا ولكننى أرى العبارات تتعثر •• وقد تعودت معها أن أكون منطلقا •

ولهذا فكرت قليلا قبل أن أتحدث فى دقائق عن الزيات •• ومن هو الزيات •• يا ســادة •• إننى اذا أردت أن أتحدث عن الزيات أحتاج الى ساعات وساعات فى وفائه واخلاصه وبسمته •

إذا أردت أن أتحـدث عن العملاق العـالم •• الأديب •• السياسى •• الدبلوماسى عن وعن •• أيها الأخوة أننى أعترف أمامكم إننى أعجز عن أن أطرق هذا الباب ولكن أقدم شكرى الوفير للأخ الاستاذ سمير فراج وأقدم الشكر لمديرية الشئون الاجتماعية •• التى كان يحبها ويرعى رجالها •• وإن كان لى حديث •• فإننى أول الأمر • ومع تقديرى كل التقدير لكل من فكر ونفذ فالزيات أقوى من كل ذلك • ومع تقديرى لأخى وصديقى عميد كلية التربية الذى قال لى اليوم لقد كان الزيات قدوة فى الجامعة • وهو من الرجال الذين ساعدوا جامعة دمياط • وأن الجامعة والكلية فى دميـاط إن كانت تكرم أعلام دمياط وقامت بتكريم الزيات من قبل • فالزيات أفضل وأعلى من كل لقب يعطى له • ولابد أن يبقى اسم الزيات فى دمياط •• ليكون أمام شباب دميـاط •• نريد لدمياط أن يخـرج منها الزيات والزيات • ويبقى أمامهم مكانا وعنوانا يذكرهم بالزيات • فيسئلون عنه ويعملون على الدرب الذى سار عليه •

(*) حمزة السنباطى الامين العام للحزب الوطنى بدمياط •

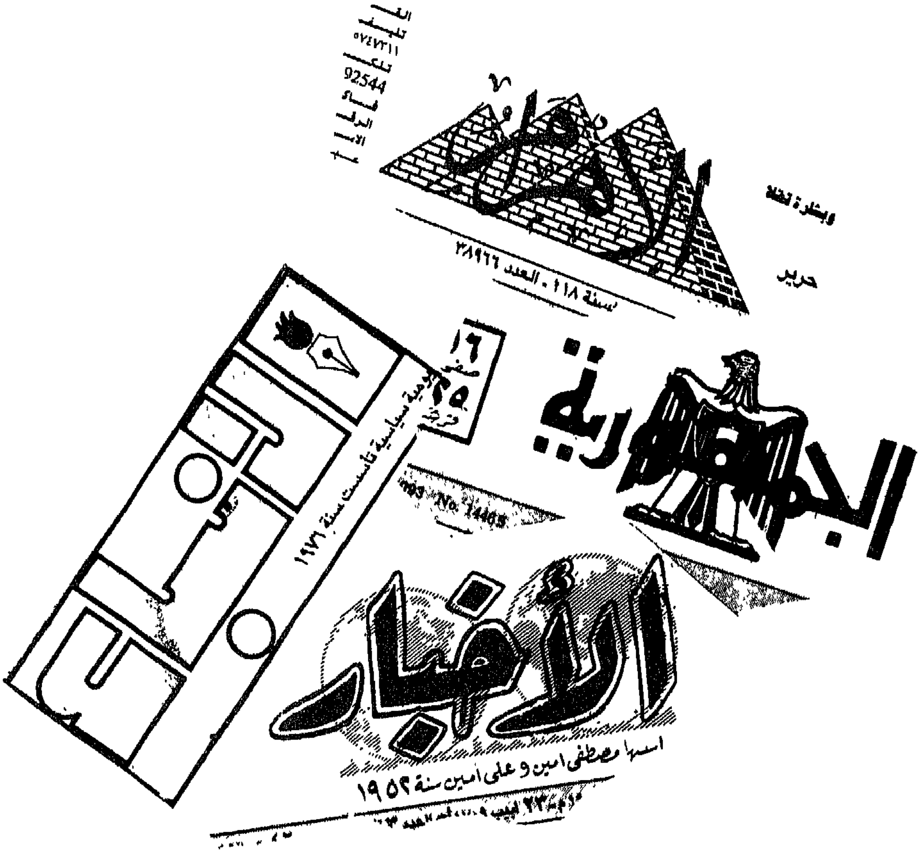
أريد من المستشار المحافظ .. بل والله لقد أراد هو .. وبذل الكثير لكى يخلد هذا الاسم بعمله وجهده ونشاطه . فهو الذى تخرج من كلية الآداب وكنا نحن بكلية الحقوق ولكن كنا نذهب لكليـــة الآداب لنرى الزيات .. فهذا هو الزيات .. الذى يستحق لجنة برئاسة المستشار محافظ دمياط لنرى مكتبة الأعلام دمياط .. نبدأها بمكتبة الدكتور الزيات فى أحسن مكان بدميـــاط . نريد أن يكون هناك مكانا كبيرا يطلق عليه اسم الزيات ومنشئة تعليمية جديدة تحمل اسم الزيات ولم تسم من قبل كما أرجو من السيد المستشار تحقيق رغبة الزيات فى اقامة كلية للدعوة الاسلامية بجامع عمرو بن العاص . هذا الجامع التاريخى وهو ثانى جامع بنى فى مصر بعد الفتـــح الاسلامى لكى يعلم شباب دمياط أن الدمايطة يستحقون أكثر من ذلك لقد سمعت فى حفل التكريم الكثير والكثير عن الزيات يدل على القوة والشجاعة والحكمة .

وأختتم كلمتى .. الى روحه الكريمة .. إننا كنا فى مثل هذا اليوم نسعد بلقائك ونعاهدك أن نكون على الدرب سائرين وخدام لدمياط ونعاهدكم أن نسير على نهجه . وأن نقتدى بمنطقه ورحمة الله عليـــه ..

لقد حرمنا الله من المحجوب ومن بعده الزيات عوضـــنا الله عنهما ولتبقى ذكراهما خالدة بيننا ..

* * *

الباب العاشر



الزيات ...
فى الصحافة المصرية والعربية والعالمية

مهرجان الوفاء للدكتور الزيات بدمياط
وكتاب جديد عنه(*)

تقرر إقامة المهرجان الخاص بتكريم اسم د. محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق وابن دمياط البار وذلك بحديقة الطفل – فى عيد دمياط القومى ٨ مايو القادم بمشيئة الله – وذلك من خلال الحلقات الصحفية التى يكتبها الكاتب الصحفى سمير فراج فى جريدة الأنباء الكويتية فى صفحات كاملة والتى سيصدر بعدها كتابه المنتظر د. محمد حسن الزيات – صفحات مضيئة من تاريخ الدبلوماسية العربية – والذى ينتظره العالم العربى ومصر وهو أول كتاب يصدر عن د. الزيات بعد رحيله المفاجىء . أيضا يعرض المهرجان قطوفا من كتاباته المؤلفة المتنوعة ومن المقرر توجيه الدعوة للاستاذ المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط لافتتاحه فى إطار الاحتفالات بعيد دمياط القومى .

* * *

(*) أخبار دمياط ، السنة الرابعة والاربعون ، العدد ١٦٩٠ ، ٢٦ ابريل ١٩٩٣ م .

حفـــل تأبين لفقيـــد مصر ودميـــاط(*)

الدكتور محمـــد حسن الزيـــات

أقامت وزارة الخارجية والسفارة الهندية بالقاهرة يوم الأربعاء الماضى حفل تأبين بالنادى الدبلوماسى لفقيد مصر الدكتور محمد حسن الزيات وقد حضر الحفل السفير اسماعيل مبارك مساعد وزير الخارجية نائبا عن السيد وزير الخارجية وتحدث فيه عن دور الفقيد الراحل فى السياسة الخارجية وعن جيل الدبلوماسيين الذين تتلمذوا على يديه وأصبحوا يحتلون أكبر المناصب القيادية فى الدولة كما تحدث الاستاذ محفوظ الأنصارى رئس تحرير الجمهورية وأشـــاد بدور الدكتور الزيات فى الصومال وأفريقيا وكيف استطاع أن يكسب قلوب الافريقيين مع مصر فى كل جولاتها كما تحدث أيضا السفير مختـــار الجمال مدير المعهد الدبلوماسى بوزارة الخارجية والسيدة سفيرة الهند فى القاهرة والسفير على خليل رئيس جمعية الصداقة الهندية المصرية عن دور الزيات فى تقوية العلاقات بين مصر والهند .

وقد حضر الحفل وفد من دمياط برئاسة الاستاذ حمزة السنباطى رئيس المجلس الشعبى المحلى للمحافظة الذى تحدث عن دور الفقيد فى انجازات دمياط وخاصة فى مشروع الميناء وبناء كلية التربية بدمياط وقد قام بدعوة الدبلوماسيين لاقامة حفل تأبين للفقيد الراحل فى موطنه الأصلى دميـــاط .

* * *

(*) اخبار دمياط ـــ العدد المذكور سابقا .

اليــوم مهرجان الوفــاء والإنتمــاء(*)

وتكريم اسم الدكتور الزيــات

تحت رعاية الاستاذ المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط يقام اليوم مهرجان الوفاء والانتماء لتكريم اسم راحلنا العزيز الكبير الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق — وفيه يعرض الكاتب والأديب ابن دمياط الاستاذ سمير فراج قطوفا من مقالاته عن الفقيد فى جريدة الأنباء الكويتية والعالم العــربى بالاضـــافة الى معرض يضم قطوفا عن حياة د• الزيات ويعقب هذا محاضرة يلقيها الاستاذ سمير فراج مؤلف، هذا الكتاب الأول عن د• الزيات — تحت عنوان د• محمد حسن الزيات وصفحات مضيئة من تاريخ الدبلوماسية العربية — أيضا تكون هناك كلمات مضيئة حافلة بالذكريات من بعض ضيوف دمياط فى عيدها القومى ومن أصدقاء الفقيد العزيز •• ومن المنتظر أن يحضر المهرجان اليوم الوزير المهندس حسب الله الكفراوى والسفير المصرى الأسبق فى الولايات المتحدة « عبد الرءوف الريدى » وبعض الشخصيات الهامة فى مصر والعالم العــربى •

جدير بالذكر أن الأوسمة التى حصل عليها راحلنا الكريم عبــر مشواره السياسى والدبلوماسى الطويل سوف يتم عرضها فى المهرجان : وذلك بحديقة الطفل — قاعة المؤتمرات فى الساعة السابعة مساء •

* * *

(*) جريدة اخبار دمياط •

حوار حـــول حرب الخليج

مع الدكتـــور الزيـــات

الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق .. الذى ارتبط اسمه منذ زمن بعيد بقضايا التضامن العـــربى والتى أكسبته خبرة كبيرة فى هذا المجال إستمدها من المناصب المتعددة التى تولاها بدءا من مندوب مصر الدائم فى الامم المتحدة حتى منصب رئيس لجنة العلاقات العربية بالحزب الوطـنى ومجلس الشـــعب الســـــابق .

تحدث الدكتور الزيات بكل الصراحة محللا الموقف بعد مضى أكثر من ثلاثة شهور على أزمة الخليج موضحا الجوانب التى تكشفت من الأحداث .

❋ بداية ماذا ترى مستقبل التضامن العربى خلال الفترة القادمة خاصة بعد ما تعرض له بسبب أحداث أزمة الخليج ؟ !

ـــ تعرض نظامنا العربى الى عقبات عديدة جدا بعد احتـــــلال العراق للكويت وسياسة الرئيس صدام حسين التى ضربت التضامن العربى ضربة قاضية لأنه قسم العرب الى قسمين : قسم يقف مع العدل والحق والشرعية الدولية فى صف الدول التى أدانت عدوان دولة قوية على دولة ضعيفة ، وقسم آخر ساند العراق بسبب عاطفى أو لأسباب شخصية .

(❋) روز اليوسف ، العدد ٣٢٦٠ فى ١٩٩٠/١٢/٣ .

على كل حال التضامن العربى ضرب فى القلب بسبب أحداث الخليج لدرجة انه يمكن أن يصيب الكثيرين باليأس من جدوى التضامن العربى فى المستقبل •• وهم محقون فهذه الأزمة ردت مسيرة التضامن الى الوراء على الأقل ٢٠ عاما ولكن توجد نفوس لا تعترف باليأس ولابد من وجود سعى للوصول الى هذا الهدف •

* والعالم يتجه الآن نحو الوحدة ونظام الكيانات الدولية الكبيرة •• ولماذا لا يتوحد العرب رغم انهم أكثر حاجة الى هذه الوحدة ؟ !

ـ فعلا النهاردة أوروبا كلها بما فيها من دول شرقية وغربية •• وما بينها من خلافات أكبر جدا مما يوجد بين الدول العربية وبعضها ومع ذلك فقد استطاعت هذه الدول أن تبحث عما يجمعها من مصالح العيش •

فلماذا لا يبدأ العرب بذلك ؟ إن هذا أمر محير حقيقة •• هل لأنهم أقل حماسا فى التضامن الذى نتحدث عنه ؟ ! أم أنهم أقل علما بطرق الوصول لغاياتهم ؟ ! أم أنهم أكثر اهتماما بذواتهم من اهتمامهم بالصالح العام ؟ ! أم هل الغنى فيهم يخشى اذا تضامن مع الفقير أن يقل بعض غناه وأن تزول بعض أمواله ؟ !

التضامن الايجابى لصالح الجميع •• ودع عنك مثلا تضامن الدفاع عن النفس •• وكيف يمكن أن يكون لدولة تعدادها لا يزيد على ١٠ ملايين أو ٥ ملايين أو مليونين الدفاع عن نفسها الا باللجوء لدولة أخرى تعدادها ٥٠ أو ٦٠ مليونا •• وهل الدولة التى تعدادها ٥٠ مليونا ستقوم بهذا الدفاع عبارة عن تبرع تلقائى تدفعه فى سبيل الشهامة •• لا ـ أبدا ـ بالطبع !! لأنها ستعلم فى النهاية أن الأمن العربى كل لا يتجزأ •• وأن وجود ثغرة فى الأمن العربى فى البحرين يهدد الأمن العربى فى الجزائر •

* ولكن يؤخذ على العرب — دائما — أنهم لا يفعلون ما يرددونه •• ؟ !

— هذا صحيح •• ونحن عندما نقول أن مبادئنا هى الخير والعدل والسلام الى آخره •• هل هذا الكلام مجرد عبارات محفوظة نرددها بغير معنى أم يتم تطبيقه والالتزام به ؟ ! وهل عندما نقول انه لا يجوز لنا أن نتدخل فى شئون الدول الأخرى •• هل نقول هذا من قبيل ترديد كلام وأقوال حسنة الوقع والسمع أم عن اقتناع ••

مثلا الخطاب الذى ألقاه الرئيس صدام حسين بنفسه عند افتتاح مجلس التعاون العربى نص فى الصفحة الثالثة منه يقول : « انه يجب ألا نتدخل فى شئون الدول الأخرى اطلاقا » ثم بعد سطور منه يقول : « ويجب اننا نؤمن وأن نلتزم بأن الأرض لا يمكن أن تغتصب بالقوة » • ثم اتضح انه يردد هذا الكلام لأنه يقع موقعا حسنا من السمع وليس اقتناعا بعقيدة ثابتة •

* يقال إن هناك العديد من الجوانب التى تكشفت من جراء أزمة الخليج عربيا ودوليا •• ما هى أبرز هذه الجوانب من وجهة نظركم ؟ !

— بالفعل كشفت أزمة الخليج عن العديد من أوجه القصور مثلا أثبتت أن جامعة الدول العربية وكافة التنظيمات العربية السياسية والاقتصادية والعسكرية غير كافية •• ونحن لدينا معاهدة دفاع مشترك واتفاقيات للتضامن الاقتصادى والمفروض أن مجلس الجامعة العربية يختص بمناقشة القضايا السياسية وغيرها من القضايا المطروحة •• ولكن أزمة الخليج كشفت — بالفعل — عن ثغرات عديدة لابد من تداركها فى المستقبل •

مثلا لا مفر من انشاء محكمة عدل عربية تتولى الفصـــل فى المنازعات بين الدول العربية وتشترط أن تقبل الدول المتنازعة قرارها مقدما •• كما ظهر أيضـــا أن اجتماع القمة أو اجتمـــاع مجلس الجامعة العربية على أكبر مستوى غير ملزم وأن كل دولة تحضر اذا أعجبها الحكم أو القرار تشارك واذا لم يعجبها تنسحب ••

لابد أن يكون هناك التزام ويجب على كل دولة أن تحترم القرار سواء كان فى صالحها أم فى غير صالحها لأنه لا يمكن أن يكون القرار مرضيا لجميع الأطراف بالطبع !

ظهر شىء آخر إن صدور قرار بالحرب من جانب احدى الدول مسألة ليست بسيطة وانه فى الدول المتقدمة يحتاج ذلك الى موافقة البرلمان واستطلاع رأى الشعب ولكن فى حالة العدوان العراقى واضح تماما أن الشعب العراقى لم يؤخذ رأيه فى احتلال الكويت •

تكشف — أيضا — أن هناك بعض الدول لا تدرى باحتياجاتها الحقيقية سواء بالنسبة للدفاع أو الحماية •• مثلا لماذا أسقطت الدول العربية ديونها الآن لمصر ؟ ! ولماذا لم تسقطها من قبل ؟!

واضح بالطبع أن هذه الدول هى فى حاجة — فعلا — الى مصر الآن وبالتالى بدأت تساندها — وكان واضحا من قبـــل — أن مصر قامت بتضحيات عديدة للعرب جميعا وكان من الأولى انهم يساندون مصر على الأقل فى ديونها ولكن لم يحدث ذلك !!

* تردد ترشيح اسمكم لمنصب الأمين العام لجامعة الدول العربيـــة ؟

— نعم سمعت ما يتردد حول ذلك بل واستفسر منى البعض حوله ولكن حقيقة لم يعرض أحد على ذلك بالفعل •• وما زلت لا أعلم

شيئا محددا — حول هذا الأمر الى أن يعرض ذلك رسميا ممن رشحنى اذلك كما تقول !

* ونحن نستعد لانتقال الجامعة العربية الى القاهرة ‥ يدعى البعض انه ستكون هناك جامعتان للدول العربية إحداهما فى تونس للدول المعارضة لانتقال الجامعة والأخرى فى مصر ‥ هل يمكن أن يحدث ذلك بالفعـــل ؟ !

— بالنسبة لانتقال الجامعة العربية الى القاهرة فالأمر لا يحتاج الى بحث أو مجرد مناقشة لأن ميثاق جامعة الدول العربية نفسه بما يتضمن فى المادة العاشرة منه يؤكد ذلك ولابد ن تنفيذه سواء أراد البعض ذلك أم لم يرد ؟ ! فطالما ظل هذا الميثاق قائما فلا مفر من ذلك .

أما بالنسبة لوجود مقر آخر لجامعة الدول العربية فى تونس فهذا أمر لا يمكن تصوره لأنه لا يمكن أن توجد جامعتـــان للدول العربية ‥ لأنه لو حدث ذلك فانه يكون تقسيما وانقساما كاملا للوطن العربى عندئذ يكون من الأفضل الغاء الجامعة العربية ككل وأن تعمل كل دولة بمفردها لا داعى اذن لوجود أى تنظيمات عربية مجتمعـــة .

* يقال إن هناك صـــلة صداقة تربطـــك بالرئيس الامريكى جورج بـــوش ‥

— نعم تربطنى علاقة صداقة مع الرئيس جورج بوش ‥ فقد كنا منذ فترة طويلة زملاء معا فى الأمم المتحدة عندما كنت أتولى منصب مندوب مصر الدائم هناك وكان الرئيس بوش مندوبا للولايات المتحدة الامريكية فى الأمم المتحدة وكنا دائمى اللقاءات والزيارات معا ‥ وفى الشهر الماضى كنت تلقيت دعوة من احدى الجامعات

الامريكية لكى ألقى بها بعض المحاضرات هناك وانتهزت الفرصة وطلبت لقاء الرئيس الامريكى الصديق القديم وبالفعل التقيت به بحضور السفير المصرى رءوف الريدى .

تحدثت مع الرئيس بوش فى العديد من الأمور منها بالطبع أزمة الخليج وموقف مصر منها وطلبت من الرئيس بوش أن يتم تطبيق المبدأ الدولى الذى اتفق على تنفيذه ضد العراق بسبب احتلاله للكويت على اسرائيل بالنسبة لاحتلالها لدولة فلسطين وضرورة أن تعالج مشكلة القضية الفلسطينية على غرار الاسلوب والقرارات التى اتخذتها الامم المتحدة ومجلس الأمن فى احتلال العراق للكويت .. وقد رحب الرئيس بوش بذلك ووعدنى ببحثه فى المستقبل .

* ننتقل الى موضوع أخير خاص بالاستعداد لانتخابات مجلس الشعب .. ما رأيكم فى موقف بعض أحزاب المعارضة من مقاطعة الانتخابات بصفتك أحد قيادات الحزب الوطنى ومرشحه عن دائرة دمياط ؟ !

— بالنسبة لانتخابات مجلس الشعب فموقف بعض أحزاب المعارضة غريب بالنسبة لى .. سبق أن طالبوا بالانتخاب الفردى وتم تنفيذ مطلبهم ورغم ذلك يقاطعون الانتخابات .. عامة اذا لم تمثل المعارضة داخل مجلس الشعب وهذا لن يحدث بالطبع فان هناك معارضة سوف يستعان بها من داخل الحزب الوطنى نفسه لأن الحزب يضم قيادات واتجاهات وميولا فكرية وسياسية عديدة ومتنوعة .

أنا مثلا لو اتيحت لى الفرصة فسوف أعارض على سبيل المثال كل مشروعات القروض التى ستتقدم بها الحكومة لاقرارها من المجلس لأننى أعتقد انه يكفينا ما اقترضناه من الخارج ورغم أن هذا ضد سياسة الحكومة أو الحزب الوطنى ولكننى لست مقتنعا !

شـــكر صـــادق

الدكتور محمـد حسن الزيـات :

يتقدم بأصدق الشكر والعرفان لكل من أولاه ثقته فى انتخابات مجلس الشعب الماضية ويدعو بالتوفيق لكل مسـئول عن مسيرة دمياط القادمة نحو التقدم والتفوق فى كل ميدان .

كما يهدى تحياته وأجمل تمنياته لكل مواطنيه من سيدات ورجال وشباب المحافظة(*) .

* * *

(*) لم ينفصل د. الزيات يوما عن مسقط رأسه دمياط ومثلهـا كنائب فى مجلس الشعب حيث تولى أيضا رئاسة لجنتى الثقافة والفكر والاعلام والشئون العربية ، من أخبار دمياط ، العدد ١٦٣٤ ، ١٩٩١/٢/٤ .

تكريم الراحـــل د• محمـــد حسن الزيـــات(*)

فى اطار احتفالات دمياط بالعيد القومى أقيم مهرجان لتكريم اسم د• محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر سابقا وابن دمياط وذلك يو م الاثنين ١٠ مايو الحالى بقاعة النشاط الاجتماعى والثقافى بحديقة الطفل تحت رعاية المستشار محافظ دمياط وباشراف مديرية الشئون الاجتماعية بدمياط وعرض صفحات من كتاب « صفحات مضيئة فى تاريخ الدبلوماسية العربية » أول مؤلف يصدر عن د• الزيات بعد رحيله تأليف الكاتب الصحفى سمير فراج وعقدت ندوة مفتوحة للمقربين من فكر وحياة د• الزيات بعنوان (من رحيـــق الذكريات) وأقيم معرض خاص باسم الوفاء والانتمـــاء للبارزين من أبناء دمياط حضر الاحتفال المستشار محافـــظ دمياط وحمـــزة السنباطى ، و م• عباس حسن الزيات نائب وزير الزراعة سابقا وشقيق الفقيد والقيادات الشعبية والتنفيذية •

وكلية تربية دميـــاط تكرم د• الزيـــات

أعلن أ• د• عبد الرؤوف أبو السعد عميد كلية التربية بدمياط بأنه سيعرض على مجلس جامعة المنصورة مقترحا باقامة مؤتمر لتكريم د• محمد حسن الزيات وزير الخارجية سابقا وعضو مجلس كلية التربية بدمياط ، ويكون هذا المؤتمر تخليدا لذكراه ومواقفه المجيدة مع الكلية وعقد ماحور أدبية وثقافية وسياسية ودبلوماسية عن حياة الفقيد ويدعى لهذا المؤتمر أساتذة الأدب والسياسة والفكر •

(*) الدمايطة ، ديوان عام محافظة دمياط •

(*) الدمايطة •

قطـــوف من رحيـــق الذكريات

بقـــلم

د. محمـــد حسن الزيـــات(**)

جلسنا فى شرفة مسكنى بالزمالك نتناول قهوة الصباح صامتين ، نتأمل أشعة الشمس تضىء غصون الشجر القائم على جانبى الطريق ، وقطع (مؤنس) الصمت الطويل بقوله ، كأنما كان يناجى نفسه : « لم يبق منا نحن الأربعة سواى » .

الأربعة هم طه حسين وسوزان ، التى كنا ، أنا ومؤنس ، قد وارينا جثمانها التراب ظهر اليوم السابق ، وأمينة ابنتهما التى كانت قد فارقتنا فى العشرين من سبتمبر العام الماضى(*) ، لتلحق بأبيها الذى لبى نداء ربه فى الثامن والعشرين من اكتوبر عام ١٩٧٣ . وهكذا لم يبق من الأسرة الصغيرة غير مؤنس .

ولد مؤنس فى القاهرة عام ١٩٢١ ، وبمولده اكتمل عقد تلك الاسرة قليلة العدد ، ومنذ مولده الى يومى وفاة والديه لم يشغلهما عنه وعن أخته أى شاغل ، لم يهملهما الوالد يوما من أيام عمله الجاد العنيف فى القاهرة ولا يوما من أيام عطلة الصيف حيثما كانت الاسرة تقضيها .

ما غابت الصبية وما غاب الصبى عن قلب الوالد أو الوالدة لحظـــة .

وعندما كان طه حسين يملى كتاب الأيام فى ظروف قاســية شديدة القسوة ، لم يختر ختاما لكتابه غير حديث تحدث به الى

(*) عام ١٩٨٨ — ماتت امينة طه حسين .

(**) من روائع ما كتبه د. محمد حسن الزيات .

ابنته (وهى فى العاشرة من عمرها) حديث أصبح منذ ذلك الوقت من محفوظات الأدب ، لا فى لغته العربية فحسب ، بل وفى عشرات اللغات ، التى حرص أصحابها على أن يترجموا اليها كتاب الأيام •

وقراء ذلك الكتاب لا يزالون يسمعون بتأثر شديد طه حسين وهو يقول لابنته « لقد رأيتك ذات يوم جالسة فى حجر أبيك وهو يقص عليك قصة (أوديب ملكا) وقد خرج أوديب من قصره بعد أن فقأ عينيه لا يدرى كيف يسير وأقبلت ابنته (انتجون) فقادته وأرشدته • رأيتك فى ذلك اليوم تسمعين هذه القصة مبتهجة من أولها ، ثم أخذ لونك يتغير قليلا قليلا ، وأخذت جبهتك السمحة تربد شيئا فشيئا ، وما هى إلا أن أجهشت بالبكاء وإنكببت على أبيك لثما وتقبيلا •

وهؤلاء القراء ينفعلون بما فى هذه المناجاة من صدق ورقة يرفعانها الى ذرى الأدب العالية ، على أنهم يلاحظون كذلك أنها تصور طه حسين وهو يجلس ابنته فى حجره كان يقص عليها — وهى فى حجره — ألوان القصص وكانت ترتمى عليه وهى فى حجره ضاحكة عندما يضحكها ، باكية عندما يبكيها •

وكذلك كان يفعل مع ابنه ، يقص عليها وعليه بعض القصص العربى وبعض القصص العالمى • وقصاصا أخرى كان يخترعها لهما اختراعا ويبتدعها لهما ابتداعا • وكان الطفلان يستمعان لهذه القصص كلها بشغف ، ويطمئنان الى صدقها ويفرحان به • غير أن طه حسين يحكى لنا أن ولده قد رفض ذات مرة تصديق قصة كان قد بالغ فيها وأشتد فى الاغراب • وغضب الوالد لما أظهره الولد من الارتياب والشك ، ولم يعبء الولد بغضب أبيه ، فقامت بينهما خصومة يحكى طه حسين قصتها عندما يخاطب ابنه بقوله : « أتذكر يوم كنا نعبث فيه فى (مدينة) جرانمير وكنت أحدثك بحديث أنكرته

لغرابته واغراقه فى الخيال فأبيت أن تصدقه أو تطمئن اليه ، وألححت عليك فى ذلك فلم يزدك الالحاح الا إغراقا فى الانكار ، وخاصمتك حينئذ وأعلنت اليك أننى لن أداعبك بعد اليوم ولن أتحدث اليك الا جادا ، وأنت صلب الرأى كأبيك ، لا تذعن للوعيد ولا يخيفك النذير فأعرضت عنى وأعرضت عنك وقضينا فى ذلك يوما وبعض يوم لم أقل لك شيئا ولم تقل لى شيئا ، ولكن أختك أقبلت فأنبأت أمها بأنك ضيق باعراضى عنك لا تنشط للعب لأنى لا أداعبك ولا أدعوك باسمك الذى كنا نحب أن ندعوك به فتوسطت حينئذ أمك فأصلحت بيننا وأعادت الى ثغرك الابتسام وأعادتك الى ما كنت تحب من لعب ومـرح •

سل أمك يابنى فستنبئك بأنى لم أكن أقل منك شقاء بهـذا الاعراض وبأنى كنت أشكو اليها بينما كنت تشكو أنت الى أختك •

أتذكر هذه القصة انها تصور ما بينك وبينى من حب قد علمك أن تقبل منى ما كنت أتحدث به اليك بما فيه من خيال وما فيه من أصـالة » •

حدثت تلك (الحادثة) أثناء عطلة قضـتها الاسرة فى زيارة لاقليم (الألزاس) على حدود ألمانيـا ، وهى رحلة يقول طه حسين عنها : « مهما تكن العواطف التى أثارتها فى نفوسنا هذه الرحـلة ومهما يكن ما لقينا من خير وشر ، ومن رضى وسخط ، فلن يعدل هذا كله ما حفظته نفس هذا الطفل الصغير (مؤنس)من هـذه الرحلة » • فلقد فتن مؤنس أثناء الرحلة بثلاثة أشياء : فتن بالعيون والينابيع والمياه المنحدرة من فوق الجبال ، وفتن بالبيع والعمارات التى جعل يقارن بينها ويبين ما تمتاز به كل منها ، وفتن أخـيرا بقطارات السكك الحديدية ، التى جعل يحصى ما تقطع من المسافات وما تقف عنده من المحطات •• يحفظ أسماءها إن استطاع كما يقول والده فإن أعياه ذلك أو فاته اخترع لها الأسماء اختراعا ولعله

يحفظ الاسم على غير وجهه ثم يعيده عليك فى شكل بديع مضحك ، « وهو لا يكتفى بحفظ القطارات ومحطاتها ، ولكنه يقلدها » • فهو القطار فى حركته وصوته يقف ويندفع ثم يقف ويعلن المحطات التى يقف عندها والتى يقصد اليها •

ولطه حسين ابتسامة حلوة كانت دون شك تضىء وجهه وهو يملى هذه العبارة : « كانت لذيذة مثيرة للعواطف مرضية للنفس هذه الرحلة بين هذين الطفلين ، يعيش الطفل فى الخيال ، وتتفتح نفس أخته للحياة ، فاذا هى ترى الأشياء على وجهها أو تريد أن تراها كذلك ، وإذا هى تنفق جهدا لا حد له لتلائم بين الحياة كما تراها الآن وبين ما حفظت نفسها الناشئة من خواطر الطفولة وصورها وأحاديثها » وينتهى طه حسين الى أن السفر يستطيع أن يكون شاقا متعبا ، وتستطيع الهموم أن تملأ النفس ، ويستطيع العمل أن يكون مجهدا « فلن يثبت هذا كله أمام هاتين الابتسامتين الحلوتين : ابتسامة الطفل الذى لا يزال يحلم ، وابتسامة الصبية التى أخذت تضيق » •

ويعود الأربعة فى آخر الصيف الى الاسكندرية بالباخرة والى القاهرة بالقطار ، والى دار الأسرة فى مصر الجديدة بالسيارة ، والصغير (مؤنس) لا يكاد يبلغ الدار حتى يندفع اليها فرحا مرحا وهو يأبى أن يصعد مع الاسرة الى حيث تزيل عنه عناء السفر الطويل وانما يندفع الى حديقة الدار •• « يدور فيها دورة أو دورتين ليرى هل نما الشجر وأورق ، وهل ازدهى الزهر وتألق ، حتى اذا بلغ من ذلك ما يريد ، فوجد شيئا وفقد أشياء ، وأحس رضى وأحس سخطا ، صعد فلم يلتفت الى الأسرة ولم يسأل عما هى فيه وإنما أسرع الى حجرته ليريح فيها دمية على شكل دب كان يحملها طيلة أيام السفر ، يتخذها صديقا يطمئن الى صداقته ، نجيا لا يمل نجواه ، والأطفال فى سن مؤنس آنذاك يلتصقون بهذه الدمى التصاقا وهم لا ينفكون يتحدثون اليها ويتصورون أنهم يسمعون عنها ويتخيلون أن لها مثل ما لهم

من الأحاسيس . دخل الطفل الى حجرته فأراح (الدب) فى مضجعه فهو محتاج قطعا الى الراحة بعد تعب السفر ثم خرج من الغرفة الى حيث كانت الاسرة فيسأله أبوه :

« أتذكر يوم ذهبنا الى (فونتنبلو) لنزور القصر ، وكنت قد اصطحبت دبك هذا فلما بلغنا المحطة تقدمت اليك أمك فى أن تدعه مع ما كان معنا من متاع حتى لا نشق عليك ولا يصرفك عن جمال القصر وما فيه فأذعنت كرها ولكنك أظهرت تجلدا واحتمالا لهـذا الفراق حتى اذا مضينا وبعدنا عن المحطة أجهشت بالبكاء وأغرقت فيه فلما سألناك عما يبكيك أجبت (أن الدب لن يرى القصر) فعدنا أدراجنا ، وزار الدب معك هذا الأثر العظيم » .

« ها أنت قد أضجعته فى سريرك وأحطته بما يسع قلبك الصغير القوى من حب وحنان ، ثم أقبلت علينا تشاركنا فيما نحن فيه من عمل وحديث . أنت راض عن هذه الرحلة ، مغتبط بما لقيت فيها من خير وقد نسيت ما احتملت فيها من مشقة .. سينسيك الصبى أحداث الطفولة وينسيك الشباب أحداث الصبا ، وسيلهيك جد الحياة عن عبث الشـــباب » .

وتمر عشر ســـنوات :

وفى صيف عام ١٩٣٩ كان عهد الطفولة وعهد الصبا قد انقضيا وكان مؤنس قد بلغ طور الشباب .. كان قد تخرج فى الجامعة المصرية وعقد العزم على أن يستكمل دراسته العليا فى مدرسة النورمال فى باريس .. وهذا هو يودع والديه فيقول له أبوه :

« ها أنت يا بنى تهجر وطنك ومدينتك ودارك ، وتعبر البحر فى سنك هذه الصغيرة تطلب العلم وحيدا فى باريس ، فدعنى أهدى اليك هذا الحديث (عن أيام طلب الوالد العلم فى الازهر) لعلك ترتاح

اليه بين حين وحين اذا أجهدك درسك •• هناك ترى لونا لم تعرفه من ألوان الحياة فى مصر ، وتذكر شخصا طالما ارتاح الى قربك منه ، وطالما وجد فى جدك وهزلك لذة لا تعدلها لذة ، ومتاعا لا يعدله متاع » •

وتنقضى عشر سنوات أخرى ، ويكون وداع آخر • كانت سنة ١٩٤٨ من أقسى سنوات النضال فى حياة طه حسين • كانت السراى تتهمه بأنه بكتاباته عن (المعذبين فى الأرض) انما يستهدف نسف أساس المجتمع ونظامه الملكى ، وكانت تسلط على طه حسين ما أسقط عنه من قوى البطش والارهاب والحرمان ، على أن ذلك العام قد عرف يوما سعيدا تم فيه زواج « أمينة » فأدخلت السرور على قلب الاسرة كلها ، غير أنها لم تلبث أن فارقت الاسرة مع زوجها أولا الى الاسكندرية ثم الى واشنطن بعد زواجها بعامين •

وهى تقبل على أسرتها تودعها قبل سفرها ويصف ذلك طه حسين بقوله : « ألمت فحيت ، ثم قامت فودعت ، فلما همت أن تنصرف ألقت فى يدى شيئا صغيرا وتولت وهى تقول : « اجعل هذا وقاء لك من شر من تحصن اليه ونظرت فاذا هو مصحف دقيق • لك العهد يا ابنتى لا يفارقنى مصحفك هذا الدقيق حيا وميتا ، ولك العهد ألا أتخذه وقاء من أحد ولا وقاء من شىء وإنما أحمله الآن حمله محبب الى » •

* * *

أجمل عذارى مصر

هى ليلى حامد العلايلى ابنة دمياط

ويسأل طه حسين زوج ابنته يوما عن أجمل عذارى مصر من تكون ؟ ويعتذر المسئول بأنه لم يتم بعد دراسة ذلك الموضوع ! ويجيب طه حسين « بل هى ليلى بنت حامد العلايلى (بلدياتك) من دمياط ، بنت أمينة بنت أحمد شوقى أمير الشعراء » ويبتسم المسئول لأن عجائز دمياط كن قد أسررن اليه منذ شهور بأن أسرة العلايلى تنتظر أن يتقدم الى خطبة صغرى بناتها « الدكتور مؤنس طه حسين » وتتم الخطبة والزواج ، ويكون سكن الاسرة فى طريق الهرم قد تم بناؤه من مسكنين يعيش الدكتور طه وزوجته فى احدهما ويعيش مؤنس فى السكن الثانى ، ويطمئن مؤنس فى عمله مدرسا فى كلية الآداب فترة ، تنتهى بمغادرته مصر مع زوجته وابنته ليعمل فى مقر منظمة اليونسكو فى باريس سنوات طوال .

وتطول غيبة (أمينة) عن أبيها وهى تشارك زوجها حمل هموم أمته والسعى بآمالها فى مختلف العواصم ، وتطول غيبة مؤنس عن أبيه وهو يجاهد فى اليونسكو لنقل آثار العرب وعلماء المسلمين الى لغات الغرب ، ونقل آثار الغرب الى لغة العرب ، وينقضى العهد الذى لم يكن الأربعة يفترقون فيه ، ويصبح إتصالهم الدائم عن طريق التراسل فحسب ، ولا يتاح لهم اللقاء مجتمعين كلهم إلا بين الحين والحين وكان طه حسين قد خاطب ولده بقوله : « لقد تعودت ألا ترانى إلا باسما لك ولكنك ستنمو وترى أن ابتسام الآباء لأبنائهم الصغار كثيرا ما يخفى اكتئابا وحزنا .. وستعلم أن ما كنت أمنحك من الابتسام والرضى ، وما كنت آتى معك من ضروب اللعب والدعابة لم يكن خالصا كابتسامك ورضاك ولا صفوا كلعبك ودعابتك ، وإنما كان يخفى من ورائه حزنا واكتئابا ما كان لك أن تراهما صبيا ، وما ينبغى أن تجهلهما رجلا .

وما أسعد الأب حين يثق بأن ابنه يحبه محزونا مظلم النفس ، كما يحبه مسرورا مشرق الفؤاد » .

وينتهى (مؤنس) من شرب قهوته فيكرر قوله : « لم يبق منا نحن الأربعة سواى » ويصمت لحظة يقول بعدها : « عندما كنت أسارع ما استطعت للحضور الى القاهرة هذه المرة كان معى صديق يبذل فى مساعدتى أقصى جهده . ويقول لى : « يجب أن يكون الولد الى جانب والدته فى ساعاتها هذه الأخيرة » وكنت أقول له : « إن لها ولدا آخر فى القاهرة يرعاها رعاية الولد البار .. لقد كنا أربعة وكان هو الخامس ثم أصبحنا ستة ثم شاء الله أن يسترد ودائعه وديعة بعد وديعة »(*) .

* * *

(*) يا سبحان الله — هكذا انهى د. الزيات موضوعه — والآن ذهب هو الآخر — استرده الخالق العظيم وديعة أخرى غالية .. وبارك الله عمر مؤنس طه حسين آخر الودائع فى الاسرة الكبيرة العريقة .

العمـــل والأمـــل :

الولايات المتحـــدة الأوربيـــة
والولايات المتحـــدة العربيـــة(*)

بقلم الدكتور
محمـــد حسن الزيـــات
وزير الخارجية الأسبق

... فى الساعات الأولى من ساعات اليوم الأول من هذا العـــام الجديد دخلت القارة الأوربية عهدا جديدا من عهودها بقيام السوق الأوربية المشتركة بين ١٢ دولة من دولها تتطلع دول أخرى الى الإنضمام اليها وبقيام هذه السوق أصبح مواطنو الدول المشتركة فيها يحملون جوازات سفر موحدة يتحركون من دون أى قيد فى أراضى هذه الدول كلها • ويقيمون من دون أى قيد فى أى دولة منهـــا يمارسون فيها مهنهم المختلفة فلا يمنـــع مانع الطبيب البريطانى من ممارسة مهنة الطب فى ألمانيا ولا مانع يمنع المحامى الفرنسى اذا كانت لديه القدرة اللغوية على ممارسة مهنة المحاماة فى ايطاليا والحال كذلك بالنسبة الى المحاسب والتاجر والصانع والزارع • يتم ذلك كله فى اطار تنظيم تتوجه به جهود كل المواطنين فى هـــذه الدول الأوربية الى خيرهم المشترك ترتقى به السوق الأوربية لتصـــبح أكبر أسواق العالم وأقدرها على استيراد المواد الخام وتصـــدير السلع المصنوعة سوقا مؤهلة وقادرة على منافسة كل أسواق العالم •

(*) آخر مقال كتبه بنفسه د. الزيات فى ٨ فبراير ١٩٩٣ فى جريدة أخبار دمياط — وقبيل رحيله بأيام حيث انتقل الى جوار ربه فى ٢٤ من نفس الشهر • كانت قمة آماله وحدة العرب ...

ما كان منها ظاهر التفوق الآن مثل السوق الامريكية وما كان منها يتوقع التفوق فى المستقبل مثل سوق دول شرق آسيا •

والمسيرة التى سارتها الدول الأوروبية وانتهت بها الى قيام السوق المشتركة فى أول يوم من أيام هذا العام لا تنتهى بوصولها الى هذه المرحلة لأنها عازمة على الاستمرار فى مسيرتها حتى تبلغ مرحلة الوحدة الأوروبية السياسية والاقتصادية الكاملة بحيث يتمتع كل مواطنيها بشخصية بل قل بجنسية جديدة هى الشخصية أو الجنسية الأوروبية من دون أن يتخلوا عن انتماء كل منهم الى جنسيته الحالية وقد شرح أحد الوزراء البريطانيين ذلك بقوله أن زوجته شديدة الاعتزاز بانتمائها الى اسكوتلندا من دون أن يمنعها ذلك م نأن تكون الآن شديدة الاعتزاز بانتمائها الى بريطانيا ومن دون أن يمنعها ذلك فى المستقبل من أن تكون شديدة الاعتزاز بجنسيتها الأوروبية •

نحن فى العالم العربى نشهد هذه المسيرة الأوربية التى بدأت بخطوة صغيرة تبعتها خطوات مرسومة محسوبة وصلت بها الآن الى مرحلة السوق المشتركة وجواز السفر المشترك ونحن جديرون بأن نتأمل كيف كانت أوروبا قبل قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ • وكيف أصبحت عام ١٩٩٣ لنرى كيف تقوم الآن علاقات التراحم والتلاحم مقام علاقات التحدى والتباغض بين فرنسا وألمانيا على سبيل المثال وندرك أن ذلك التحدى وما أدى اليه من حروب كان سببه محاولة لكل دولة أن تكسب لمواطنيها من المكاسب المادية ما كانت تتصور أنه لابد من انتزاعها انتزاعا من يد الآخرين كما نعرف الآن أن أوروبا اقتنعت بأن هذه المكاسب يمكن أن تتحقق لدولها جميعا بالتعاون والتضامن والتكافل وأنها بالحروب التى يتاح فيها لبعضها أن ينتصر على البعض الآخر لا يفلت المنتصر من بعض

ما يصيب المهزوم من فقد للارواح وتدمير الممتلكات ووقف لمسيرة التقدم والرقى .

إن أوروبا اليوم تتطلع الى استخدام طاقات أبنائها جميعا لخدمة المجموعة الأوروبية واستغلال مواردها الطبيعية جميعا لخدمة هذه المجموعة . وتعلم أنها بتنظيم هذه الطاقات وهذه الموارد يمكن أن تحقق للمجموعة الأوروبية كلها ولكل دولة من دولها ما لم يمكن تحقيقه بالحروب التى أنهكت أوروبا ونزل بها عن مكانتها السابقة فى دنيا الحضارة وجعلها قارة تابعة للقارة الامريكية أى للولايات المتحدة الامريكية .

أوروبا اليوم تتطلع الى قيـام الولايات المتحـدة الأوروبية لتتعاون تعاون الأنداد مع الولايات المتحدة الامريكية والمسئولون فى عالمنا العربى اليوم من حقهم وواجبهم أن يبحثوا عن طبيعـة علاقات الدول العربية اليوم وعن مسيرة كل منها ومسيرتها جميعـا نحو المستقبل .

إننا منذ ثمانية وأربعين عاما قد سبقنا الدول الأوروبية الى إقامة منظمة جامعة الدول العربية وأدرجنا فى ميثاقها نصا يتطلع الى قيام علاقات أوثق وتعاون أكبر بين دولها لكننا لم نتقدم كثيرا منذ أنشأنا جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ بل تعرضنا لنكسات تركت آثارها فى أنفسنا وسقطنا فى خلافات وصراعات روعنا منها هجوم احدى دولنا على دولة أخرى أصغر منها كما روعنا تدهور العلاقات بين بعض دول الجامعة وبعضها الآخر وتبادل الاتهامات بأن بعض الدول تكيد لبعض آخر وتضمر له الشر .

ويبدو للمتأمل فى أحوال الدو ل العربية أننا قد تقهقرنا بدلا من أن نتقدم فى علاقاتنا العربية منذ أنشأنا جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ اتفقنا على ميثاق للدفاع المشترك وبدلا من ذلك سمحنا

بوقوع الحروب من بعض دولنا وبعضها الآخر اتفقنا على ميثـــاق للتعاون الاقتصادى وبدلا من ذلك تبادلنا الاتهامات بأن بعضـــنا يتعرض للاستغلال الاقتصادى من البعض الآخر مددنا أذرعتنا لنتعاون تعاونا وثيقا بين بعض دولنا والبعض الآخر ثم تراخـــت الأذرع وحل التشابك محل التعانق لم يتح لنا أن نحسب الحساب الذى حســـبته دول أوروبا وانتهت به الى أن التعـــاون والتكامل والتضامن جديرة بأن تتقدم بوحدات المجموعة الغربية نحو السلام والرخاء المنشود لكل شعب من شعوبها •

وفى زمن قريب من الزمن الذى أمضته دول أوروبا فى مسعاها نحو قيام السوق المشتركة هذا العام وعملها على بلوغ مرحلة الوحدة السياسية فى مستقبل غير بعيد فى زمن مماثل لزمن المسيرة الأوروبية تراجعنا فى مسيرتنا العربية تراجعا يأسف له الجل الحاضر أشـــد الأسف ويجب أن يتأمل الجيل المقبل ليخطط لنفسه خطة التصحيح للمســـيرة •

أليس من الضرورى لشباب العالم العربى اليوم أن يفكر فى المنهج والطريق الذى يمكن أن يؤدى الى تمتع العرب جميعـــا بالشخصية العربية الى جانب تمتع كل منهم بشخصيته القطرية الحالية اذا كانت السيدة الاسكوتلندية لا نجد فى اعتزازها بانتمائها الاسكوتلندى أن تجمع من اعتزازها اليوم بجنســـيتها البريطانية واعتزازها غدا بجنسيتها الأوروبية مع ما هو معروف من اختـــلاف دول أوروبا فى اللغة والعادات والتقاليد بل والدين أليس من الممكن للشباب اللبنانى والشباب المصرى والشباب المغربى ولكل شـــباب العرب أن يتطلع الى يوم يضيف فيه الى اعتزازه بجنسيته الحالية اعتزازا أقوى بالجنسية العربية •

ألا نبغى لشباب العرب اذا تعذر ذلك على رجال العرب أن يرسموا الأنفسهم الطريق الذى يؤدى الى خطوة مثل خطوة انشاء السوق الأوربية المشتركة وينتهى الى قيام الولايات المتحدة العربية كما ستقوم الولايات المتحدة الأوربية •

ألا ينبغى على شباب العرب اليوم أن يتحققوا من أن بلادهم بالتعاون والتضامن والتكافل ستستعيد حتما ما كان لها من صدارة فى مسيرة الحضارة العالمية وستحتل مكانها اللائق لها فى العـــالم الجديد الذى تتضامن فيه دول أوروبا وتتعاون وتمد الولايات المتحدة الأمريكية فيه يدها الى دول القارتين الأوربيتين طلبا لمزيد من التعاون وتهب فيه رياح التعاون على دول شرق آسيا على رغم ما هو معروف بين كل هذه الدول من خلافات وعداوات •

نحن رجال هذا الجيل من أجيال العرب الذى تخلصت أجزاؤه من سيطرة الأجنـــبى وتعددت أعلامه فرحة باستقلالها معتـــزة بهذا الاستقلال نتطلع الى أبنائنا راجين أن يوفقوا الى تعزيز الاستقلال بالوحدة الى قيام الولايات العربية المتحدة الى جانب قيام وحداتها الحاليـــة المســـتقلة •

* * *

(خبـــــــر)

وفـــاة الدكتور الزيـــات

وزير الخارجية الأســـبق(*)

توفى أمس الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية والاعلام الأسبق عن عمر يناهز ٧٨ عاما ، وقد شيعت جنازته عقب صلاة العصر أمس من مسجد عمر مكرم •

منح الفقيد وسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام ١٩٦٤ ، ونجمة الصومال عام ٦٧ ، ووشاح النيل عام ٧٥ ، ووسام الاستحقاق •

وكان قد تخرج من كليه الآداب ، وكان تلميذا لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين ، وقد تزوج من كريمته زميلته فى كليـــة الآداب عام ٤٨ ، وحصل على الدكتوراه من جامعة اكسفورد فى « تأثير السياسة الايرانية فى الأدب السياسى العربى فى القرون الثلاثة الأولى فى الاسلام » •

وقد عين الفقيد فى عام ٧٢ وزيرا للاعلام ، ثم وزيرا للخارجية ، ثم مستشارا لرئيس الجمهورية بعد حرب أكتوبر ٧٣ ، حتى بلغ سن التقاعد ، كما شغل ــ قبل ذلك ــ عددا من المناصب الهامة منها رئيس لهيئة الاستعلامات ، ورئيس وفد مصر لدى الامم المتحدة ، وسفير فى الهندونيبال ، ونائب لرئيس لجنة التعاون الدولى التابعة للامم المتحدة ، ومثل مصر فى محادثات نزع السلاح فى جنيف •

(*) الاهرام ، الخميس ٤ رمضان ١٤١٣ هـ ــ ٢٥ فبراير (شباط) ١٩٩٣ ــ ١٨ أمشير ١٧٠٩

كما تولى رئاسة لجان الشئون العربية ، والثقافة ، والاعلام ، والسياحة بمجلس الشعب ، والثقافة ، والاعلام فى برلمان وادى النيـــل •

وقد عاد الى العمل الاكاديمى بعد سن المعاش ، وعمل أستاذا للأدب العربى فى الجامعات المصرية ، والعالمية ، واختير عضوا بالمجمع العلمى المصرى ، وقد ألف كتاب « ما بعد الأيام » كما شارك فى لجنة التحكيم لجائزة انديرا غاندى •

* * *

خاتمة الكتاب

* وفى خاتمة هذا الكتاب .. أترك سطورها عامدا متعمدا الى شقيق د. الزيات نفسه وهو المهندس عباس حسن الزيات نائب وزير الصناعة الأسبق ، وذلك لعدة أسباب أوردها فيما يلى :

* **أولا :** أنه الشقيق الوحيد الباقى على قيد الحيـــاة من أشقاء د. الزيات الذكور .

* **ثانيـــا :** انه آخر البشر الذين التقى بهم فقيدنا الراحل قبيل الوفاة بساعات .

* **ثالثا :** اننى أردت التأريخ لكل شىء فى حياة د. الزيات ــ الانسان ــ والعملاق .

وقد أطلعت فى « رأس البر » المهندس عباس الزيات على ملخص ومضمون لفصول وأبواب هذا الكتاب ، وجلسنا سويا نســـتعيد الذكريات معا وكلها عن د. الزيات وقال لى الوالد المهندس عباس الزيات الكثير والكثير عن شقيقه قطب السياسة والدبلوماسية والثقافة والأدب والمفكر والانسان وهذا لا يتوفر عند البعض أو كثيرين ، فإن قطوفا من رحيق الذكريات اذا نطق بها شقيق قريب جدا لشقيقه الراحل لا شك تكون أكثر مصداقية وموضوعية خاصة فى دائرة القرابة والحياة الخاصة ، وهذا طلبته تحديدا من المهندس عباس حسن الزيات ورغم أننى كنت أرى وأحس تماما وبنفسى مدى الآلام العظيمة والاحساس بالفراق المهيب والفراغ الهائل لدى المهندس عباس الزيات بعد رحيل شقيقه د. الزيات ، لكن هذا لم يمنعنى ورغم قسوة الموقف أن أحصل على قطوف من رحيق الذكريات من المهندس عباس الزيات خاصة بالدكتور محمد حسن الزيات ، والحقيقة رأيت الرجل فى غاية الحماس لذلك .. شديد الوفاء والتقدير والعرفان لمآثر د. الزيات

عليه وعلى أسرته وقد ألمح الى ذلك فيما ذكره ، أيضا أراد أن يضيف للكتاب ما أسميه أنا مسك الختام بكل الوفاء والانتماء .

* كتب المهندس عباس حسن الزيات يقول : إذا أردت أن أتحدث عن شقيقى د. محمد حسن الزيات فى سطور ضمن كتـاب الأخ العزيز الكاتب صاحب الوفاء والانتماء الإستاذ سمير فـراج الصديق الصدوق ، أجد نفسى فى حيرة من أمرى لتعدد زواياه .. !

هل أكتب عن د. الزيات الفارس الذى أحب مصر واغترب من أجلها ومدافعا عنها فى كل أرجاء العالم ، فى السلم والحرب ، وفى أرفع المجالات العالمية الدبلوماسية .. أم أتحدث عن د. الزيات العملاق الذى صال وجال فى أرقى وأهم المنتديات يحارب من أجل نصرة وطنه المصرى والعربى فى كرامة وعزة واباء وقوة وشمم ، ليجعل من هذا الوطن باستمرار صاحب المكانة الرفيعة أمام العالم كله ويقوده أو يشارك فى قيادة سفينته السياسية والدبلوماسية ويحقق العديد من الانتصارات والانجازات الكبرى لصالح الانسان العربى عامة الذى كان يشغله دائما ويسعى بكل الاصرار ليجعله موجودا فى المكان اللائق به وهذا كله ليس بغريب أو غير معروف لكل ركـاب السفينة وربانها ومن قرأ عن الدبلوماسية العالمية لابد وأن يعرف أن د. الزيات مارسها فكان أحد فرسانها ونجومها وعمالقتها العالميين .. فقد عاش الدكتور الزيات بالصيت المدوى لرجل تمتع بالثقافة والذكاء وبعد النظر ، وكان قادرا باستمرار على تصور المواقف المستقبلية سياسيا ولديه قدرة غير عادية على التنبؤ بالأحداث السياسية وكان يحدد مواقفه على أساسها .

* * *

الزيــات الانســان والشــقيق

* وأرجو أن أتكلم عن د. الزيات الانسان والشقيق .. شقيقى الذى لم تقف علاقته بى على أساس علاقة الشقيق بالشقيق فقط ولكن كانت علاقة والد بابنه ، الاستاذ بتلميذه .. تعلمت منه الكثير وأدركت منذ زمان طويل .. طويل كيف كان د. الزيات هو الابن أيضا الذى يجمع بين حب الوالدن واحترامهما وطاعتهما وينتهز بين الحين والحين وسط مسئولياته ومشاغله الدائمة وسفرياته الى العالم فى مختلف عواصمه وبلدانه .. لينعم ويسعد برؤية الوالدين وبحبهما الجارف له .. كان أيضا حنونا على إخوته ذكورا وإناثا يحترمهم جميعا وهم يبادلونه الحب بالحب الأعظم والتقدير العميق كان يتمتع بمكانة خاصـة عندنا فردا فردا حتى من هم أكبر منه سنا كان يكبره المرحـوم المستشار شقيقنا ابراهيم حسن الزيات مدير عــام ادارة التشريع بوزارة العدل وعبده حسن الزيات الذى جمع بين السياسة والصحافة والأدب والقانون ، فكان رئيسا لتحرير جريدة كوكب الشرق ثم « الوادى » ثم محاميا فى النقض والابرام وكان أول من كان له صلة بعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين « صهر » شقيقنا الغـالى د. محمد حسن الزيات زوج ابنته السيدة أمينة .

* * *

الزيــات المؤمن الشـجاع

* ولعلنى أيضا أتحدث عن شقيقى د. الزيات المؤمن الشجاع كان ايمانه رحمه الله بالدين الحنيف من أبرز صفاته وكتاب الله الكريم هو مرآته التى يسترشد بها ويعتز — فى كل المجالات والمحافل العالمية التى تحتاج الى تفسيرات حضارية وقيم اجتماعية ودينية راسخة .. كل شىء كما يقول يجده فى القرآن .

على صــبرى ود. الزيــات

* لم أنس يوم طلبه « على صبرى » وقال له يا دكتور « زيات » اننا فى حاجة اليك لتذهب الى الصومال رئيسا للمجلس الاستشارى للامم المتحدة « هناك » وأخبرنى الرئيس جمال عبد الناصر بضرورة الاستفسار عن رأيك أولا فى قبول ذلك ــ فما رأيك ؟

وأضاف على صبرى رحمه الله يقول : وأخبرك أن الامم المتحدة تزكيك فى هذا المنصب ولا تريد غيرك .

ــ فقال له شقيقى د. الزيات : قل الرئيس عبد الناصر اننى ذاهب إن شاء الله للصومال ..

وبعد أن علمت بذلك قلت له : أليس هذا الموضوع يا أخى فى حاجة الى اعادة تفكير وتروى خاصة أن مندوب مصر هناك فى الصومال قد « استشهد » وهناك مخاطر عديدة بعد ذلك فقال أخى د. الزيات : انى لم ولن أتخلى عن حب وخدمة وطنى مصر والتضحية واجبة فى سبيل ذلك مهما كات المخاطر « يا عباس » ان كنت تقصد بما تقول استشهاد زميلى السابق فاعلم أننى مؤمن بالله وبالقضاء والقدر ، والأعمار كلها بيد الله ..

* وسافر أخى د. الزيات بالفعل ونجح فى مهمته تماما ، ومنحته الصومال أرفع نياشينها « نجمة الصومال » لكفاحه ونجاحه فى ازاحة الاستعمار عنها .. وكان بعد ذلك المواطن الأول فى الصومال وقد منحه هذا اللقب الرئيس الصومالى الجديد .

وكانت فترة الصومال تلك من الفترات التى أخبرنى عنها بأنها من أروع أيام حياته .. وأنه سعيد بتحقيق الاستقلال لها .. وأخذ

يذكرنى بخوفى عليه وهو ذاهب اليها فى البداية ، فأى نموذج كنت يا أخى الوطنى الغيور على استقلال الأوطان الحريص على ذلك مهما كانت التضحيات والمخاطر .. انها على كل حال شجاعتك وجرأتك المعروفة وايمانك بالله عز وجل وقدره .

لقد كان شقيقى د. الزيات جامعة فى الدبلوماسية والسياسة والأدب والثقافة ، وكان أضا هذا المتواضع الجم الدمث الخلق الشديد الطيبة .

* * *

د. الزيات بعيدا عن المناصب الرسمية

* وهل أتكلم عن د. الزيات بعيدا عن الزيات الوزير والزيات السفير والزيات الدبلوماسى والزيات الاعلامى والزيات المتحدث الرسمى باسم مصر .

أريد أن أتحدث عن الزيات مجردا من مناصبه ، الزيات الرجل موضع الاحترام والتقدير فى عالمه العربى وكذلك فى العالم أجمع ، الزيات العضو فى الجماعات العالمية رفيعة القدر والمستوى والتى تضم أعلام العالم وقد بقى عضوا بها حتى بعد اعتزال الخدمة والعمل الرسمى وهو دون نفوذه من هذه الهيئات الرفيعة العالمية .

* مثل فى الهند : لجنة جائزة انديرا غاندى للسلام العالمى .

* وفى المغرب : لجنة الملك الحسن ملك المغرب للارتفاع بمستوى شعوب دول العالم الثالث .

* وفى فرنسا : لجنة اليونسكو لجائزة السلام العالمى .

* وفى سويسرا : كان عضوا فى لجنة نزع السلاح بجنيف .

❋ وفى الولايات المتحـدة الامريكية : الاســتاذ الزائر فى « جامعة كولومبيا » بنيويورك •

❋ وفى بريطانيا : عضو لجنة اليونيسف للثقافة •

وترأس جمعية الصداقة المصرية الهندية بالقاهرة وقد عشقته شعوبا بأكملها وأحبت فيه الانسان ، وتجسد ذلك فى « الهند » الذى بادلها عشقا بعشق وكذلك لم يكن شعب الصومال أقل من الهند حبا له وتقديرا واحتراما وعشقا لمـا فى شخصيته من سحر •

د• الزيــات دمـيــاطيا

❋ وهل أتكلم عن د• الزيات « أخى » العزيز الغالى — وعلاقته بمسقط الرأس الكريم « دمياط » الذى ظل متعلقا بحبه لها الذى فاق الوصف حتى لفظ أنفاسه الأخيرة وصعدت روحه الطاهرة الى بارئها راضية مرضية •• قبيل الرحيل بساعات ، بالتحديد فى ساعات الليل المتأخرة تحدث الى وكنا فى « شهر رمضان المكرم » وقال لى ، سأمر عليك صباحا بإذن الله لنذهب سويا الى دمياط •• الأنى أريد « يا عباس » أن أقضى شهر رمضان كله هناك — فيها بين أهــل بلدى واستعيد فيها رحيق الذكريات •• إننى يا عباس أشعر براحة كبرى وسعادة بالغة فى « دمياط » أتذكر فيها ذكريات الأمس والماضى البعيد •• أستعيدها بعذوبة شبابى وأحلامى •• أستدعى كل ذلك على مسرح الحياة الآن •

❋ ❋ ❋

د. الزيــات جثمان مسجى على فراش المــوت

* وتشاء إرادة الله سبحانه وتعالى ولا راد لقضائه ، أن تكون اللحظة التى قرر فيها أخى د. الزيات أن يأتى فيها عندى فى مصر الجديدة لنذهب سويا الى معشوقتنا معا دمياط نقضى فيهـا البقية الباقية من أيام شهر الصوم المبارك يأتينى هاتف سريع بشىء ما قد حدث !

وفى الجانب الآخر يدق هاتف منزلى بشكل متواصل فى الصباح ، فأرفع السماعة وأنا مرتبك ، لم أكن سوى هذا الانسان الذى يحس بصدق بأن خبرا ما سوف أرتعد عند سماعه !

أحسست أن السماء ملبدة بالغيوم ..

وأن العواصف والرياح كثيرة ستعكر من صفو الحياة وأن البركان قادم والزلزال يتهيأ للحدوث .. كانت بالفعل احساسات غريبـة وقصيرة .. عشت فيها فى ثوان وأنا ذاهب لأرفع سماعة الهاتف فى منزلى .. !

كان الصوت الذى حدثنى هو الدكتور مهندس حسن محمد حسن الزيات ابن أخى د. الزيات .. ومن خلاله أدركت أن فى الأمر شيئا مهيبا وأبلغنى بصعوبة النبأ الأليم !

لقد مات والدى فجأة وهو الآن جثمان مسجى على فراشه ، عيناه الى السماء .. ونفسه هادئة وروحه صعدت الى خالقها فى امتثال وقبول .

* سألت واستغفر الله : كيف ؟

إنه على موعد معى الآن للذهاب الى دمياط !

لقد قال لى ذلك منذ ساعات مضت فى الليل !

ـ قال الابن الغالى : هذا قضاء الله •• الحمد لله على ذلك •• لقد مات على سريره ولم يتعرض لأدنى مضايقات أو آلام •• ومات فى شهر رمضان المبارك بكل ما فيه من نفحات الهدى والايمان فى دين الحق والنور والهداية « الاسلام » •••

وكنت استمع والدموع تترقرق فى عينى ولم أكن بقادر على مواجهة الموقف وغير مصدق لما حدث !

يا سبحان الله •• يا سبحان الله •• لقد رحل دون وداع وفجأة هكذا وبينما أنا أنتظره للذهاب الى دمياط وبفضل الله استعدت توازنى وأسرعت الى منزله وأنا متقبل لقضاء الله واستعيد قوله الكريم :

« فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ••

دلفت مسرعا الى غرفة نومه وألقيت نظرة عليه وجدته راضيا مرضيا •• وقد أسلم روحه الى بارئها •• تأملته ومن قسمات وجهه لاحظت راحته الكبرى لقد أدى رسالته فى الحياة كانسان وكمسئول له وزنه فى العالم كله على خير ما يرام وكان نعم الأخ والصديق والزميل لكل من فى دائرة عائلته أو عمله وحياته فقط لم تتحقق آخر أمنياته فى أن يذهب الى معشوقته دمياط فى آخر لحظة من حياته — وهو الذى كانت تتحقق له معظم أمنياته •• لكنها ارادة الله وقدره •

* * *

أقــزام يتطاولون على عمالقــة

* وسيبقى د• الزيات دائما هو هذا النجم والكوكب الساطع فى سماء الحياة السياسية والدبلوماسية والأدبية والثقافية والاجتماعية •• كان فارسا نبيلا من فرسان المبادىء وأصحاب العقيدة التى لا تتزعزع أو تلين كان صلبا فى التمسك بما يراه هو حق ويدرك أنه الحق •• مهما كلفه ذلك من بريق يفقده أو منصب يتركه كان يعيش

حياته فى إطار « الحق والخير والجمال » •• لم ينفصل يوما عن هذه المعانى الكريمة الخالدة فى وجدانه ومن اقترب منه كان ينبغى عليه أن يتفهم كل ذلك فيه •• أما الذين لم يتفهموا ذلك فهم غير أمناء على الاطلاق ويوم طلب منه الرئيس مبارك أن يعود لدمياط مسقط رأسه التى يحبها ويعشقها أمينا عاما للحزب الوطنى للمحافظة — وذلك بعد أن اعتزل عمله الدبلوماسى والسياسى فى الخارجية المصرية •• لم يمانع الرجل ورحب أيضا بذلك ••

* وكان على كل دمياطى أن يتفهم معنى وجود الزيات ابن دمياط البار على رأس الحزب الوطنى •• فهذا قصد به صالح دمياط •• لأن المنصب يعتبر تكريما لدمياط •

فالزيات كان وزيرا للخارجية وكان من الممكن جدا أن يكون سكرتيرا عاما للامم المتحدة أو الأمين العام لجامعة الدول العربية ، أو نائبا لرئيس الجمهورية أو رئيسا للوزراء أو غير ذلك من المناصب الرفيعـــة •

* وعندما خاض د• الزيات انتخابات مجلس الشعب الأخيرة ممثلا للحزب الوطنى كان بدافع خدمة دمياط أكثر وأكثر •• واسم الزيات يفوز بالضربة القاضية فى الهند والصومال وحتى الولايات المتحدة الامريكية •

اسم الزيات له وزنه وقيمته وأهميته •• لكن هناك معايير أخرى وحسابات أخرى فى لعبة الانتخابات لا يجيدها د• الزيات « الشخصية الدمياطية المصرية العربية العالمية » ••

* والزيات كان يستطيع الاطاحة بخصوم كثيرين لو أنه لم يكن مع الديموقراطية ومع حرية الرأى ، وفى اطار ذلك سعى لتأكيد وترسيخ الديموقراطية دون التعرض لها بما يحدث الخلل !

وفى انتخابات مجلس الشعب التى جرت فى دمياط ولم يحقق د. الزيات فيها الفوز .. فإن هذا لا يجب أن ينظر إليه إلا بنظـرة انتصاره للديمقراطية ولو على حساب مكسبه الشخصى ..

* على كل حال كان اسم د. الزيات هو الضحية .. لكنه كان سعيدا رحمه الله بالديموقراطية وبالممارسة الواعية لأبناء الشعب فى دمياط — ولأنه شديد الثقة فى نفسه ويعيش بكل الزهد فى أى منصب .

لقد تولى أرفع المناصب فى مصر والعالم العربى ومن تلاميذه كبار رجالات السياسة والدبلوماسية الآن فى مصر والعالم العربى ومعظمهم من الوزراء والذين يتولون أرفع المناصب السياسية فى الشئون العربية .

* يبقى لى أن أقول كلمة فى ختام هذا الكتاب أنه لن يستطيع أقزام صغار لا وزن لهم ولا قيمة الاساءة لشخص ابن دمياط البار وابن مصر الغالى وابن الأمة العربية المنتمى بصدق .. وابن العالم الذى عشق فيه الصدق والموضوعية والامانة د. محمد حسن الزيات ، انهم أقزام يتطاولون على العمالقة ، جهلاء ، هم يرتمون دائما فى أحضان الأمية والجهل رغم التأكيد من البعض منهم بأنهم من مؤرخى دميـاط !!

* * *

دعـوة لمحافظ دميـاط

باعادة صـياغة التاريخ فى دميـاط

* وأنتهز الفرصة فى هذا الكتاب الأول من سلسلة كتب أعلام دمياط إن شاء الله الذى يبدأ بالدكتور محمد حسن الزيات أن أدعو محافظ دمياط الأديب الكبير والمثقف الواعى الاستاذ المستشار محمد عبد الرحيم نافع للنظر بسرعة فى ضرورة اعادة صياغة التاريخ فى دمياط الحافلة حياتها فى الماضى البعيد وحتى الآن •• بتقديم أطايب الوجبات الأدبية والثقافية والفلسفية والتاريخية والدينية والاجتماعية عبر تاريخها الطويل عن طريق نجومها وكواكبها من المشاهير أمثال الدكتور على مصطفى مشرفة ، والدكتور زكى نجيب محمود والدكتور شوقى ضيف والدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت شاطىء دمياط » وحتى « رأفت الهجان » أو رفعت على سليمان الجمال •• اسطورة البطولة التى عرفناها ويجب أن نبدأ من الآن فى إخراج هذه الموسوعة الهامة عن أعلام دمياط ولا نترك فرصة لادعياء الأدب والثقافة ، والتأريخ للعب بكرة الجهل فى ساحة التاريخ •

الكفراوى الانسان والأرض والحـلم

* وليكن الكتاب الثانى هو « الكفراوى الانســان والأرض والحلم » أقصد الوزير المهندس حسب الله الكفراوى البطــل الذى يعيش حياة الانسان العادية ويرتبط بالأرض فى ريف دمياط ويحلم لمصر والعالم العربى كله ••

ان الكفراوى « ملحمة » بطولة على أرض الحق والخير والجمال •

الدب الذى قتــل صــاحبه ‥ !

* ولى كلمة أخيرة للرد على الاستفسارات الكثيرة التى سمعتها من أهل دمياط والبعض فى القاهرة على ما قاله مسئول اعلامى فى دمياط عن « البطارخ » التى كانت ترسل للوزراء فى حكومة د. عزيز صدقى عن طريق ابن دمياط الكريم د. الزيات ‥ وباصرار منه ‥ هو أراد أن يبين الكرم الدمياطى — فكان مثل الدب الذى قتل صاحبه ‥ !

لم يكن يقصد الاساءة للدكتور الزيات فهو الذى سانده وعمل على تقويته وهو بعد نبات لين لكن البعض حينما يتحدث أمــام ميكرفون يتلخبط وهذا المسئول الاعلامى من هذا النوع ‥ والمسألة لا تستحق أكثر من ذلك ‥ فقط أقول أن د. الزيات لم يكن يريد عن طريق هذه البطارخ شيئا لدمياط لأنه ليس فى حاجة لوساطة من أحد ‥ ولأنه كان وزيرا كبيرا وعلى المستوى الرفيع ‥ وعن طريقه يمكن حل جميع مشاكل دمياط عن طريق الاتصال برئيــس الجمهورية مباشرة ‥ فالزيات بالذات يتمتع بحب واحترام وتقدير جميع رؤساء وملوك دول العالم .

وهذا المسئول الاعلامى دمث الخلق طيب جدا ولم يكن يقصد سوى تأكيد كرم الدمايطة وعلى رأسهم د. الزيات فى محــاولة لابعاد اتهام دائم عن الدمايطة بأنهم قوم بخلاء ‥ !

تكريم د. الزيــات فى مهرجان الوفاء والانتمــاء

* ولم يكن المهرجان الأول الوفاء والانتماء الذى دعوت اليه فى دمياط مسقط رأس د. الزيات لتكريم اسمه الا محاولة بالتقدير والعرفان لرجل من أغلى الرجال جاء من الزمن الماضى الجميــل ليعيش معنا حتى هذا الزمن الردىء الحزين ‥ حيث تغيرت الدنيا تمــاما ‥ !

وقد حقق المهرجان هدفه النبيل وشرفه محافظ دمياط المستشار محمد عبد الرحيم نافع بكل الوفـــاء والانتماء لذكرى الزيـــات ونحن دائما أحوج ما نكون الى تأكيد وترسيخ مثل هذه المعـــانى النبيلة على الشاطىء الدمياطى الطهور •

* * *

المؤلـــف

ســـمير فـــــراج

مصر الجديدة •• القاهرة

١٥ / ٧ / ١٩٩٣

العنوان البريدى :

القاهرة ص• ب ٢٠١ الدواوين

ملحق
بالوثائق والصور

SAN GIOVANNI
Hotel - Casino - Rest. - Bar
205, El Guieche - Stanley
Alex. - Egypte
Tel.: 40984 - 48178
R. Com. 69477

سان جيوڤاني
SG
سان جيوڤاني

سان جيوڤاني
فندق - كازينو - مطعم - بار
٢٠٥ طريق الجيش ستانلي إسكندرية
تليفون: ٤٠٩٨٤ — ٤٨١٧٨
س.ت ٦٩٤٧٧

عزيزي السيد الراهب

كتابي إليك من هذا الفندق الجميل، فاليوم أول أكتوبر من الشهر،

وقد انقضى الصيف وهذا الفندق يغلق أبوابه استعدادا لموسم من جديد بعد أن يصلح ما أفسد الصيف ويستعد لموسم الشتاء، والجو مع ذلك جميل رائع فيه أنس ودون أن تكون فيه كآبة، والموج الذي يتحرك حركة دائمة لا تنتهي وشيئية كأنها قرص يستقبل الرحيل... لا من يسبح ولا من يسير ولا من يلهو فوق هذا الموج الذي عودة الصيف مرحلة الشباب.

أم ترى لا تذكر لا الجروح ولا [illegible] داخلنا! هناك قصة بابلية معروفة عن جريمة قتل، يرويها شهودها ويرويها صاحبها ويرويها القاتل، كلهم لا يعيدون المشهد لكنه كما رآه هو، وربما أوحى الزمن به إلى الرواية والرواية، وربما أعطى إحساس القارئ حلمه بالأمس، هنا يرى أن الصدق نفسه له صورة المختلفة...

لماذا أتحدث إليك بهذا، وقد أخذني القلم لأكتب سطورا أشكرك بها على هذه الهدية الظريفة، تخبرني أنك قد تنقلت واحتفلت في الحجاز بيننا بمعرفة مثل ما لم تكن تعرف... وبالطبع ما لا تعرف شيء من [illegible] من الكلام أن تضعف حركة الوصف فنفتقد ما لا نعرف — هل الرحلة إلا التي لابد أن يستقبل السكارى — هل ترى أن القوم يواجهون من الكون مع انهيار البلاد العربية وسكانها — والآن تنتقل الناس ولا يمكن أن يستمر بالشرق الواجب قبل تغيير الكتاب بهذه الصلة — كما قمت بـ ليستقلوا إلى سكانه وتدبير [illegible] أفعالهم حتى شيئا بل شيئا لذا فنفتقد ٣٠٠٠ من العالم ثم يبدؤوا ثانيا تهيئة الأوراق 2 هذا الآن وأحيانا أستعمل ما رأيت إلى الورق [illegible] الآن — فتلك تتصل —

وإنك تسأل عن رأس البر؟ وقد تعب قلبي وإصبعي كليهما، وكأنك تسخر أن أسأل
عن رسائل، والحقيقة أن مشاغل الدنيا [illegible] أن أقبل الانضمام إلى اللجنة المركزية
[illegible] الجديد، وأن أكون سكرتيراً [illegible] (رسائل) وأن أشتغل [illegible]،
ولكن [illegible] من زمن كله، ولا أدري أجزاء تلقت أم لم تلق جزءاً — ولكن
أهم [illegible] الآن جرح عمره ثلاث سنوات، ولو كنت تقرأ الصحف
اليومية لعرفت مرارة فقد المدد، فقد [illegible] الأحداث [illegible] أكثر من
[illegible] أن [illegible] ٧٢ — [illegible]!
[illegible] من [illegible]! من يصنع التاريخ؟ من يذكر التاريخ؟ من يعلم التاريخ!
[illegible] من [illegible] أبعد ما [illegible] من [illegible] — [illegible]
[illegible] الانتقال الأول [illegible] الأولى — ثم [illegible] ثم [illegible]
[illegible] في [illegible] — [illegible] من [illegible]
[illegible] أن [illegible] في [illegible] الذاتية الثابتة؟ هل [illegible] أن تنسى
[illegible] كل شيء؟

[illegible] (الجدد أكثر) [illegible] إن أنت [illegible]!
[illegible] (مشترك من [illegible]) ولكني لا أدري هل يستطيع
أن [illegible] والدفء إليك؟ [illegible] أن تكتب
[illegible] أن [illegible] — [illegible]
[illegible] . وما [illegible] لا [illegible] — ولكنه [illegible]
[illegible] رسائل [illegible].

[illegible] ... أن [illegible] إلى [illegible] — [illegible]؟ — [illegible]
[illegible] — [illegible] لم تكن [illegible]
[illegible]) — [illegible] — أن [illegible] الذي [illegible] المدينة [illegible]
[illegible] من [illegible] — [illegible] الأبيض، والرمادي؟ [illegible]؟
[illegible]؟ [illegible] —
[illegible]؟

[illegible] شيئاً، [illegible]
[illegible] الدفء [illegible] الذهبي [illegible]
[illegible] [illegible] الشقة الشرقية [illegible]

• [illegible] خطيرة [illegible] الزيات [illegible] الحمل [illegible]
[illegible] تاريخية

[illegible]
[illegible]
١٩٧٦/٢/١٥

الأخ الأستاذ عبد الوهاب [illegible]
تحية وأحسن تمنياتي، وبعد [illegible]

[illegible] في ١٧ [illegible] الماضي، وأرجو أن تقبل عذري
لتأخري [illegible] وشكرا لتفضلك بكتابة [illegible]
أيضا [illegible] عن [illegible] صادق [illegible] أثر في نفسي
[illegible] أن [illegible]
[illegible]

[illegible] الصين [illegible] ليبيا [illegible]
[illegible] في الصين [illegible]
[illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] ليبيا [illegible]
[illegible]
[illegible].

[illegible]
[illegible] وزراء [illegible]
[illegible]
[illegible].

[illegible]
[illegible]
[illegible]

وقد تقنت سعيدا بالكم هذا [illegible] وقد [illegible] أعظم [illegible] الله [illegible] طبعته
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واية المؤلفة [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تفكر [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وصول إلى [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

● لم يكن د. الزيات ينفصل عنه من تقاريره وحياته أو يبتعد عن دفاعه عن عشاق مصنفه الفريد ابن البيطار الأندلسي أعظم مصنفي [illegible] العالم. وهذه رسالة بخط يده توضح ذلك ......

بسم الله الرحمن الرحيم

+++

مديرية الشئون الاجتماعية بدمياط

مكتب / المدير العام

++++

السيد الاستاذ / المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط

بعد التحية :ـ

تتشرف مديرية الشئون الاجتماعية بدمياط بتوجيه الدعوة لسيادتكم لحضور الحفل الخاص بمهرجان الانتماء والوفاء للخالدين من أبناء دمياط البارزين وفى هذا المهرجان الذى يقام فى اطار احتفالات المحافظة بعيدها القومى يتم اقامة معرض خاص بمقالات ودراسات الكاتب الصحفى الدمياطى الاستاذ / سمير فراج التى نشرها فى جريدة الانباء الكويتية والعالم العربى فى حلقات وأيضا مناقشة لكتابه (د • محمد حسن الزيات وصفحات مضيئة من تاريخ الدبلوماسية العربية) ويعرض المهرجان لاحاديث صوتية للدكتور الزيات مع مؤلف الكتاب الاستاذ / سمير فراج ـ

هذا وتدور مناقشة عامة حول الوفاء والانتماء لابن من أبناء دمياط الابرار وهو د • الزيات وزير خارجية مصر الاسبق الذى عاش بكل الوفاء والانتماء لمسقط رأسه الكريم دمياط •

وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر الاحترام والتقدير ...

فى : ٢٢/٤/١٩٩٣م

مدير عام الشئون الاجتماعية بدمياط

(فاروق أحمد هلال)

ملاحظة :

....

يقام المهرجان فى حديقة الطفل بدمياط



د. الزيات فى مطلع شبابه أثناء مناقشة رسالة الدكتوراه



د. الزيات ـ وهو فتى صغير بدمياط

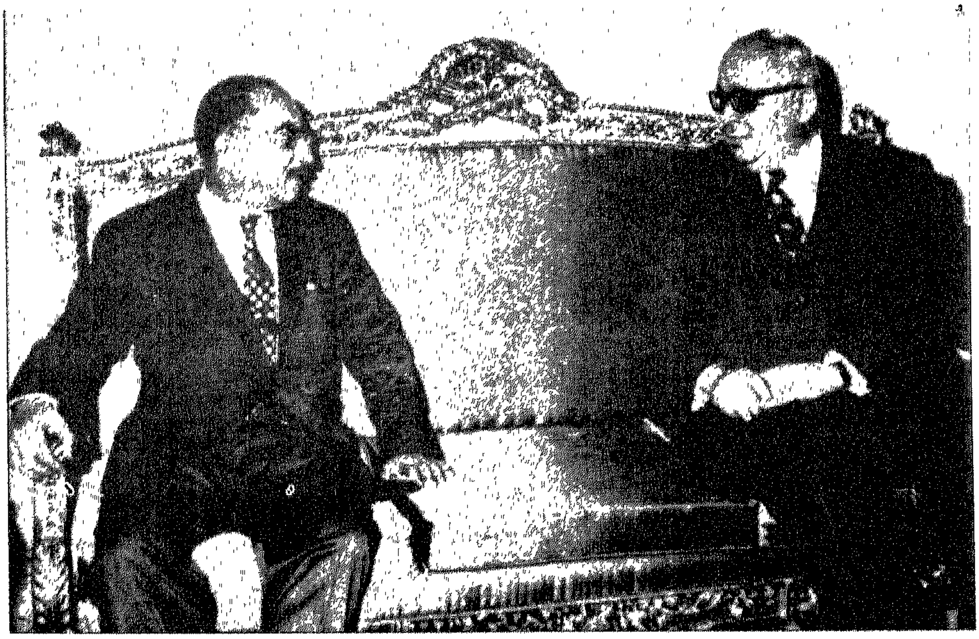


د. محمد حسن الزيات وزوجته كريمة عميد الأدب العربى

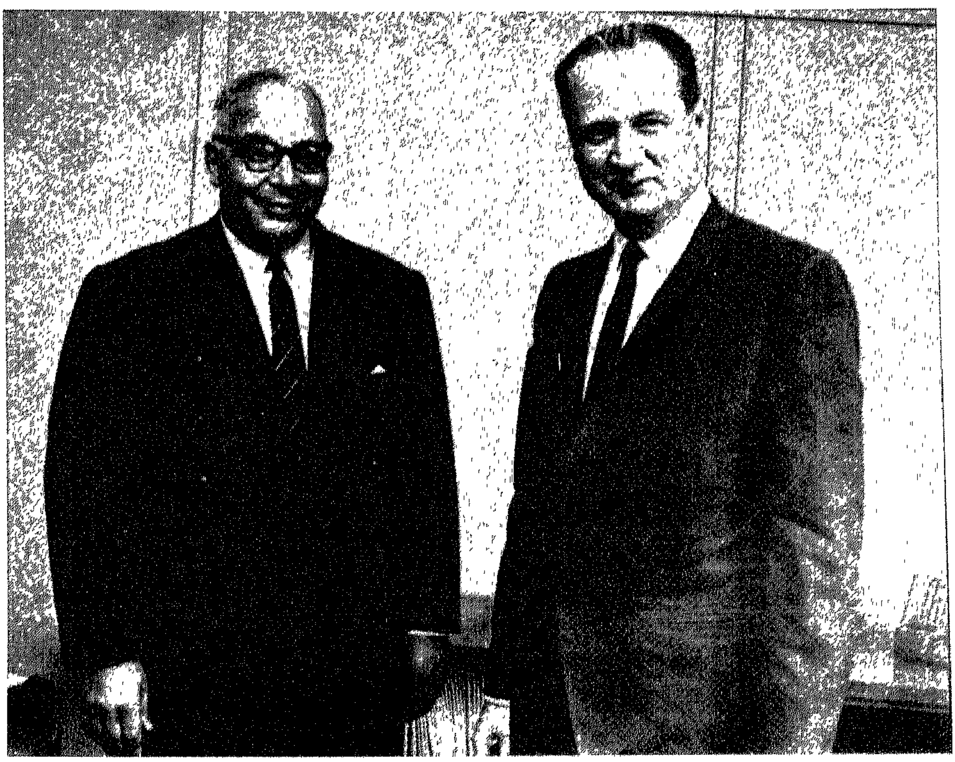
السيدة الفضلى أمينة



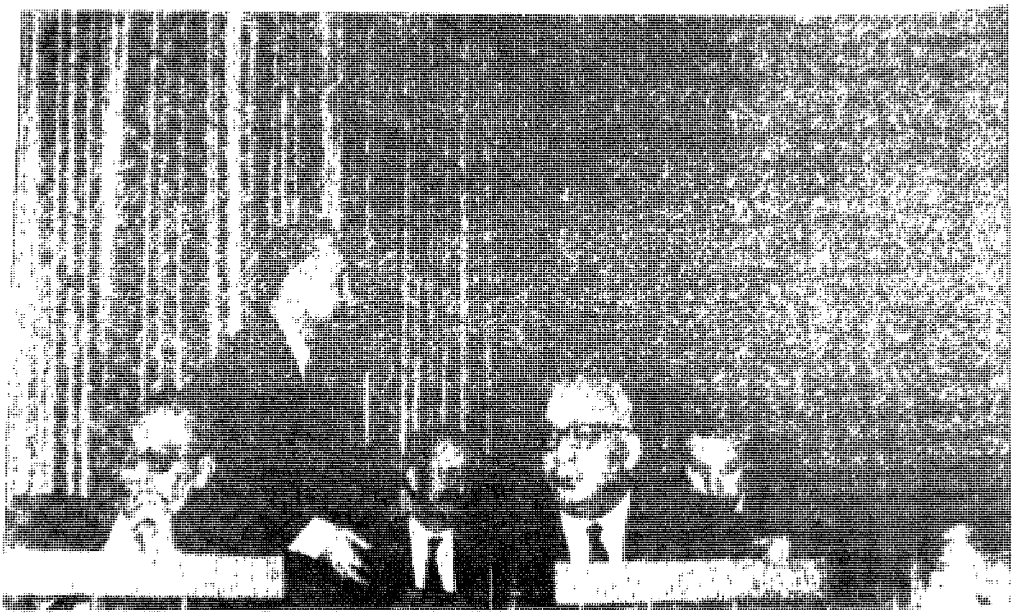
د. الزيات وصورة عائلية مع زوجته وأولادهما



الزيات مع الرئيس العراقى السابق أحمد حسن البكر

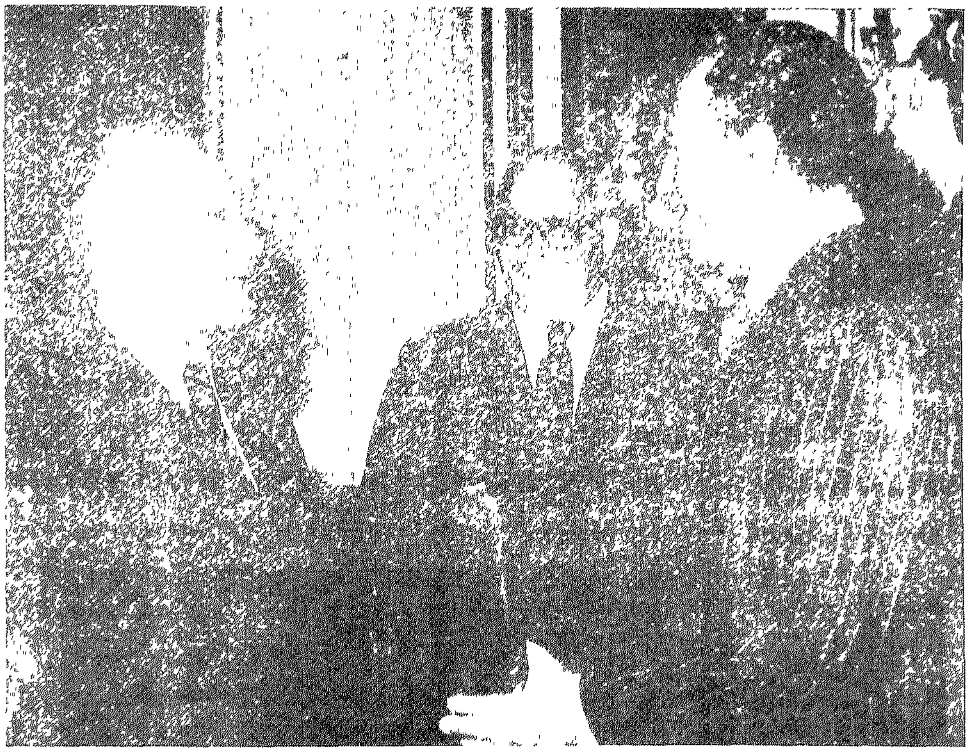


د. الزيات وجوناريانج ٢٥ أغسطس ١٩٧٠



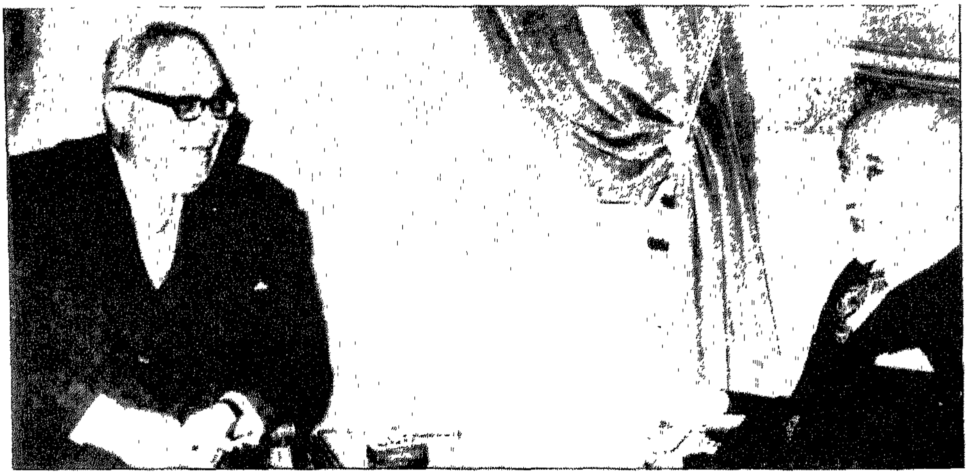
د. الزيات فى أثناء ترأسه لأحد اجتماعات جامعة الدول العربية باسم مصر





د. الزيات بين الرئيس السادات والوزير الإيرانى خلعتدى





مع وزير خارجية إيطاليا مديتشى



الزيات ووزير خارجية المغرب بن هيمه



د. الزيات وبجواره وزير الخارجية الأسبق فى العراق

مرتضى سعيد عبد الباقى



د. الزيات فى غاية السعادة فى مسقط رأسه دمياط بين مواطنيه

وفى الصورة إلى جواره د. أحمد جويلى محافظ دمياط الأسبق



د. الزيات والمحافظ صلاح مجاهد وعبد الوهاب شبانه

فى مؤتمر من مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى بدمياط



المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط والأستاذ حمزة السنباطى أمين عام الحزب الوطنى يفتتحان مهرجان الوفاء والانتماء لتكريم د. الزيات بعد رحيله وفى الصورة قيادات المحافظة والشئون الاجتماعية - ومؤلف الكتاب الأستاذ سمير فراج



المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط يستمع لشرح مؤلف الكتاب سمير فراج فى مهرجان الوفاء والانتماء للدكتور الزيات الذى أقامته مديرية الشئون الاجتماعية فى ذكرى انتصارات دمياط والاحتفال بعيدها القومى عام ١٩٩٢



حديث بين المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط والمهندس عباس حسن الزيات نائب وزير الصناعة الأسبق وشقيق الراحل د. الزيات ومؤلف الكتاب الأستاذ سمير فراج وعلى المنصة الأستاذ حمزة السنباطى الأمين العام للحزب الوطنى بدمياط والصورة فى مهرجان تكريم اسم د. الزيات



الراحل الأستاذ طاهر محمد فراج والد المؤلف
والذى كان على صلة وثيقة بالمستشار إبراهيم الزيات

فهرس

الصفحة

الصفحة

الباب التاسع :

الباب العاشر :

* * *

رقم الايــداع بدار الكتب

٧٩٠٦ / ١٩٩٣

I. S. B. N ترقيم دولي

977 — 5034 — 08 — 6

المطبعــة الاســلامية الحديثــة

٤٢ (أ) شارع دار السعادة ـــ الزيتـــون

القاهرة ـــ تليفون ٢٤٠٨٥٥٨



المؤلف في سطور : من مواليد دمياط ، حصل على ليسانس الآداب واجازة الدراسات الخاصة بعلوم الإتصال من الجامعة الأمريكية ـ له العديد من المقالات والتحقيقات الصحفية الهامة وقد صدر له أكثر من كتاب لاقى ثناء المثقفين والنقاد، فحصل على العديد من الجوائز وشهادات التقدير، كما أنه مرشح للحصول على جائزة الدولة التشجيعية ووسام الإستحقاق من الطبقة الأولى لعام١٩٩٢.

فى هــذا الكتاب

- الســادات يتحدى مائير فى مفكرة السفير يارنج فتســحب كلامها عن السلام .
- لماذا عرضت إيران على الزيات منحه اللجوء السياسى لها ؟
- الرئيس العراقى يقول للزيات قبل حرب أكتوبر :
  ستحاربون وحدكم فجيش العراق فرق كشافة !! ..... .
- السادات والنزاع الحدودى بين الكويت والعراق عام ١٩٧٣ .
- كيف تم الإعداد سياسياً لحرب أكتوبر ؟
- الســادات رفض الحل المنفرد مع إســرائيل قبل حــرب أكتوبر وبعدها .
- عندما هتفت جماهير الصومال «الله أكبر . الله أكبر» .
- الزيات يكشف أســرار ســياســة «كيســنجر» ونظريــة «الإهمــال الذكــى» .